

الصَّعِيدُ فِي عَرِيدِ شَيْخِ الْعَرَبِ هَمَام

دكتورة ليلى عبد اللطيف أحمد

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد

بكلية الدراسات الانسانية

جامعة الأزهر / فرع البنات

القاهرة





الصَّعِيدُ فِي عَرَبِ شَيْخِ الْعَرَبِ هَمَام

دكتورة ليلى عبد اللطيف أحمد

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد
بكلية الدراسات الانسانية
جامعة الأزهر / فرع البنات
القاهرة



١٩٨٧

الاخراج الفنى

البيرو جودجى

اهداء

الى روح أستاذى الجليل

الأستاذ الدكتور أحمد عزت عبد الكريم

أهدى هذا الكتاب

فهو من ثمار غرسه وتوجيهاته

ليلي عبد اللطيف أحمد

المقدمة

يعالج هذا الكتاب سيرة شيخ العرب حمام وحكم جرجا (أو الصعيد) في فترة غامضة من تاريخ مصر في القرن الثامن عشر الميلادي / الثاني عشر الهجري في عصر الحكم العثماني المملوكي ، ذلك العصر الذي يحتل مرحلة هامة من مراحل تطور تاريخنا القومي .

وبالرغم من الأهمية التي يحتلها هذا العصر في تاريخنا فإنه لم يحظ من المؤرخين المحدثين بال العناية التي تستحق وأهميته ، فقد تجاهل المؤرخون والباحثون سواء في مصر أو في الدوائر العلمية في الغرب (١) الفترة الطويلة التي قضتها مصر تحت الحكم العثماني قبل عهد محمد علي ، وقد مالوا الى اعتبار هذه الفترة غير جذيرة بالدراسة الجدية وقنعت أسرة محمد علي في مصر بتشجيع الدراسات التاريخية المتعلقة بتاريخها الخاص (٢) .

وقد شاع بين المؤرخين والباحثين أن مصر قد اصابتها في العصر العثماني اضمحلال سرى في كيانها وتغلغل في شتى نواحي حياتها فأدى هذا الى انصرافهم عن الاهتمام بتناول الحياة فيه وآثروا بالدراسة العصر السابق له وهو العصر الاسلامي حيث كانت الحياة أدنى الى الازدهار ، والعصر التالي له الذي حفل بأحداث الصراع الوطني ضد الاستعمار الأوروبي الحديث (٣) وبذلك زاد هذا العصر ظلاما على ظلامه .

(١) لم يبدأ الاهتمام بشكل جدى في الدوائر العلمية في الغرب بتاريخ مصر العثمانية الا في السنوات الأخيرة .

(٢) د. ستانفورد ج. شو .

الوثائق المصرية في العهد العثماني ١٩١٧م/١٩١٤م .

مجلة معهد المخطوطات العربية للمجلد الثاني الجزء الأول مايو ١٩٥٦ ص ١٤٧ .

(٣) أحمد البديري : حوادث دمشق اليومية .

تحقيق ونشر : الدكتور أحمد عزت عي الكريم .

من مطبوعات الجمعية المصرية للدراسات التاريخية . القاهرة ١٩٥٩ م ص ٦ من المقدمة .

وقد ساعد على هذا الاهمال افتقار هذا العصر الى المؤرخين المعالقة الذين حفل بهم العصر السابق له (١) مع صعوبة الوصول الى المصادر الأصلية التى ينبغى أن تكون فى متناول الباحث فى هذا العصر .

فالوثائق الرسمية له والتى يوجد أكثرها وأهمها فى دار المحفوظات بالقلعة مازالت تحتاج الى جهود كبيرة لاعادها للباحثين بتصنيفها وترجمة المدون منها بخط القرمة . فقد كانت سجلات المالية الصادرة من ديوان الدفترى وديوان الروزنامة تكتب بخط القرمة من أجل توفير السرية لها ، وهذا الخط لا يستطيع أن يقرأه شخص قادر على قراءة المخطوط العربية العادية بلا درس خاص وفك رموزه هو المشكلة الرئيسية التى تواجه الباحث فى تاريخ مصر العثمانية .

وتمتاز الحروف فى خط القرمة (٢) بقصرها واستطالتها وتستعمل فيه رموز لا حصر لها فى اتصال حرفين وثلاثة (٣) .

(١) من المؤرخين المعالقة الذين حفل بهم العصر المملوكى من سنة ١٢٥٠م :
١٥١٧م .

المؤرخ	أشهر مؤلفاته
١ - ابن حجر	الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة .
٢ - المقريزى	المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
٣ - ابن فضل الله العمري	مسالك الايصار فى محالك الايصار
٤ - ابن اياس	بدائع الزهور فى وقائع الدهور
٥ - القلقشندى	صبح الأعشى فى صناعة الانشا
٦ - السخاوى	التبصرة المسبوكة فى ذيل السلوك
٧ - أبو المحاسن بن تفرى ىردى	التجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة
٨ - ابن شلكان	وفيات الأعيان
٩ - جلال الدين السيوطى	حسن المحاضرة بأخبار مصر والقاهرة .

د . محمد مصطفى زيادة : المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى/التاسع الهجرى .

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٩٥٤ (طبعة ثانية) .

(٢) عن نماذج خط القرمة : انظر ملحق رقم ١ ص ١٥٧ .

(٣) تمكنت من فك رموز هذا الخط بمحاولة قراءة نماذج مختلفة من الوثائق المدونة به وساعدنى على ذلك :

ان الاصطلاحات الادارية والجهل المستخدمة فى هذه الوثائق محدودة العدد نسبياً ومكررة أكثر من مرة فى سجلات الموضوع نفسه .

ومعظم الوثائق الخاصة بمصر العثمانية مدونة أما بخط القزمية
أو باللغة التركية القديمة الوثائقية مما يجعل من العسير على الباحثين (١)
الاستفادة من هذه الوثائق .

ويجب الإشارة الى أن السجلات الموجودة في القلعة مختصرة جدا
في معلوماتها وهي تقدم تفسيراً ضئيلاً لمعاني المصطلحات المالية والإدارية
التي تتضمنها ويمكن فهم معانيها في أحوال كثيرة بالاستعانة بأصولها
العلمية خصوصاً تفسيرات علماء الحملة الفرنسية التي تركها نابليون
في مصر والتي أخرجت مؤلفها الضخم عن مصر كتاب وصف مصر :

Description De L'Egypte

وتتضمن سجلات القلعة طائفة عظيمة من المعلومات الإدارية والمالية
غير أنها :

لا تلقى ضوءاً على الفساد التدريجي الذي دب في نظام الحكم في
مصر في القرنين السابع عشر والثامن عشر نتيجة لاحتلال السلطة
العثمانية وازدياد الطغيان وإساءة حكم الأجواقات .

وذلك لأن هيئات الإدارة كما هو مقيد في السجلات لم تتغير ،
فضلاً عن ذلك فهي كلها وثائق كانت تصدرها السلطة المركزية في
القاهرة ، فهي على أهميتها لا تقدم صورة كاملة للحياة في مصر في
العصر العثماني لأن وثائق الإدارة المحلية لم تجمع بعد أو تتوافر في
مخطوطات عمومية .

وإذا كانت دار المخطوطات تشتمل على وثائق ذات أهمية كبرى من
الناحيتين المالية والإدارية فإن الجزء الباقي من تلك الوثائق الخاصة

= بالإضافة لوجود دليل لاستعمال خط القزمية ولمعاني المصطلحات المسماة التي
تتضمنها السجلات في دار المخطوطات .

ومما ساعدني أكثر على قراءة خط القزمية أنني عثرت بين وثائق دار الوثائق القومية
بعبدين (قبل نقلها الى القلعة) على مجموعة حجج صادرة من المحاكم الشرعية وخاصة
بفراغ بعض المتزمنين عن إرضائهم لأخرين وهذه الحجج مدونة باللغة العربية ومرققة بكل
حرفها صورة التفسير الأصلي - بخط القزمية - الذي أخذ به المتزمن أرضه .
وبمقارنة الأسماء في الحجة الشرعية بما يقابلها في التفسير الأصلي وبمقارنة
المصطلحات الإدارية في الاثنين أمكن لي حل الكثير من رموز خط القزمية .

(١) لمحمد محمد توفيق : رسالة عن خط القزمية : وهي غير منشورة وكانت بجامعة
القاهرة وقد بحث عنها طويلاً في مكتبة الجامعة ولكني لم أستطع العثور عليها .

بتاريخ مصر العثمانية موجود فى المحكمة الشرعية ووزارة الاوقاف وهو ذو أهمية فى الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية (١) .

وإذا ما تركنا الوثائق واتجهنا الى ما كتبه المعاصرون من أبناء البلاد انفسهم فى تاريخ هذا العصر لوجدناه قدرا ضئيلا فقد بعضه وتسرب البعض الآخر الى الخارج .

والمؤرخ عبد الرحمن الجبرتي الذى ينتمى الى أواخر العصر العثمانى يؤكد هذا فبعد ان عدد كتب التاريخ التى يعرفها ذكر أن (هذه صارت أسماء من غير مسميات فأنا لم نر من ذلك كله الا بعض أجزاء مدشنة بقيت فى بعض خزائن كتب الأوقاف بالمدارس مما تداولته أيدي الصحافيين وباعها القومة والمباشرون ونقلت الى بلاد المغرب والسودان) (٢) .

كذلك أدت كثرة الفتن فى العصر العثمانى والنزاع بين الفرق العثمانية والبيوتات المملوكية الى اتلاف الكثير من المكتبات وفى ذلك يقول الجبرتي :

(ثم ذهبت بقايا البقايا فى الفتن والحروب وأخذ الفرنسيين ما وجدوا الى بلادهم (٣)) .

وقد سجل الرحالة الأجانب (٤) الشيء الكثير عن مصر العثمانية ورغم أهمية ما كتبه هؤلاء الرحالة عن تلك الفترة فإنه يجب على الباحث أن يأخذ بحذر شديد فالأوروبيون بسبب الأوضاع العامة فى مصر العثمانية لم يتمكنوا من التغلغل فى الحياة المصرية ودراساتها دراسة

(١) د. ستانفورد ج. شو S. G. Shaw.

الوثائق المصرية فى العهد العثمانى .

مجلة معهد المخطوطات العربية لسنة ١٩٥٦ ص ١٥٥ .

(٢) عبد الرحمن الجبرتي ، عجائب الآثار فى التراجم والأخبار . طبعة بولاق سنة ١٢٩٧هـ ج ١ ص ٦ .

(٣) نفس المرجع السابق ج ١ ص ٦ .

(٤) زار مصر العثمانية عشرات من الرحالة من مختلف الأجناس منهم :

(١٧٦٩م) الانجليزى

James Bruce

(١٦٦٣ ، ١٦٧٢) ألماني الأصل فرنسى الجنسية

Vansleb

(١٨٠١م) الدانمركى .

Norden

(١٧٨٣ ، ١٧٨٥) فولنى الفرنسى

Voiney

(١٣٣٧ - ١٧٤١م) الانجليزى

Pococke

وافية ، وأحيانا كان يشوب كتابات هؤلاء الرحالة الهسوى أو النفاق
أو غير ذلك مما يشوه المادة التاريخية .

بالرغم من المشاق التي يلاقيها الباحث في تاريخ مصر العثمانية
فإن أهمية وجدة وطرافة المعلومات التي يحصل عليها تهون عليه مهمته
وتشجعه على المضي في دراسة هذا العصر .

وقد وجه استاذنا الدكتور أحمد عزت عبد الكريم الدعوة لقيام
حملة علمية منظمة للكشف عن المصادر الأصلية للتاريخ العربى فى العصر
العثمانى وخاصة فى العهد الأول منه .

(أى من أوائل القرن السادس عشر الميلادى حتى القرن التاسع
عشر) وهو العهد الذى نال أكبر نصيب من اهمال المؤرخين المحدثين (٢) .

وتلبية لدعوة استاذنا الفاضل . وبتوجيه كريم منه أقدم هذا المؤلف
المتواضع لجسلاء جانب من جوانب حياة المجتمع المصرى فى العصر
العثمانى .

وأرجو أن يكون هذا البحث لبنة فى البناء التاريخى الذى دعا
استاذنا لأقامته .

يتناول هذا الكتاب حياة شخصية عربية عاشت فى الصعيد فى
النصف الأول من القرن الثامن عشر م ونحو عشرين عاما من النصف
الثانى منه تلك هى شخصية شيخ العرب همام بن يوسف زعيم قبائل
الحوارة التى نزلت الصعيد (٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م) واستقرت به وكانت
لها به سطوة ونفوذ كبير .

وقد كان الهوارة اقوى قبائل الصعيد بأما واكثرها استقرارا
واقدرها على العمل السياسى .

وقد اشتهر الشيخ همام بأنه اقوى الشخصيات العربية التى
سيطرت على الصعيد فى القرن الثامن عشر .

غير أن أهمية الشيخ همام لا ترجع الى سيطرته على الحكم فى
الصعيد ، بقدر ما توضح لنا الترجمة لتلك الشخصية الفريدة فى نوعها
نظام الحياة فى الصعيد فى تلك الفترة خاصة ، وفى العصر العثمانى
عامة ، والقوى التى تنازعت السلطة فيه ، وعلاقاتها بالهيئة الحاكمة فى

(١) البديرى : حوادث دمشق اليومية . تحقيق : الدكتور أحمد عزت عبد الكريم
بالقاهرة ص ٦ .

القاهرة وكيف كان لنظام الالتزام أثر كبير في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مصر العثمانية عامة أو في الصعيد خاصة .

وقد أشار بعض الرحالة الأجانب الذين زاروا مصر في تلك الفترة الى شخصية الشيخ همام والى ما كان يتمتع به من ثراء وسلطة واسعة في الصعيد .

وقد قدم لنا الجبرتي ترجمة مستفيضة (١) للشيخ همام في كتابه عجائب الآثار أشار فيها الى ما كان من كرم هذا الشيخ وعنايته الزائدة باكرام الضيوف وصلة المحتاجين واکرام العلماء والى ما كان عنده من ادارة واسعة منظمة تحوى جيشا من الموظفين ، وقدم الجبرتي أيضا وصفا للصراع بين الشيخ همام وعلى بك الكبير وعلاقات همام والهواره مع الأمراء المالك ونهاية همام واسرته وكيف ادار على بك الصعيد بعد القضاء على همام .

وبالرغم من أهمية تلك الشخصية فقد اكتنف الغموض حقيقتها (٢) ولم تحظ من الباحثين في تاريخ العصر العثماني بالعناية التي تستحقها وقد شاقني كثيرا أن أبحث حياة الشيخ همام لجلاء الغموض الذي اكتنف حياته ، وحقيقة دوره في حياة الصعيد في تلك الفترة الغامضة من تاريخنا القومي .

كان الشيخ همام زعيما لقبائل الهواره التي وفدت الى مصر من المغرب والتي استقرت أولا في منطقة البحيرة ثم قام زعيمها بدر بن سلام بثورة كبيرة على عهد الأمير برقوق (٣) في (١٣٧٧هـ / ١٣٧٧م) حيث

(١) عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ٣٤٣ .

(٢) U. A. R. GIBB and Harold Bowen, Islamic society and the west a study of the impact of western civilization on Moslem culture in the Near East.

London Oxford U.R. 2 edition. 1962 Vol. 1, p. 228.

(٣) السلطان برقوق (٧٨٤هـ - ٨٠١هـ / ١٣٨٢م - ١٣٩٨م)

هو مؤسس العولة المملوكية الثانية أو دولة المالك الجراكسة وضع نهاية بيت تلاوون وقد احتاز عقلية فلة وشخصية قوية ، وقد قدم الجراكسة وأكثر من استجلابهم ، وشن حرب إبادة على العناصر التركية وقد قام بمحاولات ناجحة في سبيل ازالة سلطان للمالك الأتراك واحلال الجراكسة محلهم في مصر والشام وقد نجح في ذلك وأعلن نفسه سلطانا بالقاهرة ودمشق سنة ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م .

٥٠ حكيم أمين عبد السيد : قيام دولة المالك . الثانية .

دار الكتاب العربي - القاهرة ١٩٦٧م .

كان برقوق أتابكا (١) وقد امتنع بدر بن سلام عن أداء التزاماته وإهمها جباية الخراج ووجد الفرصة مواتية لإعادة النفوذ العربي إلى مصر فهاجم دمنهور في خمسة آلاف رجل نهبوا أسواقها ، وبيوتها وخربوا قراها وضيعاتها ، وظل برقوق عاجزا عن قمع الثورة لانشغاله في مقاومة المماليك الترك (٢) .

ولكنه ما ان انتهى من ذلك حتى وجه حملة ضخمة الى بدر بن سلام قضت على ثورته وهرب بدر بن سلام الى برقة واخرج برقوق باقى عربان الهوارية الى الصعيد (سنة ٧٨٢هـ / ١٣٨٠م) (٣) واقطعهم منطقة جرجا اتقاء لشرهم ودفعاً لهم الى الهدوء والاستقرار ، وقد كانت تلك المنطقة وقتئذ منطقة خربة فقام الهوارية بتعميرها واستقروا بها واشتغلوا بزراعة قصب السكر فأنثروا من وراء ذلك ثراء طائلا لانه محصول تقدي هام .

وقد استقر الهوارية في الصعيد ، وبفضل ما تمتعوا به من ثراء سيطروا على حياة الصعيد ، وواصلوا سياسة التمرد ضد الحكومة

(١) الأتابك :

هو القائد العام للجيش المملوكي ، وكان لقب أتابك يطلق عند السلاجقة على المؤيد أو المرئي أو الوصي ثم أصبح من ألقاب التشريف التي تخلف على كبار الأمراء حتى غدا في عصر المماليك لا يطلق الا على قائد السكر ومن الواضح أن صاحب هذه الوظيفة تمتع بنفوذ كبير ولكلمة عالية في الدولة بوصفه رأس الجيش وصاحب القوة الضاربة بين كبار الأمراء .

ولا أدل على نفوذ الأتابكية وقوتهم من أن كثيرا منهم وصلوا الى عرش السلطنة اما عن طريق الانفصاف ، أو بقتل قوتهم .
أما اذا ولي الحكم سلطان قاصر فانه كان يصبح العوبة في يد أتابك الجيش يتحكم فيه كيما شاء .

١ : سعيد عبد الفتاح عاشور : العصر المملوكي في مصر والشام .

دار النهضة العربية القاهرة ١٩٦٥ طبعه أولى ص ٣٥٤ .

(٢) المماليك الترك :

هم ممالك الدولة المملوكية الأولى وهم من الخوارزمية والتركمان والتتار وقد بدأت دولتهم ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م وانتهت ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م بقيام دولة المماليك الثانية أو دولة المماليك الجراكسة .

٢ : حكيم أمين عبد السيد : قيام دولة المماليك الثانية ص ١٢ .

(٣) محمد مرفى الزيندى : شرح القاموس المسمى بتاج العروس من جواهر القاموس القاهرة ١٣٠٦هـ . ج ٣ ص ٦٣٤ .

وسليمان عبد الرحمن : مقال : لقب أمير الصعيد مسجلة البلاغ ١٥/١/١٩٣٤ ص ٥٧ .

الملوكية واثارة ثائرتها ضدهم بتمردهم احيانا ، وامتناعهم عن تقديم الأموال والغلال المطلوبة منهم في احيان أخرى وأيضاً مهاجمة الاقطاعات الملوكية .

وقد واصل المماليك بالتالى ارسال الحملات العسكرية لتأديب الهوارة والقضاء على تمردهم وساقصل الحديث عن ذلك فى الفصل الأول الخاص بالهوارة فى الصعيد .

وقد كانت ثورات الهوارة فى العصر المملوكى بقصد التطلع للاستيلاء على الحكم كشأن كل القبائل العربية فى مصر حينئذ فما أكثر ما ثارت القبائل العربية فى العصر المملوكى من بدايته الى نهايته متطلعة الى الاستيلاء على الحكم معتبره نفسها أحق به من الحاكمين .

وقد بدأت ثورات العرب مع بداية العصر المملوكى فى مصر فقد عملوا منذ البداية على تعويق قيام الدولة المملوكية الأولى وعدمها فى مهدما على عهد عز لدين أيبك ٦٦٨/٦٥٥ هـ / ١٢٥٠م/١٢٥٧م فقام عرب الصعيد بثورة كبيرة ضد المماليك سنة ٦٥١ هـ / ١٢٥٣م .

وكانت تلك الثورة أهم الثورات العربية فى مصر فقصد اشترك فيها عرب الصعيد والوجه البحرى وكانت بقيادة الشريف حصن الدين ثعلب بنأحية دهروط صربان (١) وقد نادى العرب فى هذه الثورة بأنهم أصحاب البلاد (٢) وامتنعوا عن دفع الخراج وأعلنوا أنهم أحق بالملك من المماليك وطلبوا المساعدة من الملك الناصر الأيوبى صاحب دمشق للقضاء على دولة المماليك بمصر .

(١) دهروط صربان :

تسمى تلك الناحية دروت صريام ، دروط صربان ، ذروة صريام ، ودروط الشريف لأن صاحب هذه القرية هو الشريف ثعلب بن يعقوب بن مسلم بن يعقوب بن أبى جميل ابن جعفر وهو رئيس الجفارة ومن ذريته الأمير حصن الدين ثعلب صاحب الثورة المشهورة ، ودهروط هى ديروط الحالية إحدى مراكز محافظة أسيوط .

على مبالغة :

المخط الجديدة التوفيقية لمصر القاهرة ومدتها وبلادها القديمة والشهيرة . المطبعة الأميرية بولاق سنة ١٣٠٥هـ الطبعة الأولى ج ١١ ص ٤ .

(٢) أحمد بن على القريرى : السلوك لمعرفة دول الملوك .

صححه ووضع حواشيه . محمد مصطفى زيادة . مطبعة دار الكتب ، القاهرة ١٩٣٤م ج ١ ص ٣٨٦ .

وقد انتهت تلك الثورة بالفشل لمواجهة الممالك لها بأقصى وسائل القمع والشدة وقبض على زعيم الثورة الشريف حصن الدين وسجن بالاسكندرية .

وزاد الممالك القود (١) والقطيعة (٢) المفروضة على العرب .

ورغم ما لقيه العرب من أنواع التنكيل والتعذيب في الثورة السابقة فانهم لم ينقطعوا عن الثورة واعتبار أنفسهم أرفع مكانة من الممالك وأولى منهم بالحكم والولاية .

وكانت أهم الثورات العربية من هذا القبيل . ثورة عرب الصعيد (٣) (سنة ٧٠١ هـ - ١٣٠١ م) في مدينتي منفوط وأسيوط تلك الثورة التي وصل العرب فيها الى حد فرض ضريبة على أرباب الحرف واحتقار الحكام وتعطيلهم عن جمع الأموال واتخاذ رئيسين لهم سموها بأسماء مملوكية (بيبرس ، سلار) .

وقد ادرك الممالك خطورة تلك الثورة فقاموا باخمادها بكل سرعة وبكل شدة وعنف .

فهزم العرب وجردوا من أموالهم وأملأهم ومع ذلك تكررت ثورات القبائل العربية في الصعيد وكان آخر تلك الثورات ثورة ابن الاحدب (٤) شيخ قبيلة عرك بالصعيد سنة ٧٥٤ هـ - ١٣٥٣ م بهدف السيطرة على منطقة الصعيد .

وواجه الممالك أيضا هذه الثورة كسابقاتها بأقصى وسائل القمع والتعذيب ومصادرة الأموال وقتل الرجال .

ولم يقتصر تطلع العرب الى الاستيلاء على الحكم على عرب الصعيد وحدهم بل كان الأمر كذلك بالنسبة للعرب في جميع أنحاء مصر .

(١) القود :

هو ما تبعت به قبائل العرب الى الملوك من الخيل والابل والحيوانات المزيطة .
على مبارك : الخطط التوفيقية ج ١١ ص ٤ .

(٢) القطيعة :

ما يفرضه السلطان على ولاية أو ناحية من المال سنويا أو ما يقرره في أحوال غير عادية كالغرامة الحربية .

على مبارك : الخطط التوفيقية ج ١١ ص ٤ .

(٣) القرينى : الملوك ج ١ ص ٩١٥ .

(٤) ابن اياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور .

الطبعة الاميرية بولاق سنة ١٣١١هـ طبعة أولى ج ١ ص ٢٠٠ .

ويحفل تاريخ ابن اياس بذكر الكثير من حركات التمرد التي كان يقوم بها عربان البحيرة والشرقية ضد السلطات الملوكية . . . وقد سجل ابن اياس عن تمرد عربان البحيرة الشيء الكثير وكانت أهم حركات تمرد أولئك العربان ما وقع في أعوام : -

٦٩٩هـ ، ١٢٩٩م ، ٧٨١هـ - ١٣٧٩م ، ٧٨٢هـ - ١٣٨٠م ، ٧٨٣هـ
١٣٨١م ، ٨٠٤هـ - ١٤٠١م ، ٨٧٢هـ - ١٤٦٧م ، ٨٧٥هـ - ١٤٧٠م ،
٨٩٢هـ - ١٤٨٦م .

وقد أذاق عربان الشرقية (١) الممالك شر العذاب بتمردهم الدائم عليهم ، وتربصهم المستمر بهم وقد وقع من شيخ عربان الشرقية ابن بقر وأولاده - الكثير من حركات التمرد ضد السلطنة الملوكية .

وقد كان العرب ينتهزون أى فرصة ينشغل فيها الممالك بمشاغل داخلية أو خارجية فيثورون متطلعين للاستيلاء على الحكم كما حدث عند وفاة السلطان الفورى فقد انتهز عربان الشرقية فرصة اضطراب الممالك ونهبوا كثيرا من البلاد (٢) وخلال اشتباك جيوش السلطان قايتباى مع العثمانيين استهان العرب بالممالك (وزاد طمعهم فى الترك (٣)) .

ولكن القسوة المتناهية التى واجه بها الممالك ثورات العرب التى كانوا يهدفون من وراءها الى الاستيلاء على الحكم أدت تلك القسوة واستخدام أشد وسائل القمع الى اخماد ثورات العرب واضعاف شوكتهم حتى أن العهد التالى وهو العهد العثمانى لم يشهد أى ثورة يقوم بها العرب للاستيلاء على الحكم بل اقتصر حركات العرب فى مصر على التمرد بقصد التحلل من تقديم ما عليهم من أموال للدولة وحركات أخرى كان يقوم بها العرب البدو وهى حركات نهب وسلب للأموال دون أن يكون هدف أى الفريقين الاستيلاء على الحكم .

وفى العهد العثمانى فرض الهواة نفوذهم وسيطرتهم على الصعيد بتولى شيوخهم حكم الصعيد فى البداية ثم توليهم ادارة معظم أراضي الصعيد بالالتزام مما هيا لهم نفوذا واسعا وسيطرة كبيرة فى ظل السيادة العثمانية .

(١) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٢ من ١٣٤ .

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٣ من ٥٤ .

(٣) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٤ ص ٢٥٢ .

وقد صاحب زيادة نفوذ الهوارة توسع اقليم جرجا بتوحيد أقاليم الصعيد كلها من المنيا الى أسوان تحت امرة حاكم جرجا فأصبحت ولاية جرجا تشمل أراضي الصعيد كلها رغبة من السلطات الحاكمة فى تقوية سلطة حاكم جرجا لمواجهة خطر القبائل العربية النازلة بالصعيد والمنتشرة بأرجائه (١) والتي وافق منها الصعيد مزاجا خاصا (٢) .

وفى العصر العثمانى المملوكى كان الهوارة يرجحون دائما الكفة التى ينضمون اليها من الأجراء المماليك المتنافسين ، وكانت صلة الهوارة بحاكم جرجا تتأرجح بين المهادنة أحيانا والتمرد والعداء فى أحيان أخرى .

وفى الحالة الأولى كانوا يمثلون ساعده الأيمن فى تطلعاته ضد حكومة القاهرة وكانوا يصحبونه اليها لتنفيذ أغراضه بها .

وفى الحالة الثانية . .

كانوا يمتنعون عن تقديم المال والفلال المطلوبة منهم ويثيرون القلق فى نفسه وفى نفوس حكام القاهرة .

وقد تمتع الصعيد بوضع خاص فى العصر العثمانى المملوكى وكانت له أهمية بالغة لكونه مركز تموين القطر كله بالفلال ، ولوجود كثير من القبائل العربية به ولكونه ملجأ لكل الأمراء المنفيين والمتمردين يهربون اليه ويحاولون الاستعانة بسيوف العرب وسواعدهم فى استعادة مراكزهم وما كانوا يمتنعون به من نفوذ .

وبين قبائل انهوارة وفى تلك الظروف نشأ شيخ العرب همام ابن يوسف الذى بدل حياة الهوارة والصعيد من القلق والتأرجح بين المتنافسين الى الهدوء والاستقرار والأمن والعدالة .



(١) (SHAW) : S. G. The financial and administrative organization and development of ottoman Egypt 1517-1798.

Princeton U.P. 1962, p. 16.

(٢) سليمان عبد الرحمن مقال لثب أمير الصعيد البلاغ ١٦٣٤/١/١٥ ص ٥٧ .

مصادر الكتاب

عندما توجهت لبحث موضوع شيخ العرب همام رأيت أن أبحث عن أسباب ثراء هذا الشيخ وكيف تمت له السيطرة على أراضي الصعيد من المنيا الى أسوان .

فكانت رحلاتي الى أحفاد الشيخ همام بفرشوط حيث يوجد أحفاد همام من نجله شامين ودويش وزرت بهجورة حيث يوجد أحفاد همام من نجله عبد الكريم (١) .

وقد تجولت في محافظة قنا وقراها عند أقارب الشيخ همام في قنا نفسها وفي شمنهور والرئيسية والشاورية وهو ، سمسود ، الخلفي ٠٠٠٠ وغيرها من قرى قرى .

وقد زرت تلك المناطق ثلاث مرات بحثا عن وثائق تفيد في موضوع البحث .

وفعلا حصلت من أحفاد همام وأقاربه على مجموعة طيبة من الحجج الشرعية الصادرة من المحاكم الشرعية في القاهرة ومحاكم الصعيد : -

١ - حجج من أحفاد همام

وهي حجج خاصة بملاقة الشيخ همام بالفلاحين في الصعيد . .
اتضح لي منها كيف كان همام يعامل فلاحيه معاملة طيبة سواء أكانوا هواره أو عربا آخرين أو فلاحين مصريين وكيف كان يمدهم بالقروض التي تساعد العاجزين منهم على زراعة أراضيهم ومن تلك الحجج أيضا اتضح لي أن الشيخ همام كان يسيطر على معظم أراضي الصعيد من المنيا الى أسوان وأنه بلغ حدا من القوة والنفوذ جعله يرغم الأمراء المماليك على التنازل له عن أراضيهم في الصعيد .

ومن تلك الحجج أيضا اتضح لي ما كان عليه الهواره وهمام من ثراء طائل وقوة ونفوذ في الصعيد وما كان لهما من إدارة واسعة حافلة بالموظفين وما كان له من نفوذ على أهالي الصعيد .

(١) زرت أحفاد الشيخ همام ثلاث مرات في أعوام ١٩٦٥ ، ١٩٦٦ ، ١٩٦٨ .

٢ - حجج دفتر خانة محكمة قنا الشرعية

وقد زوت دفترخانة محكمة قنا الشرعية حيث اطلعت على بعض الحجج الصادرة من محاكم الصعيد والتي اتضح لى منها ما كان عليه الهوارة من ثراء وأوقافهم الهامة وثراء همام وأصل ونسب الهوارة .

٣ - دار المحفوظات بالقلة

ثم درست وثائق الالتزام الزراعى الخاصة بالصعيد (١) والموجودة فى دار المحفوظات بالقلة بالقاهرة ابتداء من عام ١٠٦٩ هـ - ١٦٥٨ م حيث يبدأ أول دفتر للالتزام الى عام ١٢٢٣ هـ - ١٨٠٨ م وهى السنة التى بدأ فيها محمد على إلغاء التزامات الأراضى الزراعية .

وقد تتبعت فى هذه الدفاتر نحو سلطة همام كملتزم وتوسعه فى أراضى الصعيد .

وقد اتضح لى من هذه الدفاتر فئات الملتزمين فى ولاية جرجا قبل ظهور الهوارة كملتزمين لأراضى الصعيد وكيف امتدت أراضيهم من المنيا الى أسوان واتضح لى من تلك الدفاتر أن الشيخ همام قد ورث عن أبيه الشيخ يوسف أراضى واسعة شملت معظم أراضى الصعيد عن طريق حيازتها بنظام الالتزام وكيف ظهر همام فى البداية مشاركا لوالده وللهوارة الآخرين والماليك والأمراء العرب الآخرين فى أراضى الصعيد ثم كيف نمت سلطة همام حتى نحى هؤلاء الشركاء عن الميدان وانفرد هو بمعظم أراضى الصعيد من المنيا الى أسوان ، ثم مصير تلك الأراضى بعد وفاة الشيخ همام وكيف أدار على بك الصعيد بعد القضاء على همام .

٤ - دفترخانة المحكمة الشرعية بشبرا بالقاهرة

ثم بحثت فى دفترخانة المحكمة الشرعية بالقاهرة (٢) عن حجج تفيد فى موضوع همام فعثرت على بعض الحجج الشرعية الصادرة من محكمة الباب العالى بالقاهرة والتي أوضحت لى كيف وصل همام الى حد من القوة والنفوذ فى الصعيد دفع كبار الأمراء الماليك الذين

(١) تمت بدراسة دفاتر التزامات الولايات القبلية بدار المحفوظات بالقلة فى المدة من ١٩٦٦/٥/٤ الى ١٩٦٧/٨/١٣ .

(٢) ترددت على دفترخانة المحكمة الشرعية بالقاهرة فى المدة من مايو ١٩٦٧ الى أغسطس سنة ١٩٦٧ .

كانت لهم اراض اخذوها بالالتزام فى الصعيد الى التنازل عنها
طوعية للشيخ همام لادراكهم لانه سيكون هو المسيطر على الصعيد
وصاحب النفوذ والسلطة فيه .

٥ - وثائق دار الوثائق القومية بعابدين

ثم درست مجموعة من تقاسيط الالتزام الموجودة فى دار الوثائق
القومية بعابدين (١) « قبل نقلها الى القلعة » ومنها أمكن لى حل الكثير
من رموز خط القرمة لأن هذه التقاسيط كان مرفقا بها حجج شرعية
خاصة بالتنازل عما تحويه تلك التقاسيط من اراض لحائزين جدد
وبيانات هذه الحجج باللغة العربية وبمقارنة البيانات فى الحجة الشرعية
والتقاسيط الأصل أمكن لى معرفة الكثير من رموز خط قرمة وحلها .

بالاضافة الى أن هذه التقاسيط والحجج قدمت لى فكرة واضحة
عن حركة توارث اراض الالتزام .

٦ - المصادر التاريخية

وبدراسة الوثائق والمصادر التاريخية مثل تواريخ الجبرتي
والمقريزى والقلقشندي أبو المحاسن ، السخاوى ، ابن اياس ، ابن زئبل ،
الاسحقى ، الخشاب ، مصطفى ابراهيم عزبان وكتب الرحالة امثال
جيمس بروس ، فانسليب وفولنى اتضح لى : -

ان الشيخ همام تمتع بنفوذ واسع فى الصعيد استمده من ثرائه
الطائل ومن عصبيته القبلية بزعامته لقبائل الهوارة ذات النفوذ الواسع
فى الصعيد ، وأن الشيخ همام تمتع بسلطة واسعة فى الصعيد فكان
هو الحاكم الفعلى له بالرغم من بقاء مظاهر الادارة العثمانية كما هى كما
كان الامر بالنسبة للحكم الفعلى للمماليك فى القاهرة بالرغم من بقاء
الوالى العثمانى بشكل ظاهرى (٢) وقد أخذ همام لقب الامارة تجاوزا
لاستمداده سلطته من الأمير المملوكى حاكم جرجا (٣) .

(١) قمت بدراسة تقاسيط الالتزام والحجج الموجودة بدار الوثائق القومية بعابدين
فى اللة من ١٩٦٧/٤/٩ الى ١٩٦٧/٧/٢٣ .

(٢) أحمد لطفى السيد ، لقب أمير الصعيد بين الكنوز والهوارة - البلاغ
١٩٣٤/١/٣٠ .

(٣) محمد الفنىمى الطغتاوى ، امارة الصعيد تاريخ هواة وعلاقتها بهذا اللقب -
البلاغ ١٩٣٤/١/٢٧ .

وقد تمتع همام بشخصية ساحرة (١) امتازت بالكرم والسخاء والعدل والفضيلة ، وحسن السياسة مما مكنه من تألف قلوب الناس في الصعيد عربا كانوا أو فلاحين بل وحكام جرجا من الأمراء المماليك مثل صالح بك القاسمي .

وقد سيطر همام على أراضي الصعيد وعلى مسالك التجارة فيه مثل طريق القصير الذي كان يتم عن طريقه نقل جانب من التجارة الهندية الى مصر (٢) .

وقد كسب همام ود القبائل العربية النازلة في الصعيد ومضى يبنى قوته وسط رضى الجميع .

وقد قدمت له سلطته كملتزم عليه توفير الامن المحلي وتنظيم استغلال الأرض ، وتحصيل الضرائب من الفلاحين قدمت له تلك السلطات الشيء الكثير من القوة والنفوذ وقد وصل همام الى حد من القوة مكنه من الدخول في علاقات قوية مع كبار الأمراء المماليك فصادق بعضهم مثل عثمان بك القفاري ، صالح بك القاسمي وتحدى بعضهم وأرغمه على التنازل عن أراضيه مثل الأمير إبراهيم جاويش وغيره من كبار الأمراء المماليك .

وبرغم ما وصل اليه الشيخ همام من سلطة ونفوذ وسيطرة على الصعيد فان ذلك لا يدعونا الى المبالغة في تصوير ذلك النفوذ وأنه مكن همام من :

فصل الصعيد عن الوجه البحري وأن همام أقام دولة منفصلة بالصعيد استمرت من ١٧٦٥ م - ١١٧٩ هـ الى ١٧٦٩ م - ١١٨٣ هـ كما ذهب الدكتور لويس عوض (٣) .

فدفاتر الالتزام بالقلعة تؤكد أن الشيخ همام كان تابعا للدولة في هذه الفترة وكان يؤدي إليها بانتظام ضرائب الأرض التي أخذها منها بالالتزام فقد أوردت دفاتر التزامات الولايات القبلية في السنوات

(١) محمد رفعت رمضان ، على بك الكبير : القاهرة ، دار الفكر العربي ١٩٥٠ ص ٥٠ .

(٢) أحمد لطفي السيد : قبائل العرب في مصر المليقات والمجانرة وقبائل أخرى ، القاهرة ١٩٣٥ م ص ٨٣ .

(٣) د. لويس عوض . المؤثرات الأجنبية في الأدب العربي الحديث ج ١ ص ٦ من المقدمة .

السابقة اسم الشيخ همام بن يوسف كالعادة امام الاراضى التى كانت
فى التزامه ولم تشر الدفاتر الى وقوع أى تغيير وهى :

عين

	دفتر رقم ٤٦٠	٨	لسنة ١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م
	دفتر رقم ٥١٧	٨	لسنة ١١٨٠هـ/ ١٧٦٦م
بالمخزن	دفتر رقم ٥١٨	٨	لسنة ١١٨١هـ/ ١٧٦٧م
التركي	دفتر رقم ٥٢٠	٨	لسنة ١١٨٢هـ/ ١٧٦٨م
	دفتر رقم ٥٣٥	٨	لسنة ١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م

وقد قدم لى اخفاد همام حجة شرعية من محكمة الباب العالى
بالقاهرة وخاصة :

بتنازل على بك الكبير للشيخ همام عن معظم اراضى قرية بنى نصر
بمنفلوط .

والحجة بتاريخ اول رجب ١١٨٢ هـ - ١٧٦٨م (١) فلو كان الشيخ
همام قد انفصل بالصعيد فى تلك الفترة لما أمكن أن تصدر مثل هذه
الحجة بل لساعت أو بالأحرى انقطعت العلاقات بين على بك والشيخ
همام .

وقد ذهب الدكتور لويس عوض أيضا الى أن الجبرتى وصنف
الشيخ همام بصفة الملكية (٢) حين لقبه « بالامير شرف الدين » (٣) .

وفات الدكتور لويس أن هذا اللقب لم يستخدم للدلالة على الادارة
أو الملكية فى العصر العثمانى المملوكى الذى عاش فيه همام وإنما استخدم
بهذا المعنى فى عصر سابق له وهو العصر الفاطمى وأن الجبرتى حينما لقب
همام بذلك اللقب إنما كان يقصد التفخيم فقط .

(١) هذه الحجة سلمها لى اخفاد همام وهى منشورة بالملحق - ملحق رقم ٢
ص ١٥٨ - ١٥٩ .

(٢) د. لويس عوض : المؤثرات الأجنبية ح ١ ص ٣ من المقدمة .

(٣) الجبرتى : عجائب الآثار ح ١ ص ٣٤٣ .

ودهب الدكتور لويس عوض ايضا الى أن همام قد أقام
جمهورية (١) في الصعيد مستندا الى :

وصف رفاة الطهطاوى لامارة همام بأنها كانت جمهورية
الانزامية .

وقد اتضح لى من البحث أن الشيخ همام لم يطبق نظام حكم
جمهورى فى الصعيد .

وأن حكم همام كان سلطة واسعة ونفوذا كبيرا قدمته له سلطته
كملتزم لمعظم اراضى الصعيد من المنيا الى أسوان بالإضافة الى ما كان
يسنده من عصبية قبلية قوية فى منطقة كان لقبيلته فيها سابق السيادة
فى العصر المملوكى ولم يكن همام ولا معاصروه يعرفون معنى الحكم
الجمهورى ولا مفهومه .

وقد كان لهماام حكومة واسعة وإدارة حافلة بالمباشرين والموظفين
لتنظيم إدارة أراضيه الشاسعة وما فيها من فلاحين تربطهم بهمام صلات
متعددة وقد اعتاد همام عقد مجالس عامة للتعرف على مشاكل فلاحيه
وأهالى الصعيد وإصدار أوامره (٢) بالحلول التى يراها لفض تلك
المشاكل والمتارعات لتسير الامور بدقة وتنظيم الحياة فى أراضيه وقد
كانت علاقات الشيخ همام بالفلاحين تحكمها العادات القبلية بالنسبة
للعاملين فى الأرض من الهوارة وتحكمها نظم الالتزام وقواعده بالنسبة
للفلاحين الآخرين وقد كان همام عادلا مع الجميع فالكمل أمامه سواء .

وفى تلك الفترة سيطر على مصر كلها ذلك الأمير الطموح على
بك الكبير الذى تطلع الى فصل مصر عن الدولة العثمانية والذي بعد أن
أعد العدة لذلك التفت الى القوى الداخلية التى يمكن أن يأتى منها الخطر
على سيادته وتلك هى قوى العرب ومن هنا كان قضاؤه على عرب الحبايبة
والهنادى (٣) بالوجه البحرى ثم تحرشه بشيخ الصعيد همام .

فقد قدر على بك بشاغب بصره أن الشيخ همام بما له من سلطة
واسعة فى الصعيد يمثل شوكة فى جنب سلطته على مصر ، وأن الشيخ
همام وصديقه وحليفه صالح بك القاسمى حاكم جرجا حينئذ ربما كانا
السبب فى القضاء على سيادته على مصر فربما أغرت الدولة صالح بك

(١) د. لويس عوض : المؤثرات الأجنبية ج ١ ص ٨ من المقدمة .

(٢) بعض هذه الأوامر منشورة باللاحق - ملحق رقم ٢ ص ١٦٠ - ١٦١ .

(٣) الجبرنى : عجائب الآثار ج ١ ص ٣٠٨ .

ووعده بحكم مصر ثمننا لمساعدتها فى القضاء على حكمه وربما أغرت الدولة هماما بحكم الصعيد ثمننا لمساعدتها فى تحقيق نفس الغرض .

وقد كان على بك يقدر خطورة مركز همام ويعرف مدى ما وصل اليه نفوذ همام فى الصعيد ذلك النفوذ الذى اضطر على بك نفسه للتنازل عن اراضيه فى الصعيد لهمام كما رأينا ما كان من تنازله لهمام عن اراضى ناحية بنى نصر بمنفلوط (١) وقد حفظ على بك فى نفسه ما كان من عداة بين همام وبين أستاذه وسيده ابراهيم كتحدا وكيف اضطر ابراهيم كتحدا الى التخلي عن اراضيه فى الصعيد لهمام بعد صراع طويل بينهما .

لذلك ما ان تخلص على بك من آخر زملائه الذين يخشى خطرهم وهو صالح بك القاسمى حاكم جرجا وحليف همام بقتله غدرا بسويقة عصفور بالقاهرة (٢) حتى التفت الى شيخ الصعيد يريد القضاء عليه ، وتحطيم سيطرته ، ونفوذه فى الصعيد ولم يرع ما كان لهمام من سابق فضل عليه عندما آواه فى أرضه لما نفاه زملاؤه من القاهرة ، ولا ما كان من مساعدات همام له بتقديم الرجال والاموال اللازمين لاستعادة مركزه بالقاهرة والتوفيق بينه وبين صالح بك الذى ذهب معه الى القاهرة بواسطة همام وبمساعدته ، وقضى معه على منافسيه ومهد له طريق السيادة على مصر .

تغافل على بك عن ذلك كله ولم يذكر الا شيئا واحدا وهو خطورة مركز همام ، وانه ربما حاول فصل الصعيد عن الوجه البحرى بعد ادراكه لحقيقة نوايا على بك وغدره بحلفائه وزملائه الذين مهدوا له طريق السيادة .

وربما كان الشيخ همام قد ساورته فكرة فصل الصعيد عن الوجه البحرى فكافية فى على بك وزلزلة لحكمه لمصر ولكنه حتى وقت توجيهه على بك لحملته ضده ، لم يكن قد أعلن تلك الفكرة أو افصح عن شيء منها فهو لم يعلن الحرب رسميا على على بك .

ولكنه اغرى اعداء على بك من الامراء الذين نفاهم الى الصعيد أو خرجوا اليه هاربين من وجهه وهم جماعة صالح بك وباقى القاسمية

(١) عن تلك الحجة انظر من ١٨ من القصة .

(٢) الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ٣٠٦ .

(٣) الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ٣٣٥ .

وجماعة الحشاب والفلاح وجماعة مناو ويحيى السكرى وسليمان الجلفى
وجماعة كشكش وغيرهم ومهم كبار الهوارة وأهالى الصعيد •

أغرى همام هؤلاء الامراء بمحاربة على بك وطلب منهم التقدم الى
اسيوط واستلاكها تمهيدا لفصلهم الصعيد عن الوجه البحرى ومقدمة
لنقدمهم بعد ذلك اذا ما حالفهم النجاح الى القاهرة لاجلاء على بك عنهما
والقضاء على حكمه نهائيا •

وقد شجعهم همام على ذلك وأمدهم بالاموال والرجال والمؤن
والذخائر •

وقدر على بك خطورة الموقف فحشد لهذه المواجهة قوة كبيرة من
الجند والقادة وعلى رأسهم قائده المظفر محمد بك أبى الذهب وكان اللقاء
بين الفريقين فى اسيوط حيث دارت المعركة الحاسمة التى انتهت بفوز
قوات على بك وهزيمة حلفاء همام (١) •

وقد تأكد لملى بك بعد هذا وبصورة قاطعة ان الشيخ همام هو
قوة يجب ازلتها فعلا من طريقه الفرض سيطرته الداخلية خالصة على
مصر كلها وان الشيخ همام شخص لا يؤمن جانبه ••

ومن هنا ••

كان توجيهه لقائده محمد بك أبى الذهب لمحاربة همام فى مسقط
رأسه فرشوط ، وقد قبل همام التحدى وقرر المقاومة ولكن ظروف العصر
وطابع الحياة والفرد اللذين طبع عليهما حكاهما ذلك العصر كانا السبب
فى انتهاء حياة الشيخ همام ١١٨٣هـ / ١٧٦٩ م فقد اغرى محمد بك الشيخ
اسماعيل أبو عبد الله ابن عم همام بخيائته والتخلى عنه ونشر فكرة
التخاذل بين صفوف جيش همام مقابل تولى رئاسة الصعيد بدلا من همام •

وفتت الخيانة فى عضد همام الذى قرر التقهقر الى الجنوب لتجميع
الصفوف استعدادا للمقاومة •

ولكن الخيانة أدمت فؤاده فمات (مكودا مقهورا) (٢) قرب
استنا •

(١) محمد رفعت رمضان : على بك الكبير ص ٥٢ •

(٢) الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ٣٣٦ •

وانتهت تلك الأيام الزاهرة التي نعم فيها الصعيد بالأمن والرخاء
والازدهار .

وسأحاول في الصفحات التالية أن أقدم صورة لحياة الصعيد
ونظمه على عهد سيطرة الشيخ همام وكيف إدار همام اراضي الصعيد
وكيف سارت حياة الصعيد السياسية والاجتماعية والاقتصادية في تلك
الفترة .

الهوةرة فى الصعید

اصل الهوةرة - کیف نزلوا الصعید -
حیاتهم فینه وتحولهم الى قبيلة مستقرة -
علاقتهم بالممالیک ، بالعثمانیین ، وبالقبائل
العریة الاخرى فى الصعید .

الهوارة فى الصعيد

ينتمى الشيخ همام بن يوسف الى قبائل الهوارة ، تلك القبائل التى هاجرت الى مصر من المغرب فى عهد الفاطميين ، الذين شجعوا هجرة قبائل المغرب الى مصر .

وقد استقر المهاجرون فى الجانب الغربى من مصر ، غربى الدلتا ، البحيرة الفيوم وفى معظم الجهات الغربية من الصعيد .

أصل الهوارة :

وقد اختلف المؤرخون كثيرا فى تحديد معنى اسم الهوارة وأصلهم فنسب البعض تسمية الهوارة بهذا الاسم لانتسابهم الى هوار بن المتنى من حمير اليمن (١) ونسب البعض تسمية الهوارة بهذا الاسم الى ما كان من تهوور المسور بن المتنى وخروجه من مصر فى طلب ابل له فقددها فذهبت نحو المغرب وهو فى أثرها وانه لما أدرك ابتعاده عن مصر وصف عمله - بالتهوور (٢) وان الهوارة نسبوا اليه لنزوله المغرب وتزوجه هناك وتناسل الهوارة منه .

وقد أرجع البعض أصل الهوارة الى البربر وأرجعه البعض الآخر الى حمير اليمن (٣) .

(١) محمد عبد الحالى البتيتى ، مقال امارة الصعيد امرة حوارة ونسبها البلاغ ١٩٤٤/٣ ص ٣ .

(٢) أحمد بن على القرىزى : البيان والاعراب عما بارض مصر من الاعراب نشر ومراجعة ابراهيم رمزى - القاهرة ١٩١٦ ص ٥٨ .

(٣) نفس المرجع السابق : ص ٦٠ .

أما الهوارة أنفسهم فقد كان من الشائع بينهم فى عهدهم الأول أى قبل عصر محمد على انهم ينتسبون الى دحية الكلبي من بنى كلب بن وبرة من قبيلة قضاعة من بنى مالك بن حمير بن سبأ (١) وان التبابعة ملوك اليمن وجزيرة العرب عند غزوهم افريقية حجزوا هناك قبائل من حمير أقاموا بها واختلطوا بأهلها ومنها جاءت : صنهاجة وهوارة وكتامة .

وقد نفى ابن خلدون هذا الغزو واعتبره من أوهام وأخطاء المؤرخين (٢) .

وابتداء من عهد محمد على . . .

حاول الهوارة ارجاع نسبهم الى الحسين بن علي ونسبوا أنفسهم الى أشراف مكة الذين هاجروا الى المغرب استنادا الى حجة شرعية أصدرها قاضى مكة فى عهد محمد على لاثبات ذلك النسب (٣) والحجة صادرة من قاضى مكة درويش العجيمى وبمضبور كل من :

الأمير «أبو علي» بن الأمير على الهامى القاطن بقنا والأمير عبد المغيث ابن محمد القاطن بلشنا والأمير عبد الكريم بن الشيخ همام بن يوسف القاطن ببهجورة ، وبصحبته :

محمد باشا على (محمد على)

والى مصر وما يتبعها والسيد عمر مكرم نقيب اشراف مصر ، السيد محمد المحرقى والشيخ محمد وفا السادات .

وطلبوا أى الهوارة الحاقهم بسلسلة نسب آبائهم وأجدادهم وانهم قدموا للقاضى مراسيم أموية وعباسية وقاطمية وحججا وأحكاما قاطمة يصحح نسبهم الى الحسين بن علي وان قاضى مكة بعد الاطلاع على تلك المراسيم والحجج حكم لهم بصحة هذا النسب .

والحجة بتاريخ ٢٠ رجب سنة ١٢٢٣ هـ / ١٨٠٨ م .

وقد رأيت أصل هذه الحجة بدفترخانة محكمة قنا الشرعية (٤)

(١) مصطفى كامل الشريف : عروبة مصر من قبلها . القاهرة ١٩٥٦م ص ٣٦ .

(٢) عبد الرحمن بن خلدون :

كتاب البر ودیوان المبتدا والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر المقدمة المجلد الأول - الطبعة الثانية دار الكتاب اللبنانى بيروت لسنة ١٩٦١ .

(٣) قدم لى احتفاد همام صورة من هذه الحجة عند زيارتى لهم .

(٤) دفترخانة محكمة قنا الشرعية وثيقة رقم ٨١٨ مخططة رقم ١ لسنة ١٢٢٣هـ .

ولكنى لم أر فيها ما يقنعنى بصحة ذلك النسب فمحمد على لم يذهب الى
الحجاز الا فى سنة ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م .

واقحام اسم محمد على فى هذه الحجة كان محاولة من الهوارة
لاضفاء الأهمية والتأكيد على ما جاء بها ولعلمهم توصلوا الى ذلك برشوة
قاضى مكة وليس ذلك ببعيد فى وقت لم يكن القضاء فيه منزها عن
الشبهات وقد سعى الهوارة لاستصدار هذه الحجة مجارة للطابع العام
الذى سرى بين القبائل العربية فى هذه الفترة فقد حاولت تلك القبائل
وقتها الوقوف بانسابها عند النبى صلى الله عليه وسلم أو أسرته
أو الخلفاء الراشدين أو الصحابة بوجه عام دون أن تقدم دليلا قويا يثبت
صحة ذلك النسب .

وقد كانت قبائل الهوارة موجودة بالمغرب قبل الفتح العربى له
سنة ٨٠ هـ / ٦٩٧ م فقد ذكر ابن قتيبة (١) بمناسبة الحديث عن
حوادث الفتح العربى للمغرب .

ان (موسى بن نصير أرسل عباس بن أخيل الى هواة وزناته فى
الف فارس فاغار عليهم وقتلهم وسباهم) .

وقد كان لقبائل الهوارة بالمغرب عصبية عظيمة ، نفوذ كبير وقد
استقر فرع منها بالاندلس فى القرن التاسع الميلادى / الثالث الهجرى
وعرف باسم بنو زنون أو بنو ذى النون (٢) الذين حكموا طليطلة حتى
استولى عليها الفونس السادس ملك ليون وقبضتاله سنة ١٠٨٥ م /
٤٣٣ هـ .

وقد كان لهم قوة وفروة بالاندلس (٣) .

وقد كانت منازل الهوارة على عهد الفاطميين فى منطقة البحيرة من
الاسكندرية غربا الى العقبة الكبيرة من بوقة (٤) . وكانت لهم الامرة على
عربان البحيرة (٥) .

-
- (١) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ١ ص ٥٢ القاهرة ١٣٢٨ هـ .
(٢) ليلى بروفنسال : الاسلام فى المغرب والاندلس ترجمة : د. السيد محمد
عبد العزيز سالم . القاهرة ١٩٥٦ من ١٢٢ .
(٣) محمد على بن حزم : جمهرة أنساب العرب . تحقيق : عبد السلام هارون
دار المعارف القاهرة ١٩٦٢ ص ٥٠٠ .
(٤) أبو العباس أحمد بن على القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، المؤسسة
المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٩٦٣ ج ١ ص ٣٦٤ .
(٥) القزوينى : البيان والاعراب ص ٦٨ .

وظل الامر على ذلك الى أيام السلطان على بن شعبان ٧٧٨ هـ / ٧٨٣ هـ ، ١٣٧٦ م / ١٣٨١ م حيث قام زعيم الهوارة بدر بن سلام بثورة كبيرة سنة ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م (١) أخمدها الأمير برقوق ونقل على أثرها معظم الهوارة الى الصعيد وذلك بأن أقطع اسماعيل بن مازن منهم ناحية جرجا وكانت خرابا فعمرها وأقام بها حتى قتله على بن غريب منهم فولى بعده عمر بن عبد العزيز الهوارى حتى مات فولى بعده ابنه محمد المعروف بابى السنون حتى مات فولى بعده أخوه يوسف ابن عمر (٢) .

وقد ترجم ابن حجر لاسماعيل بن مازن الهوارى فوصفه بأنه أحد أكابر أمراء العرب بصعيد مصر الأعلى وأنه توفي سنة ٧٨٩ هـ / ١٣٨٧ م وخلف أموالا كثيرة (٣) .

وقد استقر الهوارة فى الصعيد وتشعبت لهم فيه فروع كثيرة وصارت امرة عربان الصعيد كله لأحد رؤسائهم وهو : الأمير عمر بن عبد العزيز الهوارى ، الذى أخذ لقب الامارة رسميا لأن العادة المملوكية القديمة كانت تقضى بأن يعين السلطان على كل قبيلة من قبائل العرب أميراً منها ويكتب له تقليداً سلطانياً بذلك ويلبس الأمير العربى حينئذ تشريفاً أطلس أسوة بأقرانه فى الترتيب الاقطاعى المملوكى .

وقد ذكر أبو المحاسن (٤)

أن الأمير عمر بن عبد العزيز هو والد بنى عمر أمراء الصعيد وأنه أول من ولى الأمرة منهم هناك وقد توفي الأمير عمر هذا فى سنة ٧٩٩ هـ / ١٣٩٦ م .

وقد دار جدل حول لقب الامارة - الذى منح للهوارة - بين جماعة من المناصرين للهوارة والمتحاملين عليهم وذلك على صفحات صحيفة الأهرام سنة ١٩٣٣ وصحيفة البلاغ سنة ١٩٣٤ بمناسبة منح الملك فؤاد لقب أمير الصعيد لابنه فاروق .

فقد كتب مناصرو الهوارة يذكرون أن هذا اللقب غير جديد على الصعيد ، وأنه كان لامراء الهوارة من قبل فتصدى لهم الفريق الآخر يعارض وينفى بشدة انه كانت للهوارة الامارة فى الصعيد .

(١) عن ثورة بدر سلام : انظر المقدمة ص ٨ - ٩ .

(٢) للقرىزى : البيان والاعراب ص ٦٠ .

(٣) ابن حجر : الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة . الهندسة ١٤٢٨ ج ١

ص ٢٧٧ .

(٤) أبو المحاسن يوسف بن تفرى بردى . النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة

مطبعة دار الكتب ١٩٥٦ ج ١٢ ص ١٥٦ .

فقد ذكر أحد الكتاب وهو ممن نفوا حصول الامارة للهوارة بعد ذكره لنزول الهوارة في الصعيد واستقرارهم به .

ان النفوذ في بلاد اخميم صار لأولاد عمر وفي أعمال البهنسا لأولاد غريب وانه لم يرد في أقوال المؤرخين الا أن نفوذ الهوارة كان محليا وانه لم تكن لهم اماره كالتى سبقت لغربهم ولم تصدر لهم مراسيم ولا مكاتبات سلطانية على نحو ما صدر لامراء ربيعة أو لامراء عرب الشرقية أو لمن سبقهم من امراء الصعيد (١) .

وكان هذا تحاملا على الهوارة صدر من صاحبه دون أن يتحرى الحقيقة ويكلف نفسه بالبحث العلمى المجرد من أى غرض عن امرة الهوارة التى أكدتها لها المصادر المعاصرة . والتى أشرنا الى اثنين منها وهما كتاب البيان والاعراب للمقريزى الذى كان معاصرا للهوارة ولنزولهم الصعيد فقد ولد المقريزى سنة ٧٦٦ هـ / ١٣٦٤ م وتوفى سنة ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م . والهوارة نزلوا الصعيد سنة ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م فحديث المقريزى عنهم حديث معاصر لهم شهد احداث نزولهم الصعيد واستقرارهم فيه وكان على بينة من أمرهم (٢) .

وقد أكد القلقشندي وهو معاصر آخر للهوارة ما كان للهوارة من اماره في الصعيد .

وان الهوارة منذ توجههم من البحيرة الى الصعيد ونزولهم به انتشروا في أرجائه انتشارا واسما وبسطوا نفوذهم من البهنسا الى أسوان وما بعدها ، وان سائر القبائل العربية بالصعيد خضعت لسيطرة الهوارة وصارت طوع قيادهم وان الأمرة على أيام القلقشندي كانت فى بيتين من الهوارة .

الأول : بنو عمر محمد واخوته وكانت سيطرتهم تمتد من الأشمونين الى أسوان وكانت منازلهم بجرجا ومنشأة اخميم .

الثاني : أولاد غريب وكانت سيطرتهم فى منطقة البهنسا وكانت منازلهم بدهروط وما حولها (٣) .

وقد استمرت اماره الصعيد والسيطرة عليه للهوارة فى العصر العثمانى وتؤكد دفاتر التزامات الولايات القبلية بالقلمة ان الامارة كانت

(١) سليمان عبد الرحمن : لقب أمير الصعيد : البلاغ ١/١٥/ ١٩٣٤ .

(٢) أحمد لطفي السيد : لقب أمير الصعيد - البلاغ ٣/١٩/ ١٩٣٤ ص ٣٠ .

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٤ ص ٦٩ .

للهوراة في الصعيد وانهم حملوا لقب الأمير بصورة رسمية فقد أوردت الدفاتر أسماء الكثيرين من أولاد عمر مسبقة بلقب الامارة وعلى سبيل المثال :

ورد بدفتر رقم ٢٢٤ لسنة ١١٣٥ هـ عين ٤ مخزن تركي أمام التزام أراضى وقف فى دنلدرة والقوصية انها وقف مرحوم أمير عبد الله وأمير موسى من أولاد عمر أمير عربان هواره *

وورد بدفتر رقم ٤٠٧ لسنة ١٩٦٤ هـ أمام التزام رزقة احباسية كانت معروفة بالحرجة وكوم الباسكية أنها من (وقف أمير داود بن أحمد الناصر بن اسماعيل بن أمير عمر أمير عربان هواره) *

وقد كان أولاد عمر هم الفرع الهام من الهوراة الذين نزلوا الصعيد وانقسموا كما قلنا فرعين هما :

أولاد عمر ، أولاد غريب

والفرع الذى يهنا هنا هو الفرع الأول أى بنو عمر لأن الشيخ همام من فرعهم وكان بنو عمر بطنا كبيرا من بطون الهوراة بالصعيد وعمر جد الأمراء كلهم ومن أولاده محمد أبو السنون ويوسف اللذان توليا اامارة الصعيد بالتوالى ثم تولاهما اسماعيل بن يوسف واشتهر بحسن السيرة وتوفى سنة ٨٥٣ هـ / ١٤٤٩ م واشتهر من أحفاده الأمير شرف الدين عيسى الذى عرف بحبه للفقهاء وميله للبر والاحسان واتصافه بالتقوى وتوفى سنة ٨٦٣ هـ / ١٤٥٨ م ومن أولاده الأمير ريان بن أحمد بن عيسى جد الريانة توفى سنة ٨٨٩ هـ / ١٤٨٤ م داود بن سليمان بن عيسى وعبد العزيز وعلى ابنا عيسى بن يوسف * وقد ألف السيد مرتضى الزبيدى رسالة عن نسب الهوراة وأمرائهم بالصعيد سماها :

رفع الستارة عن نسب الهوراة (١)

وبالرغم من أن المالك هم الذين أنزلوا الهوراة الى الصعيد واقطعهم الأقطاعات الواسعة فقد ترمد الهوراة عليهم كثيرا ، ووقعت احداث كثيرة بين أولاد عمر والمالك سنتناولها بالتفصيل عند الحديث عن علاقة الهوراة بالمالك *

(١) مرتضى الزبيدى : شرح القاموس ج ٣ ص ٦٣٤ . وقد بحث كثيرا من هذه الرسالة بين مخطوطات دار الكتب ومعهد المخطوطات العربية فلم أعثر عليها ويبدو أنها فقدت .

وقد أدت فتن أولاد عمر الى محاولة المماليك عزلهم واعادة فرع اسماعيل بن مازن الى اماره الهوارة الذين رفضوا ذلك فاضطرت السلطات المملوكية لاعادة الامارة لأولاد عمر سنة ٨٤٤ / ١٤٤٠ م على عهد الأمير اسماعيل بن يوسف بن عمر بن عبد العزيز الهواري (١) .

واستمر الأمراء من أولاد عمر يحكمون الصعيد حتى سنة ٩٨٣ هـ / ١٥٧٥ م (٢) ثم كان للشيف همام بن يوسف وهو منهم السيادة على الصعيد في النصف الأول من القرن الثامن عشر ونحو عشرين عاما من النصف الثاني منه .

استقرار الهوارة بالصعيد

وقد حدث للهوارة عندما نزلوا الى جرجا ما حدث لمعظم القبائل العربية المهاجرة فاستقرت طوائف منها واشتغلت بزراعة قصب السكر وقد اشتهر محمد أبو السنون بن عمر بن عبد العزيز الهواري بأنه أكثر من زراعة قصب السكر واقامة الدواليب للسكر واعتصامه وأثرى من وراء ذلك ثراء طائلا (٣) .

ولم تنتقل هوارة الى الصعيد الا بعد انقضاء الأحداث العنيفة التي وقعت بين المماليك وعرب الصعيد فقد كان عرب الصعيد كثيرى الماطلة في دفع الخراج المستحق عليهم فضلا عن فتنهم المستمرة والتي قابلها المماليك بأعنف وسائل القمع والارهاب وكان من أبرزها :

حركة الشريف حصن الدين ثعلب سنة ٦٥١هـ / ١٢٥٣م (٤) .

وثورة منفلوط وأسيوط سنة ٧٠١هـ / سنة ١٣٠١م (٥) ثم حلف ابن الأحطب سنة ٧٥٤هـ / سنة ١٣٥٣م (٦) .

وقد حفل تاريخ ابن اياس وكتاب السلوك للمقريزى بذكر الكثير من ثورات عرب الصعيد ضد السلطات المملوكية التي كانت تهتم بقمع تلك الثورات وحركات التمرد التي كان يقوم بها هؤلاء العرب وكان

(١) الحافظ محمد السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة سنة ١٣٥٢هـ ج ٢ ص ٥٠ .

(٢) علي مبارك : الخطط التوفيقية ج ١٠ ص ٥٤ .

(٣) المقريزى : البيان والاعراب ص ٦٠ .

(٤) عن حركة الشريف حصن الدين انظر ص ١٠ ، ١١ من المقدمة .

(٥) عن ثورة منفلوط وأسيوط انظر ص ١١ من المقدمة .

(٦) عن حلف ابن الأحطب انظر ص ١١ من المقدمة .

الوزراء بأنفسهم يقودون أحيانا الحملات لقمع عرب الصعيد كما حدث سنة ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م حينما خرج الوزير شمس الدين سنقر الأعسر على رأس حملة الى الوجه القبلي لردع العرب الذين كثر عبثهم وفسادهم وامتناع كثير منهم عن دفع الخراج المستحق على اقطاعاتهم .

وقد انتهت هذه الحملة بقتل المتمردين ومصادرة جميع الخيول التي ببلاد الصعيد ومصادرة سلاح أهل الصعيد جميعا من فلاحين وعربان ومصادرة الكثير من جمالهم أيضا ، وهنا :

« ذل العرب وقدموا الخراج (١) »

وفي عهد السلطان الناصر محمد :

تمرد عرب الصعيد أيضا وأفسدوا البلاد فخرج اليهم السلطان شخصيا على رأس حملة لمعاقبتهم وضيق عليهم السلطان الخناق حتى لقد وصلوا كما ذكر ابن أياس (٢) .

(الى الجبال فماتوا من الجوع والبعثش فأسر منهم نحو نصفهم وحملهم الى القاهرة في مراكب حيث سجن منهم جماعة واستخدم الآخرين في حفر الجسور وهم في جنازير الحديد) .

وهكذا .. لم تنتقل هواراة الى الصعيد الا بعد انقضاء الأحداث الغريبة التي وقعت بين الماليك وبين عرب الصعيد والتي قابلها الماليك بقوة بالغة ، اضطرت كثيرا منهم الى الاختفاء أو الهجرة الى السودان فقل عدد العرب المقيمين في أرض الصعيد وأطرافها ، ومن المؤكد أن هذا كان السبب الرئيسي لسرعة استقرار الهواراة في الصعيد فانهم عندما هاجروا الى جرجا في تلك الظروف لم يجدوا مشقة تذكر في السيطرة على الجانِب الغربي من الصعيد فاستوطنوه وعظم أمرهم واشتد بأسهم .

ومن الأسباب الأخرى التي ساعدت على استقرار الهواراة بالصعيد اشتغالهم بالزراعة وارتباطهم بالأرض بالإضافة لطبيعة الصعيد المحافظة وحدوده الطبيعية المغلقة التي تخالف طبيعة الوجه البحري المفتوحة والتي ساعدت عربيه على استمرار تمردهم ضد السلطات الحاكمة وفرارهم الى الصحراء الغربية أو الى سيناء أو غزة يحتسون بها من حملات الدولة جيشا كان يفعل دائما أولاد بقر بلشرقية (٣) وعرب البحيرة الذين كانوا

(١) القريزي : السلوك ج ١ قسم ثالث ص ٩١٤ .

(٢) ابن أياس : بدائع الزهور ج ١ ص ١٥٨ .

(٣) ابن أياس : ج ٣ ص ٩١ .

يهزبون الى برقة ومنها الى بلاد المغرب (١) .

وينقسم هواراة الصعيد الى فروع عدة منها (٢) :

أولاد على ، البلايش ، السماعنة ، الفضيلات ، والوشاشيات .

ثم الهمامية وهم من نسل همام سيبك الجد الأعلى لشيخ العرب
همام بن يوسف فهو :

همام يوسف أحمد محمد همام عمر ريان همام سيبك وهذا الفرع
هو الذى كانت له السيطرة على الصعيد فى النصف الثانى من القرن
الثامن عشر م / ١٢ هـ .

وقد غدا الهواراة فى الصعيد من كبار الملاك (٣) وتمتعوا بشراء
طائل ووقفوا على أولادهم أوقافا هائلة كان أبرزها ما فعله الأمير همام
سيبك جد الهمامية والذى أوقف على ذريته مساحة وقدرها ٢٤٢ ألف
فدان من الأراضى الزراعية امتدت من سواقي موسى بالجيزة الى قنا فى
نواحي اصغون والأقصرين ، شهنور ، قنا ، والوقف ، هو ، وبهجورة ،
وعزب المصرى والقصر وفرجوط وسهودة وبلاد المال والبلينا ، وحوض
جهينة والمنفلوطية وسواقي موسى ومنية ابن خصيب (٤) .

وباستقرار الهواراة فى الصعيد ابتداء من سنة ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م
مارست طوائف منهم الزراعة ، وبقيت طوائف أخرى تعيش حياة تشبه
حياة البدو زحفت الى أسوان وتحالفت فى بادية الأمر مع بنى الكنز (٥)

(١) ابن اياس : ج ١ ص ١٦٠ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٣٤٨ .

(٢) محمد عمر الهوارى : لقب أمير الصعيد الهواراة ونسبهم . الببلاغ
١٩٣٤/٢/٢٥ .

(٣) Girard, (P.S.) "Mémoire sur L'Agriculture, industrie, et
Le commerce de l'Egypte" in Description de l'Egypte, Vol. Dix-
Septième, Seconde Edition, (Paris, 1830), p. 39.

(٤) حجة شرعية رقم ٧٥٧ مطبوعة رقم ٤ دفترخانة محكمة قنا الشرعية .

(٥) بنو الكنز :

أسلمهم من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وكانوا ينزلون المياه ثم قدموا الى مصر
فى خلافة المتوكل فى سنة ٢٤٠هـ/٨٨٤م فى عدد كثير وسكنوا أسوان شال
النوبة ، وكانت البجة تشق الفارات على أطراف مصر الجنوبية فخاربتهم ربيعة حتى تغلبوا
عليهم وسيطروا على بلادهم ثم تزوجوا منهم ونشروا بينهم الاسلام ثم استولوا على معدن
الذهب بالملاقى فكثر أموالهم واتسعت أحوالهم ورأس عليهم اسحاق بن بشر مدة ثم
قام نزاع بينه وبين أقاربه من بنى يونس من ربيعة أيضا وكانوا قد ملكوا عيذاب عند
قدمهم من اليمامة فخاربتهم وهزمهم وطردهم من عيذاب الى الحجاز ، ولكنه لم يلبث أن =

الذين دأبوا على مهاجمة أسوان فقد أثر تلاشي أهمية قوص وأسوان
وتفرهما عذاب لتحول الحجاج والتجارة الهندية عنهم في موقف بنى
الكنز فتحولوا الى مشاغبين ينهاون ويسلبون الأهالي فأعزت الحكومة بهم
الهوة الذين زحفوا على أسوان فحاربوهم واجلوهم عنها نهائيا سنة
٨١٥ هـ / ١٤١٢ م فتشتت أبناء الكنز بعد ذلك في بلاد النوبة
والسودان (١) .

وقد زحفت جماعات من الهوة من سنة ٨٠٠ هـ / ١٣٩٧ م :
سنة ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م الى جنوب الوادي ودخلت السودان واشتغل
بعضهم بالتجارة في شمال دارفور وهؤلاء يدعون الى اليوم باسم الهوة
الجلابة (٢) .

وقد سبقت هجرة هؤلاء الى السودان هجرة فريق آخر من الهوة
دخل السودان منذ قدومه من البخيرة وهم يكونون قبيلة مستقلة تعرف
باسم الهواوير تسكن بجوار الكبابيس وتشتغل بالرعي وهم يمتازون
بالصفات القوقازية ولم يختلطوا بغيرهم من عناصر الجنوب بخلاف

= قتل في نزاعه من بني بشر عشيرته فلهذا فاحضروا اليهم من بليس رئيسا آخر هو ابن
عم اسحاق بن بشر المقتول وعرف الرئيس الجديد باسم أبي يزيد بن اسحاق بن ابراهيم
ابن مروق واليه ينسب كنز الدولة حامى أسوان . ولم يزل أبي يزيد رئيسا على دبيعة
حتى مات فقام برباستها بعده ابنه أبو المكارم حبة الله ويعرف بالأموج الطاع وهو الذى ظفر
بأبي ركة الأموى الخارج على الحاكم بأمر الله الفاطمى سنة ٤١٢هـ / ١٠٢٠م فأكرمه الحاكم
أكراما عظيما ولقبه كنز الدولة وهو أول من لقب بذلك وقد عرفوا ببني الكنز منذ ذلك
الحين وظلت الامارة على الصعيدي فهم حتى أيعدهم صلاح الدين عن أسوان سنة ٥٧٠هـ
لقيامهم بالثورة ضده تشيما للفاطميين الذين أجلسوا لهم .

المريزي : البيان والاعراب من ص ٤٨ الى ص ٥٠ .

وقد عادت لهم امرة الصعيد في عهد المماليك وعرفوا بالحدادية وكانت لهم امرة عربان
الوجه القبلى من قوص الى آخر حدود مصر الجنوبية كما ذكر السيد سليمان عبد الرحمن في
صحيفة البلاغ ١٩٣٤/١/١٥ . مقال بعنوان ولاية الصعيد .

وقد ذكر القلقشندي هذا في كتابه صبح الاشبى ج ٤ ص ٦٩ : واستمروا على ذلك
حتى نزل الهوة الى الصعيد وقد كان بنو الكنز حينئذ في حروب مستمرة مع الحكومة
الركزية فغنى الهوة على سيادتهم على أسوان وأزاحوهم عنها سنة ٨١٥هـ / ١٤١٢م وكانت
الحروب بينهم سجالا بعد ذلك بكثير .

(١) أحمد لطفى السيد : مقال لقب أمير الصعيد بين الكنوز والهوة ، البلاغ
١٩٣٤/١/٢٠ .

(٢) د. محمد عوض محمد : السودان الشمالى - سكانه وقبائله - القاهرة سنة
١٩٥٦م ص ٢٤٩ .

اقاربهم الجلابة في دار فور الذين يعيشون حياة أكثر استقرارا والذين تسربت اليهم بعض الدماء الغريبة عنهم (١) .

وعندما هاجرت هواره الى الصعيد كان عددها يصل الى نحو أربعة وعشرين ألف نفس (٢) .

وقد بقيت بقايا من الهواره في البحيرة لم تهاجر الى الصعيد وما تزال حتى اليوم لها مقر في مريوط. وما حولها (٣) .

وقد عرفت بقايا الهواره بالبحيرة باسم هواره بحرى وكانت العلاقات بين هواره بحرى وهواره قبلى تتأرجح بين تبادل الود أحيانا والعداء الشديد فى أحيان أخرى .

ومن النوع الأول ما ذكره الجبرتي ... من استنجد هواره بحرى بهواره قبلى عندما اعتدى أحد الأمراء المماليك وهو محمد جلبي الصابونجي على أملاك كبير من كبارهم توفى (فارسى أولاد المتوفى عرفوهم أن بلاد أسلافهم أخذها ابن الصابونجي ونازل يتصرف فيها وطلبوا منهم معونة) .

... فأرسلوا لهم هواره وعبيداً فحاربوه وغلبوه كما ذكر الجبرتي (٤) .
ولما رفض تسليمهم الأرض المفتتحة توسط لهم هواره قبلى عند كبار أمراء المماليك الذين تحدوه وقتلوه وعادت الأرض لهواره بحرى بمعونة هواره قبلى سنة ١١٦٧ هـ / ١٧٥٣ م .

ولكن بعكس ذلك نجد أن هواره بحرى صاحبوا الحملة التي قادها محمد بك قطامش سنة ١١٢٣/١١٢٤ هـ ، ١٧١١/١٧١٢ م عندما عين حاكماً لجرجا وخرج الى هواره قبلى ومعه ألف جندي لمعاقبتهم لحضورهم الى القاهرة مع الحاكم السابق لجرجا محمد بك الصعيدى واشتراكهم فى

(١) ليس هناك اليوم أى صلة بين الهواره النازحين الى السودان وبين هواره الصعيد كما أخبرنى الآخرون عند تردى عليهم .

(٢) د. إبراهيم على طرخان : النظم القطاعية فى الشرق الأوسط فى المصنوع الوسطى . دار الكتاب العربى القاهرة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ص ١٥٦ .

(٣) أحمد لطفى السيد - قبائل العرب فى مصر المليقات والمجافرة وقبائل أخرى القاهرة ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م ص ١٥ .

(٤) الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ٢٠٦ .

أحداث فتنة أفرنج أحمد (*) .

وعندما وصلت التجريدة (الحملة) الى جرجا (تسلط عليهم هوارة بحرى ونهبوا * واشييم وأغناهم ومتاعهم وطواحينهم) (١) .

وقد هزم الهوارة أمام محمد بك قطامشى فنهب أموالهم وقتل رجالهم وهرب الباقيون بعد ذلك الى الجبل ولم يعودوا الى ديارهم الا بعد صدور العقو عنهم من الباشا بوساطة أمير مملوكى صديق لهم هو الامير ابراهيم بك أو شنب (٢) .

أما العلاقات الودية التى كانت تربط بين هوارة بحرى وهوارة قبلى فهذا النوع من العلاقات بين قريقتين ينتمون الى أصل واحد شىء طبيعى جدا * .

أما العلاقات العدائية بينهما فشىء لانتغريه اذا ما عرفنا أن هوارة قبلى أنفسهم كثيرا ما كانوا يتنازعون فيما بينهم .

وأول زعيم لهوارة الصعيد وهو اسماعيل بن مازن مات مقتولا بيد أحد أقاربه وهو على بن غريب (٣) .

وكثيرا ما قام العداء والصراع بين أبناء الهوارة فى الصعيد وكان الصراع بينهم يصل الى حد يقلق السلطات المملوكية فترسل لهم حملات خاصة لفض ما بينهم من نزاع ويحفل تاريخ ابن اياس بذكر الكثير من تلك الحملات نذكر منها على سبيل المثال :

فى حوادث سنة ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م يحدثنا ابن اياس (٤) عن خروج حملة بقيادة الأمير يشبك الى جهة الوجه القبلى بسبب تلك الفتنة التى وقعت بين يونس ابن عمر وبين داود بن عمر قريبه (ابن عمه) .

وفى سنة ٨٩١ هـ / ١٤٨٦ م يذكر ابن اياس (٥) أيضا ما كان من توجه آقبردى اللودار الى جهة الصعيد بسبب فساد أولاد عمر وصراعهم بعضهم مع البعض .

(*) سنتناول الأحداث التى وردت فى هذه الصفحة بالتفصيل فى الفصل التالى عند الحديث عن علاقة الهوارة بحكام جرجا .

- (١) نفس المرجع ج ١ ص ٤٧ .
- (٢) مصطفى ابراهيم : تاريخ وقائع مصر القاهرة كنافة الله تعالى فى أرضه ص ١٨ .
- (٣) القريزى : البيان والاعراب ص ٦٠ .
- (٤) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٢ ص ١٨١ .
- (٥) نفس المرجع ص ٢٢٣ ج ٢ .

وعندما انتقل الهوارة الى الصعيد كانت أبرز مدنه حينئذ قوص واخميم ولم تكن جرجا مشهورة حتى نزل بها الهوارة فاشتهر أمرها وصارت فيما بعد عاصمة الصعيد واستمرت كذلك حتى نهاية النفوذ الفعلي للهوارة بعد القضاء على الشيخ همام حيث انتقلت العاصمة الى أسيوط وتوارت جرجا وتوارى معها الهوارة الى الظل (١) وأصبح بك الصعيد لا يقضى بجرجا سوى نصف العام فقط والنصف الثاني يقضيه في أسيوط التي غدت أعظم مدن الصعيد بعد أن كانت جرجا هي التي تحتل تلك المكانة من قبل .

ويتصف هوارة الصعيد عامة بالكرم ودماثة الخلق والتواضع (٢) بالإضافة الى اتصافهم بالشجاعة والاعتزاز بالكرامة ولهم تقاليد وعادات خاصة مثل امتناعهم عن مصاهرة غيرهم بالنسبة لبناتهم فقط فهم يفضلون للفتاة أن تظل عانساً (إذا لم تتزوج مواريا مثلاً) - ولا تتزوج رجلاً من أسرة أخرى وهي عادة ربما ساعد عليها ونماها وجودهم في الصعيد المحافظ حيث للعادات والتقاليد سيادة تشبه سيادة القانون .

ولا يوجد اختلاط بين النساء والرجال في قرى الهوارة فالمرأة الهوارية لا تشارك زوجها في عمله بالحقل (٣) بعكس الفلاحة العادية .

ويمتاز أولاً همام عامة نساء ورجال بالجمال وحسن الهيئة بالإضافة لصفات السابقة للهوارة جميعاً .

وقد اشتهر بنو عمر - (وهم أهم فرع من هوارة الصعيد) بالتقوى (فهم بيت ديانة وعبادة في الجملة لاسيما جدهم عمر) كما ذكر عنهم محمد بن حامد الجرجاوى صاحب مخطوط تعظيم النواحي والأرجاء (٤) .

وقد اهتم الأمراء من أبناء عمر بإنشاء المساجد بجرجا منذ بداية عهدهم فالأمير محمد أبو السبنون بن عمر بن عبد العزيز أنشأ مسجداً بجرجا عرف بالجامع المعلق وذلك في حدود المائة الثامنة تقريباً وذكر عنه محمد بن حامد الجرجاوى أيضاً (٥) .

Browne : Travels, Egypt and Syria from the year 1792 (١)
to 1798, London 1799, p. 129.

- (٢) لمست هذه الصفة في الهوارة عند زيارتي لهم بمواطنهم الحالية بمحافظة قنا .
- (٣) محمد عبد الفتى التفتازانى : امارة الصعيد البلاغ ١٢٧/١٩٣٤ .
- (٤) محمد بن حامد الجرجاوى : مخطوط تعظيم النواحي ج ٣ ص ٦٤ .
- (٥) محمد بن حامد الجرجاوى : مخطوط تعظيم النواحي والارجاج ١ ص ٧٨ .

أنه من أجل مساجد جرجا مبنى بالحجر ومشهور بالمعلق لأن
تحتة قيسارية معدة لبيع ماه المورد وشبهه. أى للطيارة .
ومازال هذا المسجد قائما بمدينة جرجا بعد اجراء التجديدات
المستمرة له .

ومن أشهر مساجد مدينة جرجا حاليا جامع الداودية (١) انشاء
الأمير داود بن عمر الذي حكم جرجا من سنة ٩٢٩ : ١٥٢٢/٩٤٣ م وقد
جده شيخ العرب همام القرشوطى سنة ١١٧٩ هـ / ١٧٦٥ م ثم جده
ديوان الأوقاف ورم منارته سنة ١٣١٩ هـ / ١٩٠١ م وتقام به شعائر
الصلاة الى الآن .

وقد اشتهر الهوارة بتقديرهم للعلماء وصلاتهم الدائمة لهم وكثيرا
مازارهم العلماء فى مواطنهم فتلقوهم بالاكرام بل وكانوا يقطعون بعضهم
أراضى ومنازل ويقدمون لهم الخدم والحشم ويستبقونهم معهم لأفادة
الناس وشرح أمور الدين لهم .

فالشيخ ابراهيم المسيرى الذى ترجم له الجبرتى (٢) (بأنه أحد
العلماء الأذكياء ومن أفراد الدهر البحات فى المضلات والذى تخرج على
الشيخ سليمان الزيات وحضر دروس فضلاء الوقت وتلمذ على الشيخ
الحفنى أشهر علماء عصره) .

أرسله أستاذه الحفنى الى الصعيد عندما وصله خطاب من أحد
مشايخ الهوارة ممن يعتقدون فيه يطلب منه أن يبعث اليه بأحد تلاميذه
ليفيد الناس بعلمه بناحية بهجورة وهناك تلقاء الناس (بالقبول التام)
وعين له أمير بهجورة إسماعيل بن عبد الله بن عم الشيخ همام منزلا
واسعا وقدم له خديجا وحشما وأقطعه جانبا من الأرض ليزرعها ففطن
ببهجورة ولعنائة شيخها به انطلق يدرس ويفتى ويقيم مجالس الذكر
(فراج أمرة وراش جناحاه ونفع وشفع وأثرى جدا وتملك عقارات
ومواشى وعبيدا ومزارع) وقد ظل ببهجورة حتى توفى أواخر سنة
١١٨١ هـ .

وكثيرا ما ألف العلماء فى ذلك العصر القصائد لمجد الهوارة
والاشادة بكرمهم وحسن معاملتهم لهم .

فالشيخ عبد القادر بن خليل الرومى الأصل (أى التركى
الأصل) والذى عرف بكذك زادة والذى ترجمه الجبرتى (٣) .

(١) نفس المرجع السابق ج ١ ص ٧١

(٢) الجبرتى : عجائب الآثار ج ١ ص ٢٨٦ .

(٣) الجبرتى : ج ١ ص ٣٧٨ .

بأنه ولد في مكة سنة ١١٤٠ هـ / ١٧٢٧ م ونشأ بها وحفظ القرآن واشتغل بالعلم على علماء بلده والواردين عليه وسبع أكثر كتب الحديث على أشهر شيوخ الحديث وولى الخطابة والامامة بالروضة المطهرة .

ثم حضر الى مصر وتلمذ على أيدي أشهر مشايخ العصر مثل الجوهري والحفني والملوي والبلبيدي ثم قام بعدة جولات في تركيا والحجاز والشام واليمن دخل أثناءها الصعيد من طريق القصير وزار مشايخ عربان الهوارة ومدحهم بقصائد طنانة (لآكرامهم له .

ومن أشهر العلماء الذين اختلطوا بالهوارة الشيخ محمد مرتضى (١) الزبيدي الذي حظي باكرامهم وتقديرهم وخاصة في عهد شيخ العرب همام وقد اهتم هذا الشيخ بمعرفة أنساب الهوارة وأصولهم والف لذلك رسالته التي سماها :

رفع الستارة عن نسب الهوارة

وقد ظل الكثيرون من علماء ذلك العصر يلازمون الهوارة ولم يغادروا الصعيد الا بعد أن أخنى عليهم الدهر بعد انتهاء عهد الشيخ همام ومثال ذلك :

الشيخ علي الشيبيني الشافعي (٢) الذي تعلم العربية والفقه على مشايخ عصره ثم توجه الى الصعيد واختلط بأولاد تمام أبناء عم الشيخ همام في بيح القرمون (٣) وتمتع بحبهم وسكن عندهم مدة .

وعندما تغيرت أحوال الصعيد غادره الشيخ الى القاهرة وتوفي بها سنة ١١٨٥ هـ / ١٧٧١ م .

(١) الجبرتي : ج ٢ ص ١٩٦ .

(٢) نفس المرجع ج ١ ص ٣٧٠ .

(٣) بيح القرمون : قرية بين دشنا وقنا وكانت ذات ايراد وافر وأراضي خصبة وقد ذكرها الجبرتي باسم بيح القرمون .

وقد اندرست هذه القرية وألغيت في تاريخ سنة ١٢٣١ هـ .

محمد رمزي :

القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين الى سنة ١٩٤٥ القسم الأول البلاد المتدرسة مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٣/١٩٥٤ .

علاقة الهوارة بالماليك

وقد كانت علاقة الهوارة بالماليك علاقة عدائية (١) شأنهم في ذلك شأن سائر العرب القاطنين في مصر ، فقد أنف العرب من الخضوع لدولة الماليك بمصر ووصفوا السلطان أيك أول سلطان مملوكي بأنه مملوك قد مسه الرق وقالوا عن الماليك بوجه خاص :

انما هم عبيد للخوارج أى للأيوبيين .

وقالوا أيضا :

نحن أصحاب البلاد ونحن أحق بالملك من الماليك وكفى اننا خدمنا بنى أيوب وهم خوارج خرجوا على البلاد (٢) ويقصد بالخوارج الذين خرجوا على الدولة الفاطمية وأزالوها وقد بدأت مشكلة كراهية العرب للماليك وثوراتهم المستمرة ضدهم منذ بداية العصر المملوكي حتى نهايته .

والعامل الأساسي في ثورات العرب هو الكراهية العنصرية للماليك .

الذين مسهم الرق ويعتقد العرب أنهم أرفع مكانة من هؤلاء الماليك وانهم الأولى بالحكم والولاية (١) .

وقد اشتد خطر العرب في الصعيد وقاموا بثورة عارمة في سنة ١٣٠١/٧٠٢ م في منفوط وقد أحمده الماليك هذه الثورة بمنف بالغ مما أدى الى كسر شوكة العرب .

وان كانت حركاتهم وثوراتهم وتمردهم لم ينقطع فان ذلك لم ينفذ يتخذ شكلا سياسيا وانما اتخذ صورة اقتصادية فكانوا يتطردون في نهب الغلال وسلب المواشي وأحيانا يدفعهم الضيق الاقتصادي الى الامتناع عن دفع الخراج والضرائب المقررة عليهم ومن هذا النوع كانت حركة ابن الاحدب شيخ قبيلة عرك في الصعيد سنة ٧٥٤ هـ / ١٣٥٣ م .

(١) د. سعيد عبد الفتاح عاشور :

المجتمع المصري في عصر سلاطين الماليك . الناشر دار النهضة العربية سنة ١٩٦٢ طبعة أولى ص ٥٢ القاهرة .

(٢) ابراهيم علي طرخان :

مصر في عصر دولة الماليك الجراكسة ١٢٨٢/١٥١٧ . القاهرة مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٦٠ ص ٢٦٧ .

ومن هذا النوع أيضا كانت حركات الهوارة التي قاموا بها ضد السلطات المملوكية منذ نزولهم الصعيد .

فبالرغم من أن السلطان برقوق هو الذى أنزلهم الصعيد قبيل منبسطته واقطعهم الإقطاعات الوافرة فانهم ثاروا أكثر من مرة .

ففى سنة ٧٨٩ هـ / ١٣٩٦ م ثار الهوارة فى الصعيد مطالبين بمنع ارسال القود (١) المطلوب منهم وقتلوا نائب الوجه القبلى (١) واتجهوا الى أسوان واضطروا واليها الى الفرار (٢) وظلوا كذلك حتى استطاع السلطان برقوق اخضاعهم والقضاء على تمردهم .

وللمجد من قوة الهوارة ومنع تكرار ثوراتهم استعان بهم السلطان برقوق كبحارين فى جيشه سنة ٧٩١ هـ / ١٣٨٨ م .

ومن ذلك . . استمر الهوارة يخنأولون التمرد ويشتركون فى الأحداث السياسية الجارية حسبما تتطلب مصالحهم .

ففى عام ٧٩١ هـ / ١٣٨٨ م استأل الأمير مبارك شاه نائب الوجه القبلى عرب هواره للتمرد ضد السلطان برقوق فوافقوه خدمة لمصالحهم واشتركوا معه فى تمرده ضد السلطان (٣) .

(١) عن القود انظر ص ١٢ من القائمة .
(٢) اجرت ثورات الهوارة فى الصعيد الى جانب الاخطار التى مهدت البلاد من الجنوب الى أن ينشئ السلطان برقوق نيابة للوجه القبلى أسوة بالوجه البحرى الذى كانت هذه الوظيفة مستخدمة بالنسبة له أيضا فى عصر دولة المماليك الجراكسة . ففى الدولة السابقة لها أى دولة المماليك البحرية . كان يوجد كاشف للوجه البحرى يمتد نفوذه على جميع الأقاليم الدنيا . وآخر للوجه القبلى يمتد نفوذه على جميع أقاليم الصعيد وجرى الإصطلاح بتسمية هذا الكاشف والى الولاية وتمتع بنفوذ كبير .

ولم يكن هناك سوى مدينة الاسكندرية التى كان لها نائب للسلطان بسبب كثرة عدوان الافرنج عليها وبسبب كثرة عدد الجاليات الأجنبية بها لأنها غدت ثغر مصر الأول منذ سنة ١٣٦٥ م مما تطلب إعطائها قسما خاصا من العناية الادارية .

والبحيرة أيضا كان يحكمها نائب للخوف من كثرة الأعراب بها وما يقومون به فيها من فتن وثورات بين آن وآخر .

د . سيد عبد الفتاح عاشور : مصر المماليكى فى مصر والشام ، القاهرة ١٩٦٥ ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ .

(٢) د . حكيم أمين عيد السيد قيام دولة المماليك الثانية ص ١٢٠ .

(٣) جمال الدين أبو المعاسين يوسف :

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . القاهرة ١٩٥٠ ج ١١ ص ٣٥٣ .

وكانت أهم حركات التمرد التي قام بها الهوارة في العصر المالكي تلك التي وقعت في سنوات ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ (٢) م في عهد السلطان جقمق (٨٤٢/ ٨٥٧ هـ / ١٤٣٨/ ١٤٥٣ م) .

عام ٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ حينما تمرد أولاد عمر

عام ٨٨١ هـ / ١٤٧٦ م

حيث اشترك الهوارة مع شيخ قبيلة عرك بالصعيد في التمرد ضد السلطان (٢) .

وبالرغم من مواجهة المالك لهذا التمرد بكل قسوة وشدة عاد الهوارة الى التمرد في العام التالي سنة ٨٨٢ هـ / ١٤٧٧ م وطردوا نائب الوجه القبلي برسبای وأحمد المالك تلك الحركة أيضا بكل قسوة وشدة فقد أمر السلطان بقطع رأس يونس بن عمر أمير هوارة (٣) الصعيد حينئذ وكل بأقاربه تنكيلا قاسيا .

ورغم استعمال المالك لأشد وسائل العقاب بالنسبة للهوارة المتمردين فإن الهوارة لم ينقطعوا عن التمرد فثاروا أكثر من مرة ثاروا في سنة ٨٩٢ هـ / ١٤٨٦ م .

وقد انتقم منهم المالك في هذه المرة شر انتقام اذ أرسل لهم السلطان قايتباي (٨٧٢ هـ / ١٤٦٧/٩٠١ م / ١٤٩٥ م) حملة بقيادة الأمير أقبردى الدودار الذي شتتهم وبألف في تعذيبهم حتى انه دفن الكثيرين منهم أحياء وعاد بكثير من الأسرى وباعهم في أسواق القاهرة ببيع الرقيق (٤) .

واستمر تمرد الهوارة على المالك حتى أواخر العصر المملوكي ففي سنة ٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ قام الهوارة بأعنف حركات التمرد ورفضوا ارسال الغلال والأموال المطلوبة منهم (٥) .

وقد أدى تمرد الهوارة المستمر وثوراتهم الدائمة ضد المالك الى اشاعة جو من عدم الثقة بين المالك والهوارة بدأ ذلك واضحا .

(١) الحافظ محمد السخاوي :

التبر المسبوك في ذيل السلوك . بولاق سنة ١٨٩٦ م . ص ١٩٩ .

(٢) ابن اياس بدائع الزهور ج ٢ ص ١٧١ .

(٣) محمد بن حامد الجرجاني : مستوطنة تطير النواحي ج ٣ ص ٩٤ .

(٤) د. ابراهيم طرخان : دولة المالك الجراكسة ص ٣٦٨ .

(٥) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٥٤ .

فيما كان من رفض السلطان طومان باى اشتراك الهوارة معه فى آخر معاركه ضد العثمانيين رغم حاجته الى مزيد من القوات فى ذلك الوقت لأنه أحس أن وجودهم بين صفوفه سيمثل شوكة فى جنبه تؤرقه أكثر مما يؤرقه جهاده ضد العثمانيين (١) .

وبالرغم من جو عدم الثقة الذى كان بين طومان باى والهوارة فقد اضطر طومان باى الى اللجوء الى الهوارة بعد دخول السلطان سليم القاهرة وطلب مناصرتهم له ضد العثمانيين فى مقابل اعفائهم من الخراج لمدة ثلاث سنوات .

ولكن الهوارة أبوا مناصرته وقالوا :

(قد بلغنا أن الروم تقاتل بالنار ومن يطيق النار فانشئ راجعا) (٢)
فقد خشي الهوارة مناصرة طومان باى لئلا يكون ذلك سببا للعداء بينهم وبين العثمانيين وتعرضهم لفضيهم وتمثل ذلك فى قول أميرهم على بن عمر للسلطان طومان باى عندما لجأ اليهم طالبا ايواءه ومساعدته .

(لا نؤوى من عصى السلطان لئلا نبطل ببلائه) (٣) .

وقد حفظ السلطان سليم لأبناء عمر هذا الجميل فأبقاهم فى حكم الصعيد (٤) .

علاقة الهوارة بالعثمانيين

وقد عقد العثمانيون مع القبائل العربية اتفاقات Treaties (٥) ، أقروا فيها سيادة شيخ تلك القبائل على المناطق التى كانت لهم السيادة فيها من قبل فى العصر المملوكى ، وذلك مقابل تعهد هؤلاء الشيوخ بحفظ الأمن وتنمية الزراعة وجمع الضرائب ، وفى مقابل ذلك اعترف العثمانيون بمراكز تلك القبائل وتركوا له حرية التصرف فى أراضيها ومن هذه القبائل كانت قبيلة الهوارة وقد أشسار ابن زنبل الى ذلك بقوله :

(١) د- ابراهيم طرشان : دولة المماليك المراكسة ص ٣٦ .

(٢) أحمد بن زنبل الرمال : تاريخ السلطان سليم مع السلطان قانصوم النورى القاهرة سنة ١٢٧٨هـ ص ٤٦ .

(٣) محمد بن حامد الجرجاوى : مخطوط تصدير النواحي والأرجاج ١ ص ٢٨ .

(٤) Holt (P.M.) The pattern of Egyptian political history from 1517-1788 in political and social change in Modern Egypt. p. 81.

(٥) ShaW. The financial and Administrative organization, p. 13.

(دخل السلطان سليم بعد دخوله القاهرة على شيخ العرب حماد شيخ عرب غزالة باقليم الجيزة وجاء اليه الأمير على بن عمر شيخ هوارة فخلع عليه بأمرية الصعيد بمدينة جرجسا وخلع على علم الدين شيخ بني عدى وكتب لهم التواقيع بذلك وخلع عليهم وانصرفوا) (١) .

وقد كانت علاقة الهوارة بالعثمانيين ودية للغاية فى عهد السلطان سليم وابنه سليمان .

وقد بلغ من طيب العلاقات بين الطرفين ان الأمير على بن عمر شيخ الهوارة وحاكم الصعيد ، أرسل هدية حافلة للسلطان سليم سنة ٩٢٤هـ / ١٥١٨ م بلغ من أهميتها انها قدمت للسلطان بعد تقديم هدية خاير بك وصاحب اليمن .

وكانت هدية حافلة حوت مائتي قنطار سكر ، رقيقا ما بين عبيد وجوار ، وخيل وجمال وغير ذلك .
وقد أرسل الأمير على بن عمر هذه الهدية مع رسول خاص من طرفه (٢) .

وقد سر السلطان سليم من هذه الهدية وأعاد الرسول محملا بهدية حافلة منه للأمير على بن عمر وكانت هدية السلطان تشتمل على ملابس فخمة (قفطين) مع مرسوم باستمرار الأمير على فى حكم الصعيد فعظم شأن الأمير على بهذه الهدية وهذا المرسوم .

وفى عام ٩٢٧ هـ / ١٥٢٠ م أرسل الأمير على بن عمر أيضا هدية حافلة للسلطان سليم قيل انها قومت بستين ألف دينار (٣) .

وقد أقر السلطان سليمان بدوره الأمير على بن عمر على حكم الصعيد فأرسل له سنة ٩٢٨ هـ / ١٥٢١ م قفطان حرير ومرسوم شريف بأقراره على مركزه واستمراره فيه .

وقد عظم شأن الأمير على بن عمر فى عهد سليم وسليمان ورأى فى دولتهما من العظمة والعز والجاه والمال ما لم يره أحد من أجداده ولا أقاربه (٤) .

(١) أحمد بن زبيل الرمال : تاريخ السلطان سليم ص ١١٤ .

(٢) ابن أبياس : بدائع الزهور ج ٣ ص ١٦٨ .

(٣) ابن أبياس : بدائع الزهور ج ٣ ص ٢٨٤ .

(٤) ابن أبياس : بدائع الزهور ج ٣ ص ٢٥٥ .

ولكن العلاقات سمات بعد ذلك بين الهوارة والعثمانيين فعزل العثمانيون الهوارة من حكم الصعيد سنة ٩٨٢ هـ / ١٥٧٦ م وعهدوا بالحكم فى الصعيد الى أحد بكوات الممالك وهو سليمان جنبلاط (١) .

وقد ذكر على مبارك (٢) أنه رأى المرسوم الذى تضمن ذلك فى كتاب لم يستطع الوقوف على اسمه ولا اسم مؤلفه .

وقد ذكر المرسوم : ما كان للهوارة من سيطرة على الصعيد مقابل تعهدهم بجمع المال والغلال المقررة للدولة وتقديمها اليها وكيف أهل الهوارة فى أداء تلك المهمة ، وقصروا فى تحصيل الخراج اللازم وظلموا أهل الصعيد ونهبوا أموالهم وأنانهم ولم يهتموا بعمارة الجسور ولا بشئون الزراعة . لذا غضبت عليهم الدولة وأمرت بمنعهم من حكم الصعيد وعهدت به لأهراء الممالك .

وهكذا فقد الهوارة ما كان لهم من سيطرة ونفوذ فى الصعيد نتيجة لعودتهم لسياسة التمرد وقطع الأموال والغلال المطلوبة منهم تلك السياسة التى مارسوها من قبل فى العصر المملوكى والتى كانت الطابع المميز لجميع العرب فى مصر .

وعند ادخال نظام الالتزام الى الصعيد فى الربع الأول من القرن السابع عشر (٢) سيطر الهوارة على مساحات واسعة من أراضى الصعيد عن طريق شيوخيهم على مناصب الملتزمين فى الصعيد ، فلم يكن فى الصعيد حينذاك من هم أغنى من الهوارة ولا من هم أكثر عصبية قبلية منهم ، لذا كان من الطبيعي أن يسيطر الهوارة على أراضى الصعيد بالالتزام ، وقد كان الهوارة من الفئات التى سمح لها بأخذ التزام الأراضى الزراعية منذ بداية ادخال هذا النظام الى مصر (٣) .

وبسيطرة الهوارة على معظم أراضى الصعيد بالالتزام عادت اليهم السلطة والسيطرة على الصعيد ولكن فى ظل الادارة المملوكية العثمانية وتابع الهوارة سياستهم فى التمرد على السلطات الحاكمة ومحاوله الامتناع عن تقديم المطلوب منهم من أموال وغلال .

(١) Vansleb : The present State of Egypt, p. 91.

(٢) على مبارك : الخط التوفيقي ج ١٠ ص ٥٣ الى ٥٥ .

(٣) Shaw : The financial and administrative organization

(٤) حسين أفندى الروزنامى ترتيب الديار المصرية فى عهد الدولة العثمانية نشر وتحقيق : محمد شفيق غريال مجلة كلية الآداب المجلد الرابع الجزء الأول مايو سنة ١٩٣٦ .

الباب السابع السؤال الأول فى تعريف التزام الملتزمين ص ٣٦ .

... ففي عام ١١٠٧هـ / ١٦٩٥م تمرد الهوارة على بك جرجا عبد الرحمن بك (١) وعصوه وامتنعوا عن دفع الأموال والغلال المطلوبة منهم .

فأصدر الينايشا أمره بمحاربتهم وأرسل لهم حملة ضمت ثلثا من البكوات المالك مثل ابراهيم بك الصغير ، وحسن آغا بلغيا ومصطفى كتحدا القازدوغي ، انضمت تلك الحملة الى قوات عبد الرحمن بك الذي تولى القيادة وقد صاحب تلك الحملة هوارة بحرى ورجال الأمير حسن الاخيمسي حاكم اخميم ومنافس الهوارة على السيطرة على الصعيد .

وقد انتهت الحملة بهزيمة الهوارة ونهب عبد الرحمن بك لأموالهم وقتله لرجالهم ، وهرب الهوارة الى الجبل ودخل عبد الرحمن بك الى فرشوط مقر الهوارة ومقلهم الرئيسي ووضع يده على ما فيها من مخازن غلال ، وحاول بالاتفاق مع مجموعة من امراء مصر حرمان الهوارة من أراضيهم بتحويلها بالالتزام الى حيازته هو مع هؤلاء الامراء شركة وكتبوا للبدولة يطلبون ذلك .

ولكن هذا الأمر لم يتم لعزل عبد الرحمن بك من ولاية جرجا حيث انتقم منه الهوارة بمطالبتهم بما خسروه أثناء حملته عليهم واثاروا ضده زملاءه المنافسين له حتى قتلوه .

ولما ضعف سلطان العثمانيين بمصر وسيطر المالك على مقاليد الأمور أخذ بك جرجا وحاكمها يتجه ببصره الى القاهرة ويهتم بحوادثها السياسية أكثر من اهتمامه بأمور الصعيد ، وأصبح الوجه القبلي حيث ديار الهوارة منفى وملجأ لكل الأمراء المالك المهزومين أو المنفيين واتباعهم ، وكان هؤلاء في حاجة لسواعد الهوارة وأموالهم ليستعينوا بهم على هزيمة منافسيهم بالقاهرة فبدأ النفوذ يسود الى الهوارة وبدأ الهوارة يتدخلون من جديد من الأحداث السياسية الجارية وفقا لما تمليه عليهم مصالحهم كما كانوا في العصر المملوكي فائناء وقور الصراع بين القفارية والقاسمية سنة ١١٣٧ هـ / ١٧٢٤ م هرب محمد بك جركس القاسمي الى جرجا ليعيد تنظيم صفوفه فأرسل له منافسه الأمير ذو

(١) عبد الرحمن بك :

أصله كاشف الشرقية وقد اشتهر بالفروسية والشجاعة . تولى ولاية جرجا سنة ١١٠٧هـ / ١٦٩٥م حيث عصاه الهوارة عن دفع المال والغلال المطلوبة منهم فحاربهم وهزمهم ثم عزل من ولاية جرجا سنة ١١١٢هـ وانتهى الأمر بتأليب الهوارة لزملاء عبد الرحمن وتحريضهم على قتله حتى تم لهم ذلك سنة ١١١٣هـ / ١٧٠٦م .
الجبerty : عجائب الآثار ج ١ ص ١٠١ .

الفقار بك حملة لمحاربته فاستعان جركس بالهواره وباقي عربان الصعيد وهزم حملة القاهرة عند البهنسا (١) .

وفي تلك الفترة أيضا هرب أحمد بك الأعسر الى الهواره محتميا بهم وبقي عندهم ليعيد تنظيم صفوفه وعندما هزمت فرقة القاسمية سنة ١١٤٢ هـ / ١٧٢٩م التجأ الكثيرون من رجالها الى اكابر الهواره ببلاد الصعيد ليستعينوا بهم على استعادة ما كان لهم من نفوذ (٢) .

وفي عام ١١٤٩ هـ / ١٧٣٦م فر عثمان بك الفقاري (٣) الى الصعيد بعلم صراعه مع ابراهيم جاويش بسبب تنافسهما على رئاسة مصر وعندما تنكر على بك الكبير لصديقه صالح بك القاسمي فر الأخير الى الصعيد واستعان بالهواره وعلى رأسهم شيخ العرب همام بن يوسف الذي قدم اليه كل ما كان يحتاج اليه من ذخيرة ومؤن وتقدم بها واستولى على المنيا وطرده منها اتباع على بك .

وعلى بك الكبير نفسه عندما أخرجه زملاؤه منفيا من القاهرة الى المنوسبات بالوجه البحري هرب الى الصعيد حيث لجأ الى حمى الشيخ همام طالبا منه أن يصلح بينه وبين زميله صالح بك القاسمي حتى يقبل العودة معه الى القاهرة لمساعدته فى اقضاء منافسيه عنها وفعلا قام الشيخ همام بالوساطة بينهما واستطاع اقناع صالح بك القاسمي - (الذى كان على بك قد غدر به قبل ذلك بقليل) - بالانضمام الى صفوف على بك وقدم لهما همام الهدايا والأموال والرجال لمساعدتهما على استخلاص القاهرة من اعداء على بك (٤) .

وعندما غضب محمد بك أبو الذهب من سيده على بك الكبير فر الى الصعيد وذهب الى الهواره واسترضاهم - (لأنه سبق أن حاربهم فى عهد الشيخ همام) - ليتمكن من ضمهم الى صفوفه وقبل الهواره ذلك لانهم رأوا فى هذا الانضمام لصفوف محمد بك أبى الذهب فرصة لاستعادة ما كان لهم من نفوذ خبا بعد وفاة همام فانضموا الى صفوف محمد بك وساعدوه فى نضاله ضد على بك (٥) .

(١) الجبرتي : عجائب الآثار : ج ١ ص ١٢٩ .

(٢) الجبرتي : عجائب الآثار : ج ١ ص ١٧٨ .

(٣) الجبرتي : عجائب الآثار : ج ١ من ص ١٧٩ - ١٨٢ .

(٤) الجبرتي : عجائب الآثار : ج ١ ص ٢٥٦ .

(٥) اسماعيل الحشاش : مخطوط تاريخ حوادث وقعت بمصر من سنة ١٢٠٠هـ .

١٧٠٨م الى دخول الفرنسيين ص ٧٧ .

هكذا وجد الهوارة في مساندة الأمراء المالكين اللاجئين الى الصعيد فرارا من وجه منافسيهم ، فرصة لاستعادة نفوذهم فاهتموا بالأحداث السياسية التي تجرى في القاهرة وغدوا بذلك قوة كبيرة ترجح الكفة التي تنضم اليها وبدا هذا واضحا في عهد الشيخ همام بن يوسف الذي انتهت اليه زعامة الصعيد في النصف الأول من القرن الثامن عشر وحوالي العشرين عاما من النصف الثاني وقد ظل الهوارة يشتركون في الحياة السياسية بتأييدهم فريقا من الحكام ضد آخر حتى عهد مراد بك وابراهيم بك (١) ولكن بصورة أضعف وأقل تأثيرا عما كان لهم في عهد همام .

وهكذا نجد أن الهوارة تابعوا في العهد العثماني نفس السياسة التي كانوا يتبعونها في العهد المملوكي من تدخلهم في الأحداث السياسية وفقا لما تمليه عليهم مصالحهم ، وتابعوا أيضا سياسة التمرد والامتناع عن تقديم الأموال والفسلأل المطلوبة منهم للسلطات الحاكمة . وبدا ذلك واضحا من الهوارة في القرنين السابع عشر والثامن عشر م حيث كان سلطان العثمانيين بمصر قد ضعف .

(١) الجبرتي : عجائب الآثار ج ٢ ص ١٢ ، ١٥ ، ٢١ .

علاقة الهوارة بالقبائل العربية الأخرى

فى الصعيد

كان استقرار الهوارة فى الصعيد ومحاولتهم السيطرة عليه على غير رضا من القبائل العربية الأخرى القاطنة به والتي كان لها نفوذ واسع مثل أبناء (١) الكنز الذين ناصبوا الهوارة العداء فهاجم الهوارة وقرهم فى أسوان وأقصوهم عنها سنة ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م (٢) ودفعوا بهم الى النوبة وباقصاء الهوارة لأبناء الكنز عن أسوان تخلصوا من أقوى منافس لهم على سيادة المناطق الجنوبية من الصعيد .

وقد كان للهوارة منافس آخر قوى فى الصعيد كانت تمثله أسرة الاخميمي وهى أسرة من أصل عربى أخذت لقب الاخميمي نسبة الى اخميم التي أخذ رجالها التزام أراضيها وكانت لهم السيطرة على منطقة اخميم ونواحيها (٣) .

وقد كان أشهر رجال هذه الأسرة فى القرن الحادى عشر هجرى السابع عشر الميلادى الأمير حسن الاخميمي الذى ناصب الهوارة العداء

(١) من أبناء الكنز انظر ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٢) أحمد بن على القرىزى :

المخطوط القرىزى المسماة بالمواضع والاعتبار بذكر المخطوط والآثار مكتبة احياء العلوم

لبنان سنة ١٩٥٠ ج ١ ص ٣٣٧ .

(٣) Bruce (J.) : Travels to discover the source of the Nile in the years 1768-1769-1770. The second edition, London, 1809, Vol. 2 p. 8.

وصاحب حملة عبد الرحمن بك (١) عليهم سنة ١١٠٧ هـ / ١٦٩٥ م واشترك في تخريب بلادهم ونهب أموالهم ولعل السبب في معاداته للهوارة حينئذ شعوره بمنافستهم له في السيطرة على التزامات الأراضي في جرجا فقد بدأ الهوارة يسيطرون على أراضي جرجا ابتداء من سنة ١١٠٥ هـ / ١٦٩٣ م (٢) حيث ظهر اسم الشيخ حمد محمد همام جد الشيخ همام يوسف كملتزم لأراض واسعة امتدت من المنيا الى أسوان بالإضافة لمجموعة أخرى من رجالات الهوارة مثل الشيخ همام يوسف والد الشيخ أحمد محمد همام الجد الثاني لشيخ العرب همام يوسف وأقاربه مثل حسين أبو بكر - وعبد الكريم أبو بكر صمام ، وحافظ أحمد همام .

وقد كان الأمير حسن الاخميمي حينئذ من أعظم الملتزمين العرب في الصعيد .

وقد امتدت التزاماته في اخميم وتوابعا وطهطا ، وشندويل ، طوخ الجبل ، شرق المرح البحري ، القبلي ، المراغة ، شنهور بلفصورة وأجزاء من ادفا وبني مزار - الروافع - خلجان - بني سحيم (٣) .

فمن الطبيعي أن يخشى الأمير حسن الاخميمي ورجاله نمو سيطرة الهوارة على أراضي جرجا ومن الطبيعي أن ينضم الى أعدائهم وقد حفظ له الهوارة مصاحبته لحملة عبد الرحمن بك عليهم واشتراكه معه في نهب ممتلكاتهم ، وقاموا بعمل مماثل لهذا بمهاجمتهم ل اخميم مقر الأمير حسن في عام ١١٢١ هـ / ١٧٠٩ م أثناء أحداث فتنة افرنج أحمد .

فقد نجح الهوارة في اقناع محمد بك الكبير حاكم جرجا وقتنها بتكليف صديقه أيوب بك وهو كان ممن تسبب في إثارة فتنة افرنج أحمد (٤) وتولى قيادتها معه بالحصول على فرمان من الباشا بقتل الأمير حسن وأولاد أخيه وضرب اخميم وجعلوا هذا ثمنا في مقابل ذهابهم معه

(١) الشيخ علي بن محمد الشاذل الفراء : مخطوط ذكر ما وقع بين عسكر المحروسة بالقاهرة . تحقيق ونشر د. عبد القادر طليمات : المجلة التاريخية المصرية مجلد ١٤ لسنة ١٩٦٨ ص ٣٥٨ .

(٢) دفاتر التزامات الولايات القبلية بالقلمة بدار المخطوطات دفتر رقم ١٨ لسنة ١١٠٥ هـ عني ٣ مخزن تركي .

(٣) دفاتر التزامات الولايات القبلية بالقلمة بدار المخطوطات دفتر رقم ١٠٥ لسنة ١١١٤ هـ عني ٣ مخزن تركي .

(٤) سنتناول فتنة افرنج أحمد بالتفصيل في الفصل التالي عند الحديث عن علاقة الهوارة بحاكم جرجا .

الى القاهرة واشتراكهم معه فى فتنة افرنج أحمد ومناصرته بأموالهم
ورجالهم (١) .

وفعلا وافقهم محمد بك على ذلك ووافق طلب الهوارة هوى فى نفس
أيوب بك الذى كان يشغل منصب شيخ انبلد حينئذ والذى كان شريكا
لافرنج أحمد فى حركته (٢) .

لأن أيوب بك كان بينه وبين الأمير حسن الاخميمى عداوة فوجسدها
فرصة للانتقام منه وفعلا استصدر فرمان المطلوب من الباشا وقام محمد
بك والهوارة بمهاجمة اخميم ونهبها وقتل الكثيرين من رجال الاخميمى
واثنين من أولاد أخيه ولحسن حظ الأمير حسن فانه كان فى القاهرة فلم
يصب بشئ .

ولكن العداء بين الطرفين لم يقف عند هذا الحد فعندما انتهت أحداث
فتنة افرنج أحمد سنة ١١٢٣ هـ / ١٧١١ م وهزم محمد بك حاكم
جرجا (٣) فر الى الصعيد وبصحبه الهوارة الذين عادوا ثانية الى اخميم
وقتلوا ما بها من كشاف الأمير حسن ونهبوا بلاده وأوقعوا به وبأسرته
خسائر فادحة .

وقد استمر الصراع بين الأمير حسن والهوارة فترة أخرى قام فيها
الأمير حسن الاخميمى بمصاحبة حملة محمد بك قطامش على الهوارة فى
عام ١١٣ هـ / ١٧١١ م بعد (٤) انتهاء فتنة افرنج أحمد وقد خرجت تلك
الحملة من القاهرة لمقابلة الهوارة لاشتراكهم فى تلك الفتنة وما أحدثوه من
تخريب خلالها وقد انتهت الحملة بهرب الهوارة الى الجبل ونهب أموالهم
وضياعهم وقد انتقم منهم الأمير حسن حينئذ شى انتقام .

ولكن الهوارة الذين أخذوا الأمان بواسطة صديق لهم من الأمراء
الماليك هو إبراهيم بك أبو شنب وتم العفو عنهم وعادوا لسابق عهدهم
حفظوا للأمير حسن ورجاله هذا العمل وسعوا لدى حكومة القاهرة حتى
أفلحوا فى أن يستصدر حاكم جرجا الجديد عن سنة ١١٢٧ هـ / ١٧١٥ م
وهو على بك الأرمنى فرمانا بمحاربة الأمير حسن وهنا هرب الأمير حسن

(١) مصطفى إبراهيم عزبان : تاريخ وقائع مصر القاهرة كنانة الله تعالى فى أرضه
نسخة منقولة عن النسخة التيمورية دار الكتب بقم ٤٠٤٨ ص ٦٧ .

(٢) على بن محمد الشاذل القرا : مخطوط ذكر ما وقع بين عسكر المحروسة القاهرة
ص ٣٥٥ نشر عبد القادر طليبات .

(٣) الجبرتي : عجائب الآثار : ج ١ ص ٤٩ .

(٤) مصطفى إبراهيم عزبان : مخطوط تاريخ وقائع مصر القاهرة ص ١٥١ .

للجبل (١) وقد استمر العداء بين الطرفين فبعد سنوات ذهب الأمير أحمد كمالى الأخميمى الى القاهرة ليسترضى سلطات الحكم فيها ولينتقم من الهوارة وأفلح عن طريق الاتفاق مع حسين بك الخشاب الذى تولى حكم جرجا حينئذ سنة ١١٤٤ هـ / ١٧٣١ م (٢) على أن يتفق مع الباشا على البطش بالهوارة على أن يقوم الأمير كمالى بتسديد حلوان بلادهم للباشا وفعلا قامت حملة من القاهرة لهذا الغرض وقد انضم اليها الأمير كمالى هو ورجاله وهوارة بحرى ولكنها انتهت بالصلح بين الهوارة والأمير كمالى وعادت الحملة ثانية الى القاهرة .

وقد وقع هذا الصلح غالبا لشعور الأمير أحمد كمالى الأخميمى بأنه وأسرته يقودون معركة خاسرة ضد فريق ستكون له الغلبة وسيتألق نجمه وهو فريق الهوارة الذين كان يتزعهم حينئذ شيخ العرب همام ابن يوسف الذى كان قد بدأ فى الزحف على التزامات. أراضى الصعيد وكانت كل الدلائل حينذاك تشير الى عظمته المستقبلية وقد عاصر الشيخ همام آخر عهد أسرة الأخميمى وكان من أشهر رجالها فى عهده الأمير محمد كمالى بن أحمد كمالى الأخميمى والأمير عيسى كمالى الأخميمى آخر الملتزمين الكبار من هذه الأسرة والذى استولى همام على أراضيه فى عام ١١٦٩ هـ // ١٧٥٥ م بأذن من الدولة (٣) .

وقد انقضت أسرة الأخميمى من الصعيد كما ذكر الرحالة Bruce (٤) أثناء حديثه عن زيارته لأخميم سنة ١٧٦٩ م فى طريقه الى فرشوط لمقابلة الشيخ همام بن يوسف انذى ذكر عنه أنه قد استولى على أخميم بعد انقراض أسرة الأخميمى ويؤكد هذه الحقيقة أن دفاتر التزام الولايات القبلية بالقلعة قد أوضحت أن الشيخ همام واصل زحفه على اراضى أسرة الأخميمى وأن آخر افرادها. وهو الامير عيسى كمالى قد اختفى نهائيا من دفاتر الالتزام منذ عام ١١٧٠ هـ // ١٧٥٦ م (٥) وستتناول زحف الشيخ همام على اراضى أسرة الأخميمى بالتفصيل فى الفصل الرابع .

هكذا رأينا كيف أفلح الهوارة فى القضاء على كل سيطرة للقبائل العربية الأخرى التى كانت لها السيادة من قبل الهوارة على الصعيد وخلا

(١) نفس المرجع السابق ص ٢٠٣ .

(٢) نفس المرجع السابق ص ٣٦٦ .

(٣) دفاتر التزامات الولايات القبلية . دار المخطوطات بالقلعة القاهرة . . دفتر رقم

٤٣٣ ص ١١٦ ع ٦ مخزن تركى .

(٤) Bruce : Travels to discover the source of the Nile Vol. 2, p. 8.

(٥) دفاتر التزامات الولايات القبلية بالقلعة دفتر رقم ٤٤٤ لسنة ١٩٧٠ مخزن

تركى .

الجو للهوارة الذين مضوا يبنون قوتهم وينهون ثراهم ويسيطرون على الصعيد .

وقد قدرت الدولة قوة الهوارة فاستخدمتهم في القضاء على القبائل العربية الأخرى في الصعيد والتي كانت تتمرد عليها كما حدث عندما كان عبد الله بن وافي شيخ عريان المغاربة يقوم بالنهب والسلب ويظلم الفلاحين هو وعربانه وينشر الفساد فأرسلت له الحكومة حملة لمحاربته سنة ١٠١٠هـ /١٦٨٩م فانتصر عليها وتكرر تمرد ابن وافي وإخلاله بالأمن ، وتكررت حملات الدولة اليه بلا جدوى وكان عندما تضيق الحكومة الحناق عليه في الصعيد يهرب الى الوجه البحري متجولا في انحائه وناشرا بها الذعر والتخريب يعتدى على الملتزمين والفلاحين وينهب أموالهم ويسلب ما في أيديهم حتى أغضب الدولة أشد الغضب فأرسل السلطان مرسوما للباشا سنة ١١٠٠هـ /١٦٩٨م بمحاربة ابن وافي بكل شدة وبارسال حملة جديدة اليه وفعلما خرجت اليه في العام السابق حملة بقيادة أيواظ بك الذي أوقع به الهزيمة ففر الى البحيرة حيث تلقاه حاكمها وقتل رجاله وأخذ أمواله فاضطر الى العودة الى الصعيد حيث أغرى به عبد الرحمن بك حاكم جرجا الهوارة فاحتاطوا به ونهبوا أمواله وجماله ففر أمامهم فتابعوه حتى منفلوط (١) حيث هرب الى الفيوم وتششت شمله وانتهى أمره بالفرق مع مجموعة من رجاله .

(علاقة الهوارة بالفلاحين في الصعيد)

مع أن الهوارة اشتغلوا بالفلاحة وشابهوا الفلاحين الى حد كبير ، فإن مركزهم الاجتماعي كان أعلى مستوى من مركز الفلاحين ، وكان ينظر اليهم كذلك لأن معظم التزامات أراضي الصعيد كانت في أيدي شيوخهم .

وبصفة عامة كانت العلاقة بين الهوارة والفلاحين علاقة طيبة ، فالملتزم من الهوارة بما كان له من عصبية قبلية قوية كان أقدر على حماية فلاحيه من هجمات القبائل العربية الأخرى بعكس ما كان يحدث مع ملتزمي أراضي الوجه البحري ، فما أكثر ما تعرض الفلاحون هناك لهجمات عريان البحرية وعربان الشرقية الذين كانوا ينهبون غلالهم ويأخذون أموالهم ومن ذلك ما كان من استبعاد أبناء عبد الدائم بن يقر - من عرب الشرقية - بفلاحي الشرقية وما حوّلها فما أكثر ما هاجم أبناء عبد الدائم الفلاحين هناك ونهبوا مواشيهم وأغنامهم بل لقد وصل بهم الأمر في بعض الحالات

(١) الجبرتي : عجائب الآثار : ج ١ ص ٥٦ .

الى نهب حلى نساء الفلاحين وقتل ما لا يحصى عدده من رجالهم (١) وغير ذلك كثير .

وكان هناك نوع آخر من العرب الذين اتخذوا الزراعة حرفة لهم ، ولكنهم لم ينزلوا بالرغم من ذلك عن عاداتهم القديمة ، وخصوصا الحصول بالاكراه على ما يأبون الحصول عليه بكدهم فهم يستحذون عنوة على أجود الأراضى ويحولون مياه الرى ، ويقطعون المسور فى الوقت الملائم لهم غير عابئين بمصالح جيرانهم من الفلاحين المصريين ، ووصل الحد بهؤلاء العرب المستغلحين الى أنهم كانوا يسلبون حاصلات القرى المجاورة لهم بدون مبالاة وذلك كلما قصرت حاصلاتهم عن الوفاء بحاجاتهم (٢) .

وفى بعض الأحيان ومحاولة لأبعاد خطر هؤلاء العرب عن الفلاحين حاول الحكام وضع بعض القرى فى حماية بعض هؤلاء العرب المستغلحين لحمايتهم من هجمات الأعراب المتنقلين ولكن تلك الحماية لم تجد شيئا ، فقد كانت هذه القرى تتعرض لظلم ونهب هؤلاء الحماة الذين كانوا لاترجعهم عن طبيعتهم موثيق ولا عهد (٣) .

أما فلاحو الصعيد فقد توفرت لهم فى عهد سيطرة الهوارة حماية كبيرة فقد سلبت سيطرة الهوارة مختلف القبائل العربية المقيمة فى الصعيد النفوذ الذى بسطته نظيراتها على الفلاح فى أنحاء القطر الأخرى .

وقد كان العاملون فى الأرض فى الصعيد فريقين :

الفريق الأول : وهم من أبناء قبائل الهوارة أنفسهم وهؤلاء كان ينظم علاقاتهم بملتزمى الهوارة ، عاداتهم القبلية التى لم تكن تسمح لهؤلاء الملتزمين بإيقاع أى نوع من الظلم أو القبح على فلاحيه من أبناء قبيلتهم .

الفريق الثانى : وهم الفلاحون المصريون أى أبناء البلاد الأصليين وهؤلاء تمتعوا بحماية الهوارة ، فمارسوا أعمالهم فى اطمئنان وأمن لم يعرفهما أمثالهم فى الوجه البحرى ، وقد كانت تلك الحماية أهم شئ فى نظر الفلاح وقتئذ اذ كانت هجمات الأعراب أشد وأقسى عليه من أى ظلم آخر يمكن أن يقع عليه من السلطات الحاكمة بزيادة الضرائب والمغارم .

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ج ٢ ص ١٣٤ ج ٣ ص ٥٤ .

(٢) Girard (P. S.) : Mémoire sur l'Egricuture ... in description de l'Egypte Vol. XVII, p. 44.

(٣) د. سعيد عبد الفتاح عاشور : المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ص ٥٤ .

الفصل الثاني

الصعيد أو ولاية جرجا

التقسيم الإداري لمصر في العصر العثماني
- مركز جرجا في هذا التقسيم - المفهوم
العثماني لمعنى ولاية في مصر - تطور جرجا
الى ولاية كبيرة ١١٠٩ هـ / ١٦٩٧ م حدودها
الهدف من تكوينها - أهميتها - سلطات
حاكمها .

الصعيد أو ولاية جرجا

انقسمت أرض مصر منذ العصور القديمة الى قسمين رئيسيين استقرت حدودهما تقليديا طبقا للاعتبارات الجغرافية والتاريخية .

فلى الشمال

تقع مصر السفلى أو الوجه البحرى وتشمل :

- ١ - الدلتا التى تحتوى على الأراضى التى بين فرعى النيل (١) والتى تقع على بعد أميال قليلة خلف القاهرة .
- ٢ - الأراضى الواقعة شرق النيل الممتدة الى صحراء سيناء وبها أقاليم الشرقية والقليوبية .
- ٣ - الأراضى الممتدة غرب الدلتا الى الصحراء الليبية مكونة اقليم البحيرة

وفى الجنوب

تقع مصر العليا أو الوجه القبلى أو الصعيد وقد كان العرب (٢) هم أول من أطلق على مصر العليا كلمة الصعيد ، وقصدوا به الأرض التى كلما

(١) كان للنيل فى العصور القديمة عدة فروع ويزور الوقت وبمعدل التغيرات الجغرافية والجيولوجية اندمجت تلك الفروع فى فرعين هما فرع رشيد ، فرع دمياط .
(٢) المقريزى الخطط ج ١ ص ٣٥٤ .

امتدت الى الجنوب أخذت في الصعود والارتفاع ، وتمتد أراضي مصر العليا على جانبي النيل من جنوب القاهرة الى وادى حلغا •

وقد انقسم كل قسم من القسمين السابقين الى مجموعة من الأقاليم الادارية الصغيرة السهلة ادارته ، وجمع ضرائبه ، والاشراف على شئونه •

ولما جاء العرب الى مصر قسموا البلاد الى أكوار (جمع كورة) وكانت الكورة تكبر وتصغر حسب ظروف الزمان والمكان وتفاوت الحضارة والعمران ، ورغبة الحكومة القائمة أو حكام الأقاليم فى انشاء أو إلغاء كل أو بعض الأقسام الادارية السياسية لأغراض خاصة أو عامة •

وكانت مصر مقسمة الى ثمانين كورة قبل حكم الدولة الفاطمية وفى صدرها ، قد أطلق المالك على الكورة اسم العمل ويرادف كلمة الكورة فى عصرنا الحاضر كلمة المركز ويرادف كلمة العمل المديرية (١) وقد كان لكل عمل مدينة تعتبر قاعدة له ، وكانت كل كورة تشمل عددا من القوى وكل قرية معتبرة وحدة مالية وإدارية معا •

وفى عهد المالك انقسم القطر المصرى الى تسعة عشر اقليما اداريا (٢) كان منها فى الوجه البحرى عشرة أعمال وهى :

القليوبية ، الشرقية ، الدقهلية (المرتاحية) ، دمياط ، الغربية ، المنوفية ؛ وأبيار ، والبحيرة ، فوة التستراوية •

وكان منها فى الوجه القبلى تسعة أقاليم وهى :

الجيزة ، الفيومية ، الأشمونية ، الإخميمية ، الإطفيحية ، البيتنساوية ، الأسىوطية ، القوصية ، أسوان •

وكانت أسوان تابعة لعمل قوص ولكنها استقلت وصارت عملا قائما بذاته منذ عهد الناصر محمد (٩٦٣هـ / ٧٤١هـ / ٢٩٣م / ١٣٤١هـ) •

(١) محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ج ١ ص ٢٨ •

(٢) د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، العصر المالىكى فى مصر والشام ص ٣٥٨ •

التقسيم الإدارى لمصر فى العصر العثمانى

وقد ورث العثمانيون عن العصر السابق لهم هذا لتقسيم الإدارى
وابقوا عليه بعد ادخال بعض التعديلات .

ففى عهد السلطان سليمان القانونى (٩٢٦هـ / ٩٧٤هـ / ١٥٢٠م
١٥٦٦م) أجريت مساحة جديدة للأراضى المصرية فى ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م تلك
المساحة سنة ٩٣٣هـ / سنة ١٥٣٦م (١) فى ولاية سليمان باشا الخادم على
مصر (سنة ٩٣١هـ / ٩٤١هـ / ١٥٢٤م / ١٥٣٤م) وهى المساحة التى عرفت
دفاترها باسم الترايع (٢) وفيها غيرت كلمة أعمال وكور الى ولاية وولايات
وكان استخداً العثمانيين لكلمة ولاية للأقاليم الادارية فى مصر مرادفاً
لكلمة ومعنى مديرية أى أن استخدمهم لكلمة ولاية بالنسبة للأقاليم الادارية
فى مصر كان خارج نطاق المفهوم العثمانى العام لكلمة ولاية .

وقد قسم العثمانيون القطر كله الى أربعة عشر ولاية سبع منها فى
كل وجه (٣) .

ففى الوجه البحرى كانت ولايات :

المنصورة ، الشرقية ، البحيرة ، القليوبية ، الغربية ، المنوفية ، الجيزة

وفى الوجه القبلى كانت ولايات :

الفيوم ، بهنساوية ، أشمونىة ، منفوط ، جرجا ، أطفيج بالبر
الشرقى (٤) ألواح من داخل جرجا أى الواحات .

(١) محمد عبد الحلى الاسحاقى : أخبار الأول فيمن تعرف فى مصر عن أرباب الدول ،
القاهرة سنة ١٣١٠ هـ ص ١٥٠ .

(٢) الترايع : قوائم من الورق مربعة الشكل تكتب فيها عملية المساحة فى كل
قرية محمد رمزى القاموس الجغرافى ج ١ ص ٢٣ .

(٣) حسين الفتى الروزنامجى : ترتيب الديار المصرية : فسر محمد شفيق غريال
بعنوان : مصر عند مفترق الطرق (١٧٩٨م - ١٨٠٠م) مجلة كلية الآداب المجلد الرابع
ج ١ مايو سنة ١٩٣٦ الباب السادس السؤال الأول ص ٢٣ .

(٤) أطفيج : كانت مركز ولاية فى العهد العثمانى ، وكانت تشمل البلاد الواقعة
شرقى النيل من ناحية البساتين التى يركز الجيزة قبل مصر القديمة الى آخر حدود ناحية
الشيخ فضل بمركز بنى مزار بالنبيا وقد انضمت أراضى أطفيج الى مديرية الجيزة سنة
١٢٥٧م وسميت مديرية الجيزة وأطفيج ثم انقرض اسم أطفيج .

محمد رمزى : القاموس الجغرافى ج ٣ ص ٧ .

هذا بخلاف محافظات :

الاسكندرية ، رشيد ، دمياط ، السويس ، وهذه المحافظات كان لها وضع خاص ، وكان حكمها خارجا عن اختصاص بكوات مصر ، فقد كان لهذه المدن أهمية خاصة باعتبارها الثغور الهامة التي يمكن منها حماية مصر . لذا احتفظ الباب العالي بحقه في تعيين وارسال حكامها من استانبول رأسا ، وكانوا في العادة قادة بحريين .

أما الأقسام الادارية الأخرى أى ولايات الوجه البحرى والقبلى فقد عهد العثمانيون بإدارتها الى المالكين وكان حكام الأقاليم الادارية فى مصر العثمانية من رتبتي :

حكام الأقاليم الادارية الهامة الخمسة وهى :

جرجا ، الشرقية ، الغربية ، المنوفية ، البحيرة . . وهؤلاء الحكام بكوات يحملون رتبة الصنجقية (١) ويأخذون لقب حاكم وكانت هذه المناصب موضع منافسة من أمراء المالكين ، وأهمية هذه الأقاليم ترجع

(١) الصنجقية : كلمة صنجق من التركية سنجاق وهى العلم أو القسم من ولاية كبيرة أو الحاكم على قسم من ولاية ، الصنجقية من أسنى الرتب فى مصر العثمانية وقد أمر السلطان سليم بأن يكون بمصر أربعة وعشرون صنجقا طبلخانة وصنجق يجمع بين مصطلحين مصطلح عثمانى ومصطلح مملوكى فبعض الأمراء فى دولة المالكين كانوا أمراء طبلخانة أى يكسبهم مقامهم أن تدل لهم الطبول وغيرها من الآلات الموسيقية .

وقد كان من حق السلطان ارسال الصناجق حكام الثغور مثل الاسكندرية ، دمياط ، السويس ، رشيد ، أما باقى العشرين سنجقا فكانوا يختارون من بين بكوات المالكين فى مصر .

وقد كانت رتبة الصنجقية تؤهل حاملها لشغل الوظائف الكبيرة مثل الدفتردارية ، إمارة الحج ، وحكم الأقاليم الادارية وقيادة الإمدادات العسكرية المطلوبة للدولة ، وقيادة الخزانة السنوية المرسلة الى السلطان .

وكانت الصنجقية رتبة يمكن رفعها عن حاملها عند الفضل عليه كما ذكر الجبرتي فى تاريخه عجائب الآثار ج ١ ص ١٥٣ ويمكن أن يستغنى عنها صاحبها فالجبرتي أيضا يذكر ما كان من استغناء حسين بك أرناؤود عن الصنجقية سنة ١١٢٩هـ ومجاورته بالمدينة المنورة بعد ذلك (ج ١ ص ١١٢) وكان من الممكن أن يكون الصنجق بطالا أى يحمل الصنجقية بدون أن يلى منصبا .

والصنجقية رتبة لا يحملها الا من وصل الى رتبة البكوية والإمارة وقد تنالس الأمراء المالكين الكبار فى احراز رتبة الصنجقية لاتباعهم ليضموا الوصول الى مراكز السيطرة على الحكم فى مصر .

الى أنها كانت أقاليم غنية تقدم للدولة إيرادات كبيرة أما باقى الأقاليم فكان يحكمها حكام لم يبلغوا بعد رتبة الصنحية ويطلق عليهم اسم كشاف (١) .

وقد أجرى العثمانيون بعض تعديلات على الأقاليم الادارية التى اعتمدها سنة ٩٣٣ هـ / سنة ٢٥٢٦ م فظهرت بعض الأقاليم الصغيرة المستقلة ، وكان ذلك لأغراض خاصة ففى سنة ٤٧٧ هـ / ١٥٦٩م انفصلت مدينة فارسكو وضواحيها من اقليم البحيرة وأصبحت اقليما مستقلا ، لتقوية سلطة الدولة فى هذه المنطقة وحرمان القبائل العربية التى كانت لها السيطرة هناك من الاستحواذ على انتاج الأرز اللجيد الذى اشتهرت به هذه المنطقة . وقد ظل هذا الاقليم مستقلا حتى سنة ١٢٠٠ هـ / ١٧٨٦ م حينما ألحق بإقليم المنصورة .

وقد أنشئ اقليم آخر فى الأراضى الصحراوية الواقعة شرق اقليم الشرقية ، والتى تمتد الى شبه جزيرة سيناء وعرف باسم اقليم « قطيا » وكانت إيراداته تأتى أساسا من الضرائب التى كانت تفرض على القوافل العابرة أراضيه الى دمشق وحلب وبالعكس وقد فرض على هذا الاقليم حماية تلك القوافل وامدادها بالمعونات ثم ألحق هذا الاقليم سنة ١١١٨ هـ / سنة ١٧٠٦ م كوحدة ادارية مستقلة وأصبحت إيراداته والتزاماته من اختصاص حكام الشرقية وقلوب ومديري الجمارك فى بولاق ومصر القديمة .

وقد فصلت أراضى وادى النطرون التى تحوى معدن الفوسفات الثمين من اقليم البحيرة فى سنة ٩٩٩ هـ / ١٥٩٠م وأنشئ بها اقليم جديد هو اقليم الطرانة الذى ظل مستقلا حتى أعيد ثانية لاقليم البحيرة سنة ١١٥٧ هـ / ١٧٤٤ م .

(١) الكشاف :

كلمة مأخوذة من الفعل كشف لأن الأصل فى وظيفة الكشاف أن يكشفوا أحوال الأقاليم ، وقد كان لقب كاشف يطلق فى العهد المملوكى على الموظفين القضائين والسكريين الذين كانوا يعنون بتنظيم الرى وحماية السدود والجسور ورعاية الأمن . وفى القرن الذى تلا التتبع العثماني لصر استخدم هذا اللقب للأشخاص الذين كانوا يديرون أكثر من مقاطعة فى بعض النواحي ، وبعد بداية القرن السابع عشر وادخال نظام الالتزام ، حل للمتزوجون محل الكشاف وأصبح لقب كاشف يطلق على طبقتين من الموظفين .

١ - حكام الأقاليم الصغرى الذين كانوا يختارون من الضباط المالكين من الدرجة الثانية .

٢ - الوكلاء الصغار الذين كانوا يديرون قرى الكشوفية وهى القرى التى كان دخلها مخصصا للباشوات الولاية وكانت مفصولة لذلك عن اراضى الالتزام .
ShaW : Ottoman Egypt .. p. 20.

وفى عام ١٠٠١ هـ / ١٥٩٦ م كون اقليم جديد من ضواحي بحيرة المنزلة ظل مستقلا حتى سنة ١٢٠٠ هـ / سنة ١٧٨٦م حيث أعيد ثانية الى اقليم المنصورة الذى كان يضمه من قبل (١) .

وقد تمتع اقليم جرجا بأهمية خاصة منذ العصر المملوكى لكونه أهم اقليم يقدم الغلال للقاهرة ، وما أكثر ما خرج الأمراء المماليك بأنفسهم الى الوجه القبلى لتحصيل الغلال المطلوبة منه والعودة بها الى القاهرة (٢) .

وكان أكثر ما يثير السلطات المملوكية بالقاهرة ان تمتنع القبائل العربية المقيمة بالصعيد عن تقديم الغلال المطلوبة منها تمردا على سلطات الحكم ، وقد اشتهرت جرجا فى أواخر المائة الثامنة الهجرية لتلاشى شهرة وأهمية قوص وأسوان وثرهما عيذاب (٣) ، وقد كانت قوص عاصمة الصعيد قبل جرجا وفيها كانت تنزل القوافل التجارية الواردة من الهند والحبشة واليمن والحجاز بعد مرورها بميناء عيذاب .

وقد كانت قوص عامرة بأوجه النشاط المختلفة من اقتصادية وعلمية ، وترجع عظمتها فى دولة المماليك الى أن موارد الامبراطورية المصرية فى ذلك الحين كان أغلبها من المكوس على التجارة الهندية التى كانت تمر بالبحر الأحمر عن طريق عيذاب ثم تنقل الى قوص .

وكان من أهم أسباب عظمة قوص أيضا :

ان الحجاج المتوجهين الى الأراضى المقدسة من مصر ومن المغرب ظلوا أكثر من مائتى عام يتوجهون الى مكة عن طريق النيل من القاهرة الى قوص (٤) ثم يركبون الابل من قوص ويعبرون صحراء عيذاب الى البحر الأحمر ذهابا وإيابا وظلوا على ذلك من سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨م الى سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م .

حتى كان عهد الظاهر بيبرس (٦٥٨ هـ - ٦٧٦ هـ / ١٢٥٩ م - ١٢٧٧ م) الذى أخرج قافلة الحج من البر (أى عن طريق سيناء وبطل طريق قوص ، عيذاب) مما أثر فى أهمية قوص واقتصادياتها ثم تفاقم

(١) Shaw : The financial and Administrative organizon ... p. 14.

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور - ج ٢ ص ١١٢ .

(٣) عيذاب : صحراء فى الصعيد الأعلى كانت تقع فى جهة النيل الشرقية بين مدينتى لطف والقصر .

على مبارك : الخطط التوفيقية ج ١٣ ص ٢٠ .

(٤) المقرئى : الخطط - ج ١ ص ٣٨٠ .

الأمور أكثر بتحول قوافل التجار عن طريق قوص منذ سنة ٧٦٦ هـ /
١٣٦٤ م فتلاشى أمر قوص وضاعت أهميتها منذ ذلك الوقت (١) .

وبدأت جرجا فى الظهور واحتلت مكانة عاصمة الصعيد .

وكان ظهور جرجا وتفوقها على مدن الصعيد الأخرى مصاحبا لظهور
الهوارة فى الصعيد ونزولهم به فقد نزلوا بالصعيد كما أشرنا سابقا سنة
٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م وأسسوا قروا فى إقليم جرجا ونشروا به الخصب
والازدهار .

وقد غدت جرجا فى العهد العثمانى أهم الأقاليم الادارية المصرية .

تطور جرجا الى ولاية كبيرة

وقد اتسعت جرجا فى العهد العثمانى وامتدت لتشمل أقاليم الصعيد
فقد ضم اليها اقليما أسيوط وأطفيح سنة ١١٠٦ هـ / ١٦٦٤ م وضم
اليها كذلك :

أقاليم أسوان ، المنيا ، منفلوط سنة ١١٠٩ هـ/٩٦٧ (٢) .

حيث اكتمل فى هذا العام تكوين ولاية جرجا الجديد فى العهد
العثمانى والذي امتد ليشمل أراضى الصعيد كلها من المنيا الى أسوان وبذلك
غدا أكبر الأقاليم الادارية فى مصر العثمانية بالإضافة الى كونه من أغناها .

وواضح أن جرجا احتلت أهمية كبيرة فى العهد العثمانى بسبب
وجود أقوى القبائل العربية فى الصعيد بها وهى قبائل الهوارة أقوى قبائل
الصعيد بأسا وأكثرها قدرة على العمل السياسى .

الهدف من تكوين ولاية جرجا

كان الهدف من توحيد أقاليم الصعيد تحت ادارة حاكم جرجا هو
تقوية هذا الحاكم الذى يمثل حكومة القاهرة وجعله فى مركز يسمح له
بالقضاء على أى بادرة تنذر بقيام ثورة من احدى القبائل العربية المنتشرة

(١) احمد لطفي السيد : مقال عن أمير الصعيد ١٢٧٨/١٢٣٣ صحيفة الامرام
Shaw : The financial and administrative organization, p. 15.

(٢) دفاتر التزامات الولايات القبلية : دفتر رقم (٤٧) لسنة ١١٠٩ هـ عين ٣ مخزن

بالصعيد (١) وخاصة وأن جرجا تتوسط المسافة بين المنيا وأسوان ومنها يسهل عليه الوصول سريعا الى مركز أى ثورة أو حركة تمرد يقوم بها العرب شمال جرجا أو جنوبها ووجوده فى جرجا نفسها وسط قبائل الهوارة وتدعيم قوته وسلطته بهذا التوحيد يجعله أقدر على مواجهة أى ثورة لهذه القبائل .

وفعلًا كان هذا يحدث فى البداية إبان قوة الحكم العثمانى فى مصر وبالتالى قوة ممثلة حاكم جرجا كما رأينا فى حملة عبد الرحمن بك حاكم جرجا على الهوارة سنة ١١٠٧ هـ / سنة ١٦٩٥ م وقضاؤه السريع على تمردهم واعدادهم لحظيرة الولاء والطاعة للملوة (٢) .

وقد أدى توحيد أقاليم الصعيد كلها فى اقليم جرجا وجعلها تحت ادارة حاكم جرجا أدى هذا الى أن أصبح حاكم جرجا الشخص الثانى فى الأهمية والقوة والثروة بعد شيخ البلد فى القاهرة وهو زعيم المماليك فيها (٣) .

وكان حاكم جرجا يعين بمرسوم من باشا مصر ، ويختار من الشخصيات المملوكية الهامة .

وبعد تعيين حاكم جرجا كان يلبس خلعة خاصة ويستعد للذهاب الى جرجا بموكب كبير يمشى فيه الأمراء والأغوات والاختيارية وكثير من رجال الوجاقات وبعد هذا الحاكم صيوانا (خيمة) كبيرا يقيمه بناحية الآثار حيث يفد اليه الأمراء وكبار رجال الفرق لتنهئته بالمتنص وشرب القهوة والمشروبات الأخرى وتوديعه (٤) ، وكان يصحب حاكم جرجا عدد من رجال لفرق العسكرية المختلفة ومعهم سرداراتهم (قوادهم) وبيارقهم (أعلامهم) ويمثلون حاميته (٥) وكان هؤلاء يذهبون معه لمساعدته فى أداء واجباته ويأخذون مرتباتهم الأصلية من فرقهم العسكرية التى ينتمون اليها بوصفهم أعضاء بها .

بالإضافة الى ضرائب خاصة كانت لهم سلطة فرضها على المنطقة التى يخضعون بها .

Shaw : The financial and administrative organizon, p. 15. (١)

(٢) عن حملة عبد الرحمن بك على الهوارة انظر ص ٤٥ من الفصل الأول .

Lusignan (S. L.) The history of the Revolt of Ali Bey, (٣)
London, 1793, p. 2.

(٤) الجبرتي : عجائب : الآثار ج ١ ص ١٢٦ .

(٥) الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ٣٣ .

وكانت قوته العسكرية تتألف بالإضافة لتلك الحامية من مجموعة كبيرة من مماليكه الخاصة واتباع الذين كانوا يذهبون معه الى مقر حكمه ، وكانوا يعيشون على نفقته شخصيا ، وكان لحاكم جرجا قائمقام ينوب عنه اذا ما تغيب عن الاقليم (١) .

وقد كان لكل اقليم من الأقاليم التي تكون منها اقليم جرجا الكبير حاكم خاص أى كاشف ولكن بعد توحيد هذه الأقاليم وجمعها كلها تحت امره حاكم جرجا لم يبق فى الصعيد كشاف بمعنى حكام اداريين وانما بقى الكشاف فى ولاية جرجا كمديرين لقرى الكشوفية فقط وهى القرى التي كان دخلها مخصصا للباشوات الولاة وكانت مفصولة لذلك عن أراضي الالتزام .

وكانت واجبات حاكم جرجا كواجبات كل حاكم اقليمى وهى اقرار الأمن والنظام والاشراف على استغلال الأراضي السلطانية وجمع الايرادات المطلوبة منها للخرينة السلطانية فى مصر وشراء الامدادات المطلوبة لديوان القاهرة والباب العالى والحرمين الشريفين .

بالاضافة لحماية الزراعة وطرق المواصلات من هجمات القبائل العربية الكثيرة التمرد (٢) .

وكان على حاكم جرجا ان يقدم كخراج للسلطنة مقدار ١٥٠٠٠٠ مائة وخمسين ألف أردب قمح تنقل على نفقته من جرجا الى الشئون السلطانية فى مصر القديمة ، وعليه أيضا تقديم ٤٨٠ كيسا من الذهب (٣) عدا ما على ولايته من غلال للحرمين وكان عليه أيضا ان يقدم هدايا سنوية الزامية الى باشا مصر مكونة من : أربعين كيسا من الذهب ، وخمسين جودا وخمسين بغلا ، ألف جبل ، ألف خروف كما يقدم لكل من كتختدا مصر ، وأغاوات الوجاقات ١٢ كيسا .

(١) نفس المرجع السابق ج ١ ص ٤٦ .

(٢) S. G. (Shaw) The financial and administrative organization, P. 62.

(٣) الكيس : وحدة عثمانية للمعد أدخلت فى القرن السابع عشر م وتساوى كمية من النقود تختلف تبعا للزمان والمكان الذى تستخدم فيه ففي استانبول كان الكيس يساوى خمسمائة قرش وكان يسمى كيس الروم (أو الكيس الرومى) .

اما الكيس المصرى يساوى ٢٥٠٠٠ بارة فضية والبارة هى العملة المصرية الرئيسية للمستعملة بدلا من القرش والأقجة اللذين كانا يستعملان فى أنحاء أخرى من السلطنة العثمانية ، وكيس المصرى يساوى ستمائة قرش عثمانى لذا كان أكبر الأكاس المستعملة .

S. G. (Shaw) : Ottoman Egypt in the Eighteenth century, H. U. P. 1962, p. 10.

وكان لدى هذا الحاكم دواوين للكتابة ولجمع الخراج وله سلطة واسعة فى الأحكام يعاقب بالسجن والقتل ويجمع الأموال بدون استشارة ديوان مصر (١) .

وكان حاكم جرجا يأخذ لقبه من حكمه لهذا الاقليم فيذكر بلقب (بك جرجا) أو (حاكم الصعيد) أو (الصعيدى) مثل : اسماعيل بك جرجا ، ومحمد بك حاكم الصعيد ومحمد بك الصعيدى (٢) .

وكان منصبه جرجا من المناصب المرموقة التى يتطلع اليها بكوات المماليك نظير ما يقومون به من خدمات فقد اشترط على بك ذو الفقار منحه ذلك المنصب نظير توجهه لمحاربة العربان المهاجمين للحجاج فى العقبة سنة ١١٤٧هـ / ١٧٣٤م وفصلا وافق الأمراء على ذلك وما أن تم لعل بك محاربة هؤلاء العربان وتمهيد الطريق للحجاج حتى عاد وولى حكم جرجا .

وفى عام ١١٤٩هـ / ١٧٣٦م وعد أمراء القاهرة خليل بك قطامش باعطائه منصب حاكم جرجا اذا ما قاد حملتهم الى الصعيد لمطاردة عثمان بك الفقارى والقبض عليه (٣) .

وقد كان حاكم جرجا أهم ممثل للاندثار العثمانية فى الاقليم ويساءلهم فى أداء واجباته الحامية القادمة معه من رجال الفرق العسكرية .

بالاضافة الى قضاة الاقليم وأعيانه الذين كان عليه أن يحصل على حجة منهم تشهد برعايته وأدائه لواجباته حتى يستطيع دخول القاهرة عند عزله من منصبه والا تعرض للمصادرة والاعانة البالغة (٤) .

ولما أدخل نظام الالتزام الى مصر فى الربع الأول من القرن السابع عشر الميلادى و الحادى عشر الهجرى وسيطر الهوارة على أراضى الصعيد عن طريق أخذها فى الالتزام فقد منصب بك جرجا أهميته لعودة السيطرة على الصعيد الى الهوارة ، وقد انتقلت معظم واجبات حاكم جرجا الى كبار الملتزمين من الهوارة ورجال الادارة المحلية ولم يبق لحاكم جرجا سوى التحكم فى أنظمة الرى (٥) .

(١) محمد بن حامد الجرجاوى ج ١ ص ١٤ .

(٢) الجبرتي : عجائب الآثار : ج ١ ص ١٢٢ ، ٤٠ ، ٤٢ .

(٣) الجبرتي : عجائب الآثار : ج ١ ص ١٨٣ .

(٤) حسين أفندى الروماني : ترتيب الديار المصرية : الباب الثانى السؤال السادس

ص ١٦ .

(٥) Shaw (S.G.) : The The financial and Administrative organization .. p. 62.

وفقد هذا المنصب بريقه ولم يعد صنيق جرجا يهتم بشئون الصعيد
واخذ يتجه ببصره الى القاهرة في وقت ضعف فيه سلطان العثمانيين
بمصر وتمهد السبيل لسيطرة الماليك .

وأصبح من الأجدي لحاكم جرجا أن يهتم بالأحداث السياسية
بالقاهرة حتى لا يسبقه زملاؤه المقيمون بها في أحراز المناصب والمغانم
التي يتنافس الجميع عليها ويتطلعون اليها .

ولذا كثيرا ما ترك حاكم جرجا اقليمه ورحل الى القاهرة مستعينا
بالهواة وعرب الصعيد الآخرين في نزاعه ضد زملائه بالقاهرة وكثيرا
ما صاحب هؤلاء العرب معه للإشتراك في الأحداث السياسية بالقاهرة
ولعل أبرز مثل لذلك اشتراك محمد بك جرجا في فتنة افرنج أحمد والتي
جرت أحداثها في القاهرة سنة ١١٢٣ هـ / ١٧١١ م .

وكان سببها المنافسة على النفوذ والسلطة بين ضباط أوجاق
الانكشارية أما مثيرها فهو ضباط في هذا الأوجاق وهو افرنج أحمد وكان
جبارا عنيدا: وقام بدأ أمره في الظهور من سنة ١١١٧ هـ / ١٧٠٥ م (١) ،
وقد أراد هذا الضابط أن يسيطر على الأوجاق كله وأن ييسط نفوذه
وسلطانه على أقرانه من ضباط الأوجاق فعارضه بعضهم وأبوا عليه ما أراد
فدب النزاع بينهم ولكنه انتصر عليهم واستصدر من الولى العثماني
مرسوما بنفيهم الى القاهرة وفلا خرجوا ثم عادوا بعد مدة الى القاهرة
وإرادوا الالتحاق بأوجاقهم ولكن افرنج أحمد عارض في ذلك فلبجأوا الى
أوجاق العزب وهو الأوجاق المنافس لأوجاق الانكشارية وطلبوا من ضباط
العزب أن يكونوا الواسطة بينهم وبين خصمهم افرنج أحمد في عودتهم
الى أوجاقهم فلبى ضباط الأوجاق طلبهم ، ولكنهم فشلوا في وساطتهم
اذ أصر افرنج أحمد على موقفه من خصومه وأيده في موقفه أيوب بك (٢)

(١) الجبرتي : عجائب الآثار - ج ١ ص ١٠٧ .

(٢) الأمير أيوب بك :

تابع الأمير درويش بك وقد تسبب مع افرنج أحمد في إثارة الفتنة الشهيرة وتولى
قيادتها معه وأرسل الى محمد بك جرجا وحاكم الصعيد مستنجدا به اليه لمساعدته ومع
عرب الهواة وباقي حرب الصعيد .

وأيوب بك من أصل جرجي وينتمي الى فرقة الفقارية وقد تولى إمارة الحج سنة
١١٠٧ هـ / ١٦٩٥ م وطلع بالحق عشر مرات وعزل سنة ١١١٧ هـ / ١٧٠٥ م وتولى الدفتر دارية
ثم عزل عنها ثم وقعة الفتنة واشترك فيها ولا انتهت بهزيمة حزبه خرج هاربا من مصر الى
الشام ومنها الى استانبول ولم يزل بها حتى توفي سنة ١١٢٤ هـ / ١٧١٢ م - غربيا وحيدا
وقد انتهب ماله في الفتنة لذا عاش أولاده بعده ، فقراء وكانوا اثني عشر ابنا ما بين ذكور
وإناث .

الجبرتي : ج ١ ص ٩٨ .

الامر الذى اغضب غضبا العزب فوقفوا ضدهم وانتصروا لغرمائه فلما رأى الأمراء المستولون أن الخلاف اتسع اتساعا يخشى منه نشوب القتال بين الأوجاقين تدخلوا لفض النزاع بين أفرنج أحمد وخصومه من ناحية وبين الأوجاقين من ناحية أخرى ولكن اصرار المتنازعين جميعا كل على موقفه اضطر الأمراء الى التدخل بصفة جدية فجزفهم تيسار النزاع وأصبحوا أطرفا فيه (١) .

وقد أدى تدخل أوجاق العزب والأمراء فى النزاع الى انقسام الأمراء وأجواقات الحامية قسمين :

١ - قسم يؤيده أفرنج أحمد وفيه أيوب بك ومحمد بك الكبير حاكم جرجا وأغوات الاسباهية وأوجاق الينكجرية والباشا وقاضى العسكر (٢) .

٢ - والقسم الآخر يؤيده خصومه ، وفيه فرق الاسباهية الثلاثة بجندوها علما أغواتها وفرقتا الجاويشية والعزب وإيواط بك وقيطاس بك الدفتردار وإبراهيم بك أمير الحج سابقا وبعض البكوات الآخرين (٣) .

ثم تطورت الأمور وتحول النزاع الكلاصى الى حرب دموية استمرت سبعين يوما .

وكانت عنيفة وقاسية نتج عنها أهوال ذاق المصريون وبخاصة سكان القاهرة مراراتها فقد بدأت الحرب وسط أحياء القاهرة الأهلة بالسكان فهدمت بيوتهم واحترق متاعهم وأغلقت الأسواق وعطلت المتاجر وانقطع جلب الماء من النيل للشرب .

فقد نهب أيوب بك جمال السقائين وحميزهم لمنع الماء من البلد .

وقد اشترك محمد بك حاكم جرجا ومعه الهوارة اشتراكا فعليا فى أحداث الفتنة .

(١) الشيخ على بن محمد الشاذلى الغزا : مخلوط ذكر ما وقع بين عسكر المحروسة بالقاهرة نشر وتحقيق : د. عبد القادر احمد طليمات المجلة التاريخية مجلد ١٤ لسنة ١٩٦٨ ، مطبعة جامعة عين شمس ٣٢٨ .

(٢)

P. M. Holt : The pattern of Egyptian Political History from 1517 to 1798 in the book of : political and social change in Modern Egypt historical studies from the ottoman conquest to the United Arab Republic, London Oxford U.P, 1968, p. 86.

(٣) الجبرتي : عجائب الآثار - ج ١ ص ٤٢ .

فَبعَندَما حَاولَ أَيُوبُ بَـكُ نَهبَ حَميرِ السَّقائينِ لَمَنعِ المَـاءِ عَنِ القَـاهِرَةِ
خَرَجَ إِلَيهِ الأَمَراءُ الأَـخَرُونَ يَنـاحِيَةَ القَـصرِ العَـيْنِي لَمَنعِهِ مِنْ ذَلِكَ .

فَـلَمَّا بَلَغَ مَخِـمَتَهُ بِـكُ حُضُورَهُمْ هَـنَاكَ جَمَعَ طائِفَةٌ هَـوَّارَةٌ وَهَجَمُوا عَلَيهِمْ
فَأنْهَزَـمُوا أَمـامَهُمْ وَفَرَّوْا ثُمَّ تَقَابَلَ الفَرِيقَانِ مَرَّةً أُخْـرى وَتَقَاتَلَا قَتَلَا عَنيفًا
قَتَلَ فِيهِ ما يُزِيدُ عَنِ أَرْبَعِ مِائَةِ شَخْصٍ مِنَ الفَرِيقَيْنِ عَـداً مِنْ قَتَلَ مِنَ الهَـوَّارَةِ
وَالعَرَبِ الأَـخَرِينَ ، فَفَقِدَ اسْمَتانِ أَيُوبُ بِـكُ إِيضاً بِأَولادِ حَبِيبٍ مِنَ عَرَبِ
الوَجْهِ البَحْـرِيِّ .

وَقَدْ أَدَّى اشْتِراكُ عَرَبِ الوَجْهِ القَبِيلِيِّ وَالْبَحْـرِيِّ فِي الفِتْنَةِ إِلى جَعْلِ
أَطْرافِ القَـاهِرَةِ وطُرُقَاتِها تَتَعَطَّلُ مِنَ المَـارَةِ واحْتِطاطِ الحَـيَـابِيَةِ وَالهُـوَّارَةِ
بِالأَطْرافِ يَسْلُبُونَ الخَلْقَ واسْتَبَاقُوا جِمالَ السَّقائينِ حَتَّى كَادَ أَهْلُ مِصرَ
يَمُوتُونَ عَطْشاً (١) .

وَقَدْ ضَامَتِ عَلَى النَاسِ سَبيلُ مَعاشِهِمْ وانْقَطَعَتْ أرْزاقُهُمْ .

ثُمَّ انْتَهَتِ الفِتْنَةُ بِتَغْلِبِ الفَرِيقِ المَنافِسِ لِـفَرِيقِ أَفْـرَنجِ أَحْمَدَ وَهَرَبَ
أَيُوبُ بِـكُ وَمُحَمَّدُ حاكمُ جَرِـجَا وَمَنْ تَبِعَهُمْ وَنَهَبَتْ دُورَ الجُمُيعِ وَأَحْزَابِهِمْ
وَهَجَمَ المُنْتَـصِرُونَ عَلَى فِرْقَةِ الانْكَشَـارَةِ وَقَبَضُوا عَلَى أَفْـرَنجِ أَحْمَدَ وَقَطَعُوا
رَأْسَهُ وَرُوَّسَ مَجمُوعَةٍ مِنَ أنصارِهِ . . وَذَلِكَ فِي أَوَّـلِ جِـمادى الأَوَّلَى سَنَةِ
١١٢٣هـ / ١٧١١م (٢) .

★ ★ ★

هَكَـلَما رَأينا مِنْ أَعْدائِ الفِتْنَةِ السَّابِقَةِ كَـيْفَ كانَ حاكمُ جَرِـجَا يَـهْتَمُّ
بِالأَعْدائِ السِّياسِيَةِ بِالقَـاهِرَةِ وَكَـيْفَ كانَ يَتَـركُ أَقْـلِيـمَهُ وَيَـذْهَبُ إِلى القَـاهِرَةِ
مُشارِكاً فِي أَعْدائِها وَمُصْطَلِحاً مَعَهُ الهَـوَّارَةَ وَعَرَبِ الصَّـعِيدِ الأَـخَرِينَ ،
وَقَدْ غَضِبَتْ السُّـلْـةُ عَلَى الهَـوَّارَةِ لِاشْتِراكِهِمْ فِي أَعْدائِ فِتْنَةِ أَفْـرَنجِ أَحْمَدَ
وَحُضُورِهِمْ إِلى القَـاهِرَةِ وَقِيامِهِمْ بِالقِتالِ وَالنَّهْبِ وَالسُّـلْبِ فِيها .

فَارسَلَتْ إِلَيْهِمْ حَمْلَةً لِتَأْديهِهِمْ فِي رَجَبِ سَنَةِ ١١٢٣هـ / ١٧١١م
بِقِيادَةِ مُحَمَّدِ بِـكِ قَـطامِشَ وَصَحْبَتِهِ أَلْفَ جُنْدِيٍّ وَمَعَهُ مَرْسُومٌ بِتَـعْيِينِهِ حاكمًا
لِـجَرِـجَا عَنِ سَنَةِ ١١٢٣هـ / ١١٢٤م (٣) ، سَنَةِ ١٧١١ / ١٧١٢م .

(١) الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ٤٢ .

(٢) الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ١٠٧ .

(٣) الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ٤٧ .

وقد اشتد غضب النوبة على الهوارة لأنهم بعد هزيمتهم في فتنة
أفرنج أخذ ومخادرتهم القاهرة من أفرنجي لمحمد بك حاكم جرجا السابق
ذهبوا معه إلى أخميم مقر الأمير حسن الأحميمي منافس محمد بك في
السيادة على الصعيد وعلى الهوارة ومنافسهم في السيطرة على التزامات
ولاية جرجا ، وقاموا بتخريب أخميم ونهبها .

لذا سحب الأمير حسن الأحميمي حملة محمد بك قطامش على الهوارة
سنة ١١٢٣هـ للانتقام منهم ، وقد حمل محمد بك معه فرمانا بأهراق
دم هوارة قبلى .

وقد تتبع محمد بك قطامش ومعه هوارة بحرى والأمير حسن الأحميمي
هوارة قبلى إلى قنا وقوص وقتلوا كل من عثروا عليه منهم .

ثم لجأ هوارة قبلى بعد ذلك إلى إبراهيم بك أبو شنب (١) وهو
صديق لهم وطلبوا منه أن يأخذ لهم أمرا يتأمينهم من الباشا وأن يكتب

(١) الأمير إبراهيم بك أبو شنب :

أصله من ممالك مراد بك القاسمي وخشدانش (زميسل) أيواط بك قلند الامارة
والصنيتية معه ، وكان من الأمراء الكبار المندودين تولى اماره الحج سنة ١٠٩٩هـ / ١٦٨٧م
وطلع بالحج مرتين ثم عزل عن اماره الحج لأمر وقتل له مع العرب بالغراء بعض أمراء مصر
وقد سافر أميراً على العسكر المين في فتح كريت سنة ١١٠٤هـ / ١٦٩٢م ولا خرج بالركب
خرج أمامه شيخ الشحاذين وجماعة من رجاله لأنه كان مصحنا لهم ويعرفهم واحدا واحدا
وكان إذا أعطى بعضهم شيئا ولاقاه في طريقه من جهة أخرى يقول له « أخذت نصيبك في
الحمل الثلاثي » .

ثم عاد إلى مصر وطلع إلى الاسكندرية ووصل خبر قدومه إلى مصر فجمع الشحاذون من
بعضهم نقودا واشتروا حصانا جميلا وأعدوا له سرجا فخما وركابا مطلقا وعباء مزركتسا وكلفهم
ذلك مبلغا كبيرا ولا وصل إلى القاهرة فعموه له فقبله منهم وركبه وذهب إلى داره وذهب
إليه الأمراء والأعيان وسلموا عليه وهنأوه بسلامة الوصول وخلع على شيوخ الشحاذين
ونقيهم كل واحد (جوخة) ولكل فقير جبة وطاقية وشملة ولكل امرأة قميصا وملاءة فيومي
والخلق عليهم اعداوا زائدا وعمل لهم وليمة .

وكانت رئاسة مصر في ذلك الوقت لإبراهيم بك ذو الفقار الذى كان قد عزم على القضاء
على القاسمية فلما حضر إبراهيم بك أبو شنب واستقر بمصر اتفق إبراهيم بك ذو الفقار
مع على باشا التولى باشوية مصر إذ ذلك على قتله بحجة المال والفلال المتكسرة عليه في
فيئته وقدرها اثنا عشر ألف أردب قمح وأربعون كيسا من النقود فأرسل إليه الباشا رسولا
يطلبه للمثول بين يديه وكان إبراهيم بك أبو شنب قد علم بالمؤامرة من شخص من أتباع
الباشا نفسه فامتنع من الذهاب إليه فحاصره الباشا فضاقت صدره وبينما هو في هذه الحال
أذ ورد أمر بمنزل الباشا وتولية اسماعيل باشا حاكم الشام بذلك وقد أرسل هذا قبل وصوله
أمرا إلى إبراهيم بك أبو شنب بتعيينه قائما له فأقبلت عليه الدنيا وتولى التدفترارية سنة ١١٠٥

بذلك الى حاكم جرجا ، وفعلا قبل ابراهيم أبو شنب التوسط للهوارة وحصل لهم على العفو وأرسله اليهم بمرسوم حمله اليهم رسول خاص وهو محمد كاشف .

فسر الهوارة لذلك سرورا شديدا وحملوا الرسول بالهدايا الثمينة لولاة الأمور في القاهرة وقدموا الى ابراهيم بك (موكب غلال وخيول ثمينة وأغنام) (١) .

وقد تابع حكام جرجا في القرن الثامن عشر الميلادي / الثاني عشر الهجري سياستهم واهتمامهم بالحوادث السياسية بالقاهرة ومصادرة اقليمهم اليها كلما قامت بها فتنة سياسية ففي ١١٦١ هـ / ٧٤٧٨ م وفي عهد محمد راغب باشا الذي تولى منصب باشا مصر سنة ١١٥٨ هـ / ١٧٤٥ م حدثت فتنة سياسية بالقاهرة لأن محمد باشا راغب أنشأ علاقات ودية مع بكوات الماليك فوشى به خصومه عند السلطان الذي أرسل اليه طالبا منه قتل أكبر عدد ممكن من بكوات الماليك مهددا اياه بأنه ان لم يفعل ذلك تعرض للاعدام .

وقد فضل راغب باشا بالطبع الابقاء على حياته على الابقاء على صداقته لهؤلاء الماليك واتفق مع حسين بك الخشاب على الإيقاع بأكبر عدد ممكن من بكوات الماليك وفعلا ساعده في ذلك ودبر معه حضور عدد منهم اليه والغدر بهم عندهم ولما حضرت المجموعة نفذ الباشا مع الخشاب المؤامرة التي قتل فيها خليل بك أمير الحاج ، وعلى بك الدمايطي (مؤسس بيت الدمايطي) وعمر بك بلاط وهرب على أثرها ابراهيم بك قيطاس الى الصعيد ومعه مجموعة من صناعق مصر ، وهربت مجموعة أخرى الى النجاز .

ولم يلبث حاكم جرجا وقتئذ وهو على بك ان غادر اقليمه وحضر الى القاهرة للاشتراك في هذه الفتنة التي أدت الى ثورة رجال الوجاقات العسكرية وصناعق مصر الذين ثاروا على حسين بك الخشاب وحاصروا منزله وحاربوه حتى نخرج فأرا الى الصعيد وأجبروا الباشا على مغادرة مصر وكان ذلك في أواخر عام ١١٦١ هـ / ١٧٤٨ م (٢) .

= ١١١٩ هـ / ١٧٠٧ م استمرت بها إلى سنة ١١٢١ هـ / ١٧٠٩ م ثم عزل ونقل اماره الحج ثم أعيد الى التفرديات سنة ١٢٢٧ هـ / ١٧١٥ م متعرضا بالطاوع وعمره اثنان وتسعون سنة وخلفه ولد محمد بك الذي غدا من كبار الأمراء الماليك وكانت له مكانة هامة كوالده .

الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ١٠٥ .

(١) الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ٤٨ .

(٢) الاسحقاني : أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول ص ١٨٢ .

الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ١٥٣ .

وبانشغاله حاكم جرجا بالحوادث السياسية بالقاهرة وبصراعه مع زملائه فيها ، واهتمامه بالبقاء بها أغلب أوقاته وجدت القبائل العربية المقيمة بالصعيد فرصة كبيرة للسيطرة على مقاليد الأمور فيه ، ومحاولة السيطرة على الحكم فى الصعيد وكان الهوارة أقوى هذه القبائل وأكثرها قدرة على العمل ومحاولة السيطرة على مقاليد الأمور فى الصعيد .

وقد كان لتوحيد أقاليم الصعيد والتي كان لكل منها سابقا حاكمه الخاص تحت أمرة حاكم جرجا أمر له خطره اذ كان هذا التوحيد بما يقدمه لهذا الحاكم من قوة يتيح له الفرصة للقيام بأى عمل ضد حكومة القاهرة خاصة وأنه على رأس اقليم غنى وبعيد عنها .

وقد زاد الخطر أكثر بادخال نظام الالتزام الى الصعيد فى النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادى / الحادى عشر الهجرى حيث كانت القبائل العربية المقيمة به من زمن بعيد والتي تتمتع بالثراء والعصبية القبلية والتي ترك التزام أراضي جرجا فى أيديها مما قدم لها الفرصة للسيطرة على ادارة جرجا فمن يسيطر على أراضي جرجا فى الالتزام يمكنه السيطرة على الحكم فيها وإدارتها مستغلا ما يقدمه له الالتزام الواسع من ثراء ويساعده على ذلك بعدد اقليم جرجا عن القاهرة مركز الحكم والقوة .

وهذا ما حدث فى عهد الشيخ حمام بن يوسف اذ أتاح له ثراؤه الطائل وسيطرته على أراضي جرجا الواسعة ان يسيطر على الصعيد كله وأن يقضى عنه كل سيطرة ونفوذ للحكومة العثمانية فى القاهرة .



الفصل الثالث

الأرض والالتزام فى الصعيد

نظام الأرض فى الصعيد - نظام الالتزام -
ادخاله فى مصر العثمانية - تطوره - دوره
كاساس للنظام الادارى والمالى فيها - سيطرة
هجم على التزامات الاراضى فى الصعيد من
المنيا الى اسوان

الأرض والالتزام فى الصعيد

كانت أراضى الصعيد قبل الفتح العثمانى خاضعة لنظام الاقطاع . ذلك النظام الذى أدخل الى الشرق الأوسط فى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى والذى بدأه بنوبويه ومن بعدهم السلاحيقة (١) الذين اتبعوا هذا النظام ورأوا أن يجعلوا الاقطاعات محل العطاء أو الرواتب لرجال الجيش ، وهذا ما بدأه نظام الملك وزير السلطان ملكشاه السلجوقى (٤٦٥هـ / ٤٨٥هـ / ١٠٧٢م / ١٠٩٢م) ونقلته عنه الدولة النورية ثم الدولة الأيوبية .

وقد بلغ هذا النظام النوروة فى دولة المماليك (٦٤٨هـ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠م / ١٥١٧م) .

ويعتبر عصر السلاطين المماليك العصر الذى اكتملت فيه النظم الاقطاعية فى الشرق الأوسط .

وقد اعتبرت الأرض ملكا للسلطان وجنوده وكانت القاعدة العامة فى التوزيع الاقطاعى وحدتها (القيراط) اذا كان خراج مصر يقسم الى أربعة وعشرين قيراطا توزع أجزاءها على القرى توزيعا متناسبا مع طاقتها واختص السلطان بأربعة قرايط للكلف والرواتب وغيرها على حين أفردت عشرة قرايط للأمرء والاطلاقات (أى المنح والزيادات) أما العشرة الباقية فكانت توزع بين الأجناد .

(١) . ابراهيم على طرخان : النظم الاقطاعية ص ٢٢ .

وكانت غالب الاقطاعات تمنح لرجال السيف وهم السلطان وأمراؤه واحتناده أى الى الجيش المملوكى بأجناسه وفرقه المختلفة ، وقد حازت فئة قليلة من رجال القلم الاقطاعات وهؤلاء تمثلوا فى الخليفة والفقهاء فضلا عن عدد قليل من أصحاب الحرف المختلفة كالصناع وغيرهم (١) .

وقد استعان صلاح الدين وخلفاؤه من بعده كذلك بعبان مصر فأقطعهم الاقطاعات نظير المحافظة على الأمن والاشتراك معه فى الجهاد واعتبر النظام الاقطاعى المملوكى أن زعماء العرب المخلصين فى طاعة الدولة المملوكية من رجال السيف المقطعين لأن عملهم يتركز فى حماية أطراف الدولة .

وقد كان من أشهر القبائل العربية التى حازت الاقطاعات فى العصر المملوكى عرب بنى الغوث بن طى من خزيمية بنو احي ديمياط ، عرب الجمارية المنتسبين الى قريش فى الدقهلية .

وانتشرت جماعة من عربان فايد ، وزنارة ، خفاجة ، هواره بأبناء البلاد الشمالية بين الاسكندرية والعقبة وهؤلاء معظم عربان الوجه البحرى وبالرغم من ثراء هؤلاء العربان وكثرة علمهم لم يكن لهم أهمية كبيرة لدى المماليك لانعزالهم وانهماكهم فى الزراعة وعدم مساندتهم للحكام فيما كان يجرى من أحداث سياسية (٢) .

ومن قبائل عربان الوجه القبلى التى حازت أوسع الاقطاعات كانت قبائل الهواره ، والسلطان بروق كما رأينا هو الذى أنزلهم الصعيد سنة ٧٨٢هـ / سنة ١٣٨٠م وأقطع زعيمهم اسماعيل بن مازن ناحية جرجا وكانت خرابا فعمرها الهواره .

وقد دخلت الواحات فى اقطاع العربان لموقعها النائي وما يترتب عليه من صعوبة الاستغلال لغير العرب من المقطعين (٣) .

وقد كانت واجبات وحقوق أرباب الاقطاع ذات جانبين أحدهما أدبى والآخر مادى فمن حيث الأدبى :

كان على المقطع أن يقدم ولاءه لسيده وهو على الأمر القائم بوصفه سلطانا .

(١) المرجع السابق ص ١٢ .

(٢) . إبراهيم على طرخان - النظم الاقطاعية : ص ١٥٦ .

(٣) المرجع السابق ص ١٥٦ .

أما الجانب المادى فكان أهم ما فيه :

أداء الخدمة الحربية وهى الأساس فى حيازة الاقطاع وعلى الأمير كذلك أن يقوم بأعمال حفظ الأمن ، وأن يسهم فى تسهيل وسائل الاتصال بين أطراف المملكة بتقديم خيول البريد ، وأن يؤدى الالتزامات المالية المتعلقة باقطاعه ، ثم أن المقطعين على اختلافهم مكلفون بتصيب فى الأعمال العامة مثل حفر الخللجان وعمارة الجسور وعليهم بحكم العرف أداء التقادم (١) بانتظام .

وقد قام العرب المقطعون فى العصر المملوكى بالتزام الخدمة الحربية الفعلية فى ميادين الحرب ، فاشتترك فى حروب السلطان فرج ضد تيمورلنك بالشام سنة ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م ستة آلاف فارس من عربان البحيرة وآلفان وخمسمائة فارس من عربان الشرقية فى صحبة شيخهم ابن بقر .

وقد جرى المصطلح المملوكى على تسمية هذه الجماعات من فرسان العرب باسم العشير .

غير أن العرب لم يخلصوا للماليك اخلاصا تاما ودليل ذلك أن طومان باى أمر الكشف ومشايخ العربان سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م أن يشرعوا فى تحصيل عشرين ألف خيال من العشير من فرسان العرب ثم أمر برجعهم الى بلادهم برغم شدة حاجته الى أى جندى وذلك بعد اشارة بعض الأمراء بأن العربان ليس لهم فائدة فى خروجهم معه .

فقد أدرك طومان باى عدم سلامة نواياهم فضلا عن الكراهية المتصرفة التى حفظها العرب للمماليك وربما ترجع خيانة ابن مرعى للسلطان طومان باى بعد ذلك الى أبعاده العرب على هذا النحو المتقدم بجانب الكراهية المزمنة (٢) .

وعندما فتح العثمانيون مصر استبعدوا منها نهائيا نظام الاقطاعات بالرغم من أن نظام الاقطاع كان جزءا مميزا للنظام العثماني حتى القرن السادس عشر ، وبالرغم من أن العثمانيين استخلصوا هذا النظام فى ولاياتهم الأخرى مثل الشام والعراق حيث عرف بنظام التيمارات والزعامت .

(١) التقادم : تعنى الهدايا وهى مقررة سنويا على أرباب الاقطاعات ومنها ما هو طارىء يحكم الظروف والتناسبات مثل حج السلطان أو زواجه ويحوى التقادم على خيول وقماش وأغواب مختلفة الأنواع والألوان وكذلك الأسلحة وأنواع الحيوانات والطيور المختلفة والتحف .
د إبراهيم على طرخان : النظم الاقطاعية ص ٢٠٦ .

(٢) د إبراهيم على طرخان - النظم الاقطاعية ص ١٩٥ .

وأسباب هذا الاستبعاد ستظل قائمة على التخمين إلى أن تتم دراسات أكثر تفصيلا عن حيازة الأرض في السلطنة العثمانية ككل ولعل أهم هذه الأسباب أن السلطان سليم كان يرمى من وراء سياسة إلغاء نظام الاقطاع في مصر إلى تحطيم القوة المادية لبقايا المماليك الذين كانت لهم من قبل الاقطاعات الواسعة التي كانت تشكل أساس قوتهم .

وقد كان مطلوباً من مصر أن تقسم للسلطنة كمية كبيرة من الغلال سنوياً ، ولو أديرت أراضيها بنظام الاقطاع لتحولت معظم غلالها من خزائن الحكومة إلى خزائن حائزى الاقطاعات .

كما أن إلغاء نظام الاقطاع من مصر يؤدي إلى تمكين الموظفين والجنود العثمانيين من تكوين قوة محلية قد تجعلهم في مركز يمكنهم من تجاهل أوامر ومصالح الحكومة المركزية ، يساعدتهم في ذلك بعدهم عن مقر السلطنة ، مع ملاحظة أن الأشخاص الذين يعتمدون على مرتبات ثابتة تقسمها لهم الدولة يكونون أكثر خضوعاً لسلطتها من أولئك الذين يملكون إيرادات مستقلة من الاقطاعات (١) .

وبالإلغاء العثمانيين نظام الاقطاع من مصر أعلنت الأرض كلها ملكاً للسلطان بما فيها الأراضي التي كانت مرصدة من قبل كأوقاف والتي ألفها العثمانيون سنة ٩٢٨هـ / ١٥٢١م وقد اضطربت أحوال الناس كثيراً بسبب إلغاء ما كان لهم من أوقاف ورزق إحصائية وقد قام القاضي فخر الدين بن عوض بالاستيلاء على تلك الأوقاف وضمها إلى الأراضي السلطانية تحت إشراف خاير بك حاكم مصر في ذلك الوقت ، وقد شمل ذلك الإلغاء أراضي الأوقاف في الوجهين البحري والقبلي ، ثم مرض خاير بك مرضاً شديداً أشرف فيه على الموت ، فأمر بالإفراج عن الأوقاف المصادرة وردها إلى أصحابها ، تقريباً إلى الله عليه يمنحه الشفاء وبذا عادت أراضي الوقف لمستحقيها وتركزت الأوقاف كمسا كانت خارج الأراضي السلطانية (٢) .

وقد أدارت الحكومة الأرض بعد ذلك بنظام المقاطعات أو الأمانات وكانت حدود كل مقاطعة أو أمانة تشمل القرى والأراضي والالتزامات الضريبية التي كانت محددة لها سابقاً في سجلات الريع المملوكية .

Shaw : Land holding and land-tax. Revenues in Ottomen (١)
Egypt : in political and social change in modern Egypt p. 82.

(٢). ابن إياس : بدائع الزهور - ج ٣ ص ٣٠٧ .

وقد تم ادخال نظام الأمانات أو المقاطعات الى مصر فى الصف الأول من القرن السادس عشر الميلادى / العاشر الهجرى .

وأُسندت ادارة المقاطعات لوكلاء ماجورين عرفوا بالأمناء وكانوا يأخذون مرتبات ثابتة من الحكومة غير مرتبطة بكمية الإيرادات التى يقدمونها لها ، وقد اختير هؤلاء الأمناء من الموظفين المماليك الذين كان ينطبق عليهم اللقب المملوكى القديم للحاكم الاقليمى (الكاشف) .

وفى الصعيد استمر مشايخ العرب فى ادارة الأراضى التى كانت تحت أيديهم كاقطاعات بعد أن حولت الى مقاطعات تركها لهم العثمانيون مقابل اعترافهم بالسيادة العثمانية ، وتهمهم بدفع ضريبة سنوية ثابتة للتزينة مقابل حيازتهم لهذه المقاطعات .

وكانت أهم واجبات الأمن :

التأكد من صلاحية كل قنوات الرى والسدود فى مقاطعته لتجمل فيضان النيل ، كما كان عليه ضمان توفير العدد الكافى من الفلاحين المستعدين لزراعة الأرض وجمع محاصيلها وقت الحصاد ، وتوفير الحماية للفلاحين من هجمات الأعراب ، وأن يكون قادرا على جمع الضرائب فى مواعدها وتسليمها للحكومة (١) .

أما رعاية الأمن المحلى وهى المهمة التى كان يقوم بها سابقا أرباب الاقطاع فقد تركت للحكام الاقليميين والحاميات المرافقة لهم .

ولكن نظام الأمانات سرعان ما أثبت أنه غير عملى لأن الأمناء الماجورين لم يتمكنوا بمرتباتهم الثابتة بل حاولوا الحصول على موارد أخرى بطرق غير مشروعة ، بالإضافة الى أن نجاح هذا النظام كان يتطلب ادارة مركزية قوية للسيطرة على مختلف المناطق والمقاطعات والموظفين وهذا لم يتوفر للإدارة العثمانية فى مصر .

وقد فشلت الحكومة فى توفير العدد الكافى من الأمناء لشغل تلك الوظائف ، فقد استبعدت المماليك السابقين خوفا من عدم اخلاصهم اذ ربما استغلوا مراكزهم للقيام بثورة أخرى تشبه تلك التى قام بها أحمد

باشا (الخائن) سنة ٩٣٠هـ / ١٥٢٤ م (١) ولم تستخدم الجند العثمانيين للحاجة الملحة لحمايتهم العسكرية واستخدمت فقط العثمانيين المرسلين من أماكن أخرى من السلطنة وقلة من الأقباط واليهود وحتى هؤلاء كانوا يرفضون غالبا تولي وظائف أمناء المقاطعات لأن الأجور المخصصة لهم لم تكون مجزية .

ونتيجة لذلك :

أصبحت توكل للأمن الواحد ادارة عدة مقاطعات ، ولكن الأمناء في هذه الحالة لم يستطيعوا توجيه العناية اللازمة لكل ما أسند اليهم من مقاطعات ، لذا اتخذوا لهم وكلاء عرفوا بالعمال .

وقد اختير هؤلاء من الموظفين السابقين من المالكين ومن الجند (٢) ولا غرائهم أعطيت لهم هذه الوظائف كالتزام (ضريبة مزرعة) واشتغلوا كملتزمين أى جامعى ضرائب (Tax-Farmers) وكانوا يقدمون مبالغ سنوية ثابتة للأمناء ويحتفظون بباقي إيرادات الضرائب كأرباح لأنفسهم ، وبدافع الربح الشخصي ازداد نشاط العمال في تحصيل أكبر كمية من الضرائب وحصلوا تدريجيا على أرباح أكثر وأغضضت المولة عينها عن ذلك نظرا لتدهور الأمور ولم يكن أمامها غير قبول ما يقبضه هؤلاء من ضرائب لاضطرابها الى التعامل معهم لادارة المقاطعات الزراعية .

وقد أدت ثورة أحمد باشا الى حرمان الخزينة من العمال المالكين الذين اشترك كثير منهم فيها وقتلوا أو شتتوا بعد هزيمته لذا غدا العمال كلهم من الفرق العسكرية ، وكان على كل عامل (ملتزم) أن يدفع ثمنا

(١) أحمد باشا :

تولى باشوية مصر سنة ٩٢٩ - ٩٣٠هـ / سنة ١٥٢٣م وقد قام بثورة بقصد فصل مصر عن السلطنة العثمانية لأنه أراد الانتقام لفقد منصب الصدارة العظمى التي تولاها منافس له يدعى إبراهيم باشا الذى ناصبه العداء وتمقبه بعد توليه مصر حتى أفلح فى استصدار أمر من السلطان لإمرأه مصر بقتل أحمد باشا ، وأرسل لهم ذلك الأمر سرا ولكنه وقع مصادفة فى يد أحمد باشا سنة ٩٣٠هـ فاتفاه وسولت له نفسه العصيان فقتل الأمراء لوجه اليهم بقتله وادعى السلطنة وأمر بأن يخطب باسمه على المنابر وضربت باسمه السكة على الدراهم والدنانير وسادر الناس وجمع الأموال واستطاع التغلب على جيش القلة ولكن انتهى أمره بخيانة أحد أصدقائه من المالكين الذين تمكنوا من قتله وبالرغم من مقتله فقد تابع أنصاره المقاومة واستطاعوا السيطرة على معظم الريف ولم تخمد الثورة نهائيا الا بوصول قوات عثمانية بقيادة الوزير إبراهيم باشا صهر السلطان سليمان .
الاسحاقى : أخبار الدول ص ١٤٩ .

(٢) Shaw : The financial and administrative organization p. 32.

لحصوله على الالتزام مبلغا يساوى تسعة أمثال ونصف الزيادة السنوية المنتظرة والتي كانت تترك له بعد تسليم الضريبة السنوية المقررة للجزينة ، وقد عرفت هذه الزيادة فيما بعد بأسم فائض الالتزام .

وقد كان الالتزام محدودا بالنسبة لكل عامل أما بمحصول كامل أو جزء من محصول وذلك حتى لا ينصرف الجندي أو العامل عن خدمته العسكرية مدة طويلة ، وقد بقى الإشراف على المقاطعات للأمناء للحد من نفوذ العمال ومراقبتهم .

بالإضافة الى أنه كان على كل عامل أن يقدم ضامنا يعتبر مسئولا عنه وملتزما بالتزاماته - لو أهمل فيها - أمام الجزينة وكان هذا الضامن عادة هو رئيس الفرقة التي ينتمى إليها العامل .

هكذا أدخل نظام الالتزام الى مصر على أساس قواعد محدودة ومبسوطة .

ولما كانت هذه الالتزامات محدودة بزمان معين وإيرادات معينة ، فقد كان العامل يحصل على أكثر موارده من عمله في أوجاقه الذي ينتمى إليه وكانت السلطات العثمانية تنظر الى الالتزام كوسيلة لإدارة الأرض أكثر منه كوسيلة لمكافحة الأجناد .

وطبيعى أن يتطلع العمال الى زيادة نصيبهم من موارد الأرض فازداد نشاطهم وأخذوا يشتطون في جمع الضرائب وازدادت قوتهم آزاء رؤسائهم من الأمناء وآزاء الجزينة أيضا وذلك تبعا لأهمية الأوجاقات التي ينتمون إليها في وقت توالى فيه المنازعات الدموية بين الأوجاقات العثمانية .

وهكذا ترتب على ذلك أن توارى أمناء المقاطعات حتى انتهت مهمتهم في أواخر القرن السادس عشر .

وحاولت الجزينة أن تحد من سلطة العمال في فرض زيادات غير مناسبة من المال على الفلاحين وذلك بمنح المقاطعات بالالتزام للضباط من الفرق العثمانية ولبيكات المالكين أيضا من القادرين على إدارة الأرض بكفاية دون إرهاب الفلاحين أو تلمذ على حقوق الجزينة ولكن هذه الخطوة لم تتحقق على النحو الذي أراده الدولة نظرا لأن الملتزمين غدا معظمهم من أعضاء الفرق العسكرية الذين كانوا قد وصلوا الى مركز السيطرة والتحكم في مصر العثمانية .

وتجديد به ادخال نظام الالتزام الى مصر بالضبط أمر لم يمكن معرفته الى الآن .

فبالرغم من أن قانونامة الخاص بالسلطان سليم قد أشار الى هذا النظام عند حديثه عن واجبات الدفتردار وعن حقه فى أخذ ضريبة عند التوقيع بامضائه على عقود الأرض المعطاة للأمناء بالأمانات (١) وبالالتزام ، فان معظم المؤرخين متفقون على أن نظام الالتزام لم يستخدم فى مصر قبل عهد السلطان سليمان القانونى .

وبنهاية الربع الاول من القرن السابع عشر م/الحادى عشر هـ أصبح الالتزام هو الشكل الذى تحولت اليه مقاطعات الأرض الزراعية فى مصر العثمانية(٢)وغدا الوسيلة الرئيسية لإدارة الأرض فى مصر وجباية أموالها .

ولم يكن نظام الالتزام جديدا على مصر فقد استخدم العرب منذ فتحهم لمصر لإدارة الأرض نظاما مشابها لذلك وهو نظام قبالات الأرض أو الضمان فكان متولى الخراج يجلس فى جامع عمرو بن العاص بالفسطاط فى الوقت المحدد لتوزيع قبالات الأرض ومنه كتاب الخراج ويحضر اليه الراغبون فى استئجار الأرض من القرى والمدن ثم يعقد المزاد ويسجل كتاب الخراج ما ينتهى اليه المزاد من إعطاء القرى لتقبليها والمبالغ المحددة لذلك .

وكان ذلك المزاد يقام كل أربع سنوات أى أن العقد بين الدولة والمتقبل كان يستمر تلك المدة .

وإذا ما حصل المتقبل على قبالاته توجه اليها وتولى زراعتها ، واصلاح جسورها وسائر وجوه أعمالها بنفسه وأهله ومن ينتدبه لذلك .

ويحمل ما عليه من الخراج فى إبانة على أقساط وكان يحسب له من المبلغ المحدد له ما ينفقه على عمارة الجسور وسد الترع ، وحفر الخللجان . وكان على كل متقبل أن يقدم للدولة ضامنا يضمن لها أدائه للخراج .

فكان الوضع يأخذ شكل عقد بين المتقبل والدولة لمدة أربع سنوات يتعهد فيه المتقبل بزراعة الأرض وأداء الخراج المطلوب فى موعده وكان لا يمكن قسوخ العقد قبل موعده طالما بقى المتقبل يؤدي ما عليه من خراج بانتظام .

وكان نظام الضمان يشمل . . بجانب الأراضى الزراعية :

(١) من المحتمل ان اللحن للشمسور لهذا القانون قد حوى لفظ (بالالتزام) حشسورا ولم يكن متضمنا فى الأصل خامسة وأن هذا المتن كان يمثل نسخة طبعت عن الأصل بعد مائة عام فى سنة ١٦٢٠ م .

Shaw : The financial and administrative organization, p. 33. (٢)
Gibb and Bowen : Islamic society Vol. II, p. 21.

اليساتين والحمامات ، القيساريات ، المساكن ، الرباع .

وكانت البلاد تضمن بقبالات أقسام (أو أحواض محدودة) للأمرء والأجناد ، الأعيان وأهل الأقاليم من العرب والأقباط .

وكانت أحيانا تبقى في جهات الضمان والمتقبلين جملة بواق أى أموال خراج (١) متأخرة فكان الولاة يشهدون في طلب ذلك مرة ويسامحون به مرة .

وإذا نقص ماء النيل وشرقت الأراضي أرسل الولى شخصا يشق فيه وخرج معه كاتب له معرفة يعلم الخراج (وكثيرا ماكان هذا الأخير من الأقباط) لاثبات مساحة الأراضي التي شرقت أى بارت نتيجة هذا النقص والأراضي التي شملها الرى ، لتحديد الأراضي التى يسامح متقبلوها بالخراج نتيجة لذلك ويرجأ تحصيله منهم الى وقت آخر . وكان الخراج الذى يقبله المتقبلون مالا أو غلالا .

وقد انتهى نظام الأرض بقبالات بنهاية الدولة الفاطمية وقيام الدولة الأيوبية بمصر وهى التى أدخلت نظاما هو نظام الاقطاع الذى تحدثنا عنه فى بداية هذا الفصل .

وهكذا رأينا أن نظام التزام الأرض لم يكن جديدا على مصر فقد سبق تطبيق نظام مشابه له فيها وهو نظام ضمان قبالات الأرض .

وكان نظام الالتزام فى مصر العثمانية يعنى أن ملتزم المقاطعة يلتزم بدفع مبلغ معين للخزينة طالما أن مصدر الدخل أى المقاطعة تنتج له انتاجها المتوقع منها .

وقد كانت الالتزامات تمنح لمن يتقدم لها من التجار الأثرياء والكتاب ، رجال الدين ، العلماء ، شيوخ العرب ، أعضاء البيوت المملوكية وللنساء (٢) .

(١) الخراج :

شريبة على الأرض المفتوحة عتوة أو صلحا فى غير بلاد العرب نفسها . وقد اعتبر العرب أرض مصر خراجية لتصلحها صلحا ، وتركت أرضها لأهلها مقابل دفعهم الخراج : أى ترك لهم حق استغلال الأرض فقط لا ملكيتها .

د - محمد كامل مرسى : الملكية المقاربية فى مصر وتطورها التاريخى من عهد الفراعنة حتى الآن - القاهرة ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م ص ٤٨ .

(٢) دفاثر التزامات الولايات القبلية بالفلحة .

دفتري رقم ٨ لسنة ١٠٩١ هـ عين ١ مخزن تركى .

أجوبة حسين أفندى الروزنامجى : نشر الأستاذ شفيق حربال - مصر عند مفرد الطرق - الباب السابع - السؤال الأول ص ٣٦ .

ثم غلت السيطرة على الالتزامات منذ منتصف القرن ١٧م/ ١١ هـ
ليكوات الممالك الذين كانوا قد وصلوا الى مركز التحكم فى «جريات
الأمور كلها فى مصر» .

وكان حق التمتع بالالتزام غير محدود ببلدة معينة وثمن شرائه
(حيازته) يدفع مرة واحدة فقط وحينئذ يكون للملتزم حق استغلاله
طالما هو يؤدى الخراج المطلوب منه للدولة فى مواعيده المحددة .

وكان الملتزم يحصل أحيانا على مقاطعة كاملة أو جزء منها وكان
يعطى له حينئذ أيضا لعرف (بافراج الملتزم) أو تقسيطه الديوانى) .

يحمل فى نهايته اسم المقاطعة وعدد القرايط التى حصل عليها
الملتزم منها وتوقع الضامن أو الكفيل الذى يوقع أسفل التقسيط بموافقته
على تعويض الخزينة المبلغ المطاوب من الملتزم فى حالة فشل الأخير فى
سداده ما عليه من خراج ثم يأخذ الملتزم الايصال الى الكاتب المختص فى
الخزينة الذى يكون على التقسيط وصفا كاملا للمقاطعة يشمل :

أسماء كل قرى المقاطعة والمساحات المزروعة فيها وأسماء الملتزمين
المشاركين فيها ، والضريبة الكلية المطاوبة سنويا للخزينة على كل المقاطعة،
ثم يحصل الملتزم على توقيع الدفتردار على (افراجه) وكذا توقيع الباشا
وتسجل الروزنامة (١) حينئذ على التقسيط أمر رسمى يحدد واجبات
الملتزم برعاية العدل مع فلاحيه وأداء المال المدى المطلوب منه فى مواعيد ،
وحقوق الملتزم على الفلاحين التى تقضى بوجوب طاعته ومساعدته (٢) .

(١) الروزنامة :

ادارة قديمة العهد وأعمالها موجودة منذ عام ٨١٨هـ/ ١٤١٥م أى أن وجودها يرجع الى
ما قبل الفتح العثماني لمصر .

وكلمة الروزنامة فارسية الأصل معناها الجرنال أو التقويم وقد اختصت الروزنامة فى
مصر بالإشراف على التزام الأرض وترتيب صرة الحرمين والمحافظة على دفاتر الحسابات أى أنها
كانت بمثابة دار محفوظات لفظ السجلات ، وقد كان العمل بها يجرى فى سرية تامة
ودفاترها لا يطلع عليها سوى الموظفين المختصون وكانت الدفاتر التى ينتهى العمل بها
تفظ فى خزينة مغلقة بالقلمة .

وكان أكثر أفندية الروزنامة من الممالك وهم مسلمون وبلغ من حرص أفندى الروزنامة
على أعمالهم أن ابتعدوا خطأ لكتابة حساباتهم لا يمكن لفهم قراءته وهو خط قرمى .

د- محمد فؤاد شكرى والاستاذان عبد القصور العنانى ، وسيد محمد خليل بناء دولة
مصر محمد على - القاهرة ١٩٤٨ ص ١٣ ، ١٤ .

الاستاذان محمد شليق غربال مصر عند مفرق الطرق ص ٥ .

(٢) Shaw : The financial and administrative organization ... p. 34.

وعندما يحصل الملتزم على التقييد المذكور تصبح في يده حجة قانونية تؤيد حقه في استقلال التزامه .

وقد تغير شكل افراج الملتزم في القرن الثامن عشر / ١٢ هـ فقد أكثر تبسيطاً كما سنرى من دراسة تقسيط خاص بالشيخ همام .
فقد . .

ورد به في أعلاه ختم الباشا بموافقة على حصول الشيخ همام على هذا الالتزام كالتالى :

بمحمد يرجو الأمان محمد

فما يخاف وفي نواك راغب

وكان هذا الباشا هو محمد باشا راغب .

ثم ذكر في التقييد أنه عن مقاطعة :

مال حماية قرية حراجية تابع قوصية ١٢ ط تابع ولاية جرجا وعهدة شيخ العرب همام يوسف بقدر ١٢ قيراط وجه التزام قيده شدة عن أول قوت ٥ ذى القعدة سنة ١١٦٠ هـ من اسم اسماعيل عبد الله تابع محمد أحمد مستحفظان خريوطى ملتزم ١٢ قيراط فى القرية المذكورة قيد شدة بموجب بایورلى شريف حضرة وزير روض ضمير محمد راغب باشا محافظ مصر آدام الله اجلاله ١١ جمادى الأولى سنة ١١٦١ .

والعبارات السابقة كلها مدونة بخط القزعة .

إعمال حماية : الذى ورد فى هذا التقييد كان يعنى ضريبة اضافية غير قانونية فرضها الملتزمون على أراضى الوقف الواقعة فى التزامهم فى القرن ١٧ هـ / ١١ هـ وكانوا يدفعون جزءا من ايرادها للباشوات مقابل حماية حقهم فى فرضها لأنها غير شرعية ومن هنا أخذت اسمها (مال حماية) وقد اعترفت الدولة بهذه الضريبة وتم نقل الجزء الذى كان يحصل عليه الباشوات منها من ايرادات الولاية الى ايرادات الخزينة السلطانية سنة ١٦٧١م / ١٠٨٢ هـ (١) .

أما قرية حراجية فهى إحدى قرى قوصى وقد حصل الشيخ همام على ١٢ قيراطا كانت فى التزام أحمد أتباع المالك المذكور اسمه فى التقييد وهو اسماعيل عبد الله .

وقد كانت كل مقاطعة تنقسم الى ٢٤ قرياطا توزع على قراها بأجزاء مناسبة لكل منها .

وقد حصل همام على هذا الالتزام فى أول توت ٥ ذى القعدة سنة ١١٦٠ هـ / ١٧٤٧م وتمت موافقة الباشا ببيورلى أى أمر منه على حصول الشيخ همام على القراريط المذكورة وتمت الموافقة بتاريخ ١١ جمادى سنة ١١٦١ هـ / ابريل سنة ١٧٤٨م .

ثم ذكر فى التقيسيط حساب الضريبة المطلوبة على هذا الجزء فقط
ومى :

١٥٠ قديم

٦ جديد

١٥٦ بارة

وتلاحظ هنا تبسيطا بالنسبة لذكر الضريبة على الجزء الخاص بالملتزم فقط وليس على كل المقاطعة واغفال ذكر أسماء الملتزمين الآخرين لأجزاء المقاطعة وأسماء باقى قراها :

ويعنى المال القديم الوارد هنا أعلاه الضريبة الأصلية المقررة على هذه الأرض والموتونة فى سجلات التاربع (أى المساحة العشمانية التى وضعت فى بداية قرن ١٧م / ١١ هـ أما الجديد فهو الزيادة التى استحدثت على المال المقرر الأصيل .

ثم يحسب الشطر الأخير من التقيسيط النصيحة التقليدية التى يوجهها الباشا باللغة التركية للملتزمين كما على :

أنت أيها الملتزم المذكور ، انه بموجب هذا التقيسيط الديوانى المعطى لك ، قد أصبحت القرية المذكورة فى التزامك يحق ١٢ قيراط من مصلحة المذكور قبنا عليه تصرف فيها وعليك أن تؤدى المال الميرى المفروض عليك فى وقته مع التمرز من الظلم والتعنى .

وهذه النصيحة كانت تأخذ شكلا تقليديا واحدا فى جميع تقاسيط الالتزام (١) .

(١) عرب هذه النسخة التقليدية وأورد نماذج لها الاستاذ محمد رفعت رمضان فى كتابه : على بك الكبير - ص ٨٠ ، ٨١ ، وعنه نقلت الترجمة وطبعتها على هذا التقيسيط المنشور باللاحق - ملحق رقم ٦ ص ١٧١ .

ثم ورد في نهاية التفسير امضاء الباشا محمد راغب واعتماد
الدفتردار (١) محمد مصطفى .

ونلاحظ على هذا التفسير الصادر في النصف الثاني من القرن
١٢ هـ / ١٨ م خلوه من توقيع ضامن أو كفيل للملتزم مما يدل على إلغاء
هذا النظام تبعاً لاستبعاد قوة الملتزمين وضعف السلطات الحكومية
وتدهورها .

وقد كانت الالتزامات تمنح بعد مزاادات تقام في ديوان القاعة وكان
ثمن حيازة الالتزام يساوي تسعة أمثال ونصف (أى فائض الملتزم)
الزيادة السنوية التي تترك للملتزم بعد سداده المال الميرى .

وفي عام ١٦٩٢ م / ١١٠٤ هـ حصل الملتزمون على حق الاحتفاظ
بحيازة أراضيهم لمدة حياتهم وكان للملتزم الحق في التنازل عن أراضيه
للآخرين مقابل ثمن معين

وإذا فشل الملتزم في أداء التزاماته كان قانوناً عرضة للقبض عليه
وتعذيبه وسجنه والاستيلاء على التزامه وكل ممتلكاته الأخرى ومصادرتها
لصالح الخزينة .

وعندما كانت تخلف مجموعة من مقاطعات الالتزام لعجز ملتزميها
أو وفاتهم كان يعاد طرحها في مزاادات جديدة وكان ثمن الحصول على
الالتزام في هذه الحالات أيضاً يساوي تسعة أمثال نصف متوسط (الفائض)
المنتظر حصول الملتزم عليه وقد عرف ثمن الحصول على الالتزام باسم بدل
الالتزام أو الحلوان .

وقد كانت إيرادات بدله الالتزام مقسمة الى قسمين :

قسم يؤول الى الخزانة السلطانية (٢) وقسم يضم الى الدخل
الشخصي للسلطان .

(١) الدفتردار :

كان يحكم مركزه أميناً على سجل الملكية ومستندات الحيازة التي كانت تغطي باسم
السلطان ، ولا قيمة لها الا اذا وضع هذا الضابط امضاءه في السجل امامها وقد احتكر
المالك هذا المنصب ابتداء من القرن ١٧ .

ESTEVE, Memoire sur les finance De Egypte depuis Sa conquête par
le Sultan Selym 1 Jusqua cell Du Général chef Bonaparte in Des-
cription del, Egypt toue Douz cue, p. 45.

(٢) الخزانة أو الخزينة :

في الاصطلاح عثمانى المملوك هو مقدار ما يتبقى مما يجبي من مصر بعد اتفاق كل
ما قرر السلطان اتفاقه ويرسل هذا الباقي الى العاصمة ، ولم يكن مقداره ثابتاً فان الحكومة =

فايرادات الحلوان الناتجة عن اعادة توزيع مقاطعات خالية لوفاة مستأجرها وفاة طبيعية كانت تضم الى الخزينة السلطانية ، وايرادات الحلوان الناتجة عن اعادة توزيع مقاطعات خالية لعجز ملتزمها عن تسديد الضرائب المقررة عليهم أو مقتلهم أو وفاتهم في أحله الحروب ، كانت تضم الى الايراد الشخصى للسلطان .

وبالطبع لم تكن للولاة في هذه الحالات أى مصالح مالية مباشرة تعود عليهم من تحصيل الحلوان المناسب ، لذا اهتموا بتحصيل الثمن الحقيقي لبدل الالتزام (الحلوان) والذي كان من المقرر أن يكون مساويا لتسعة أمثال ونصف فائض الملتزم ولم يعد الحلوان في بداية القرن الثامن عشر م / / ١٢ هـ مساويا لأكثر من ثلاثة أمثال (فائض الملتزم) .

ويضاف الولاة وتزايد نفوذ البيوت المملوكية ورغبة قادتها في استبقاء مقاطعاتهم بعد وفاتهم لورثتهم واتباعهم اتبعوا سياسة تسليمها أى التنازل عنها سرا وتسليم حقيهم فيها لمن يرضون في توريثهم اياها من ورثتهم واتباعهم .

وبعد ذلك يستطيع الآخرون اثبات حقهم بالاتفاق مع الباشا بدون اجراء مزادات لاعادة توزيع المقاطعات الخالية بل يدفعون مبلغا للباشا عرف باسم بدل المصالحة (١) ، وهو مساو لثلاثة أمثال (فائض الالتزام) .

وقد حاول الباب العالي تحديد الحالات التى تتم فيها المصالحة بتقييدها .

بالمقاطعات التى تكون وفاة أصحابها طبيعية بدون اعدام أو حرب أو موت فى الحرب وبأن المصالحة لا تكون الا لهؤلاء الذين حددتهم الملتزم المتوفى فى وصيته وبشرط أن يكونوا أكفاء من الناحية المادية للقيام بكافة الالتزامات المطلوبة منهم .

المشايه كانت تأمر أحيانا بأن نخضع منه نفقة اضافية كالزيادة في مقررات الحج والمرعى وأحيانا كان الباشا يخضع من الخزنة لتسديد عجز فى الأيوان المقررة أو لواجبة طلب استثنائى وهكذا . وكان يصحب الخزنة المرسلة الى العاصمة أحد بكوات المماليك الصناجق ويطلق عليه لقب بك الخزنة .

محمد شفيق غربال ، عصر عند مغرق الطرق ، ص ١٤ .

(١) SHAW : The financial and administrative organization ... p. 37.



وأنه إذا فقد شرط من هذه الشروط تعرض المقاطعات الحالية في مزاد كما كان يحدث من قبل .

وبذلك لم يعد الحلوان (بطل الالتزام) يزيده عن ثلاثة أمثال الربح السنوي للملتزم (فائض الالتزام) .

وبتدهور الإدارة العثمانية في مصر استطاع البكوات الأقوياء استبقاء ممتلكات ساداتهم ومن يرغبون في وراثة التزاماتهم بالمصالحة سواء توفرت فيهم الشروط التي وضعها الباب العالي لهذا الغرض أو لم تتوفر .

وبنهاية القرن الثامن عشر م / / ١٢ هـ

أصبحت أراضي الالتزام كالملكية الخاصة (١) بالرغم من أن الالتزام بقي نظريا إجبارا يمكن خلوه وعرضه في المزاد عند موت صاحبه .

فقد أصبح للملتزمين الحق في نقل أراضيهم لورثتهم خلال اجراء المصالحة مع الوالي ، وأصبح الورثة بعد وفاة الملتزم يقدمون طلبا للبasha بالموافقة على وراثتهم للملتزم المتوفى وكانوا يحصلون على تلك الموافقة والأمثلة التي عثرت عليها في الوثائق لهذا النوع كثيرة ومنها على سبيل المثال :

طلب قبسه ورثة الشريف علم الدين ٢٧ ذى الحجة سنة ١١٨٧ هـ / فبراير سنة ١٧٧٣ م الذي كان له التزام قرية أبو هدرى المعروفة ببني جلبي بجرجا طالبين من البasha تسليمهم تلك القرية بوصفهم ورثة له بعد أن استولى عليها ملتزم آخر اغتصب حقهم وقعلا .

وافق البasha على الطلب وأمر عليه بأمره بتسليم الورثة تلك القرية (٢) .

وقد كان الشخص يرث التزام زوجته أو معتوقى أقاربه (معتوقى العم مثلا) ويرث اتباع أبيه أيضا بعد تقديم طلب للبasha بذلك (٣) .

(١) Shaw : The financial and administrative organization . D. 88.

(٢) وثائق دار الوثائق القومية بمباين حجج الالتزام وثيقة رقم ٢ ملف ٨٥ مطظة رقم ٥ لسنة ١١٨٧ هـ .

(٣) وثائق دار الوثائق القومية بمباين حجج الالتزام .

وثيقة رقم ٣ ملف ٨٥ مطظة ٥ سنة ١١٨٨ هـ .

وثيقة رقم ٦ ملف ٨٧ مطظة ٨ سنة ١١٢٣ هـ .

وثيقة رقم ١ ملف ٨٥ مطظة ٥ سنة ١١٨٣ هـ .

وكان الأبناء يرثون التزامات آبائهم ويمكنهم التصرف فيها بعد ذلك وفقا لما تمليه عليهم مصلحتهم والأمانة على ذلك كثيرة منها :

حالة زهرة بنت محمد جلبى (١) تابع أحمد أغا أغا جمليان التى ورثت عن والدها التزام $\frac{1}{4}$ ط فى اراضى ناحية الخصة بولاية الشرقية .

وقامت بالتخلى عن هذا الالتزام .

للسيدة عائشة السيد الشريف نظير مبلغ ٤٥ ريال وذلك لعجزها عن زراعة هذه الأرض وتعطلها عن الانتاج .

وكان التنازل امام محكمة الباب العالى بالقاهرة سنة ١١٢٧ هـ / ١٧١٥ م .

والشيخ همام ورث عن أبيه التزامات واسعة فى اراضى الصعيد كان الأب أيضا قد ورثها عن أبيه الحاج أحمد محمد همام (٢) .

★ ★ ★

الالتزام كأساس للنظام المالى والادارى

فى مصر العثمانية

كان نظام الالتزام هو أساس النظام المالى والادارى فى مصر العثمانية .

فقد ادار الملتزمون ووكلاؤهم المقاطعات وكان هؤلاء الوكلاء يعمون من قبل الملتزم من اهالى المنطقة اذا كان الملتزم من المنطقة نفسها ومن ممالك الملتزم اذا كان الملتزم نفسه من امراء الممالك .

وكان اكبر هؤلاء الوكلاء يعرف (بالقائمقام) أو البديل (٣) . الذى كان ينوب عن الملتزم فى تنفيذ واجباته وتحصيل حقوقه فى مقاطعته ، وهو الذى يجمع الايرادات الخاصة بالملتزم وخاصة فى حالة ما اذا كان للملتزم اسهم فى مقاطعات متعددة او كان مقيما خارج الاقليم .

(١) حجج الالتزام بمبايدين وثيقة رقم ٩ ملف ٩٢ مطبقة ٨ لسنة ١١٢٧ م .

(٢) دفاتر التزامات الولايات القبلية بالقلمة دفتر رقم ٣٣٧ ع ٥ لسنة ١١٥٩ م .

مخزن تركى .

(٣) Shaw : The financial and administrative organization .. p. 55.

وفى بداية ادخال نظام الالتزام الى مصر كانت المقاطعة تمنح للمتزم واحد . ولكن فى القرن الثامن عشر أصبحت المقاطعة تمنح أحيانا للمتزم واحد وأحيانا لعدد من المتزمين يتراوح بين خمسة وعشرة ملتزمين .

فقد بلغ عدد المتزمين فى قرية القصير بولاية جرجا عن سنة ١١٣٩ هـ سنة ١٧١٦م عشرة ملتزمين (١) .

وفى كل قرية يخصص جزء من الأرض الزراعية تبلغ مساحته ١٠/١ مساحة أراضي الفلاحين وعرف هذا الجزء باسم أرض الوسية ويزرعها المتلزم لحسابه ولا يدفع عنها ضريبة . ويخصص ربعها للاتفاق منه على المسافرين والجند وموظفى الحكومة الذين ينزلون ضيوفا عليه (٢) . ولم يكن للمتلزم فى البداية الحق فى ارغام الفلاحين على العمل فى أرض وسيته بدون أجر ولكن بتدهور الحكم وسيطرة المتزمين على أراضيهم فى القرن ١٨ هـ / ١٢ هـ أصبحوا يفرضون على الفلاحين سخرة القيام بزراعة أرض الوسية .

أما عن تقسيم الضريبة بين الفلاحين وجمعها منهم فقد كان يقوم بهذا العمل . . الصراف (٣) . . وغالبا ما كان من الأقباط .

ومهمته قبض المال من الفلاحين وتقييد أسمائهم وتحويل العملة فقد كانت الضرائب التى فرضها العثمانيون تفرض اسمياً بالعملة الجديدة التى سكوها وتجمع من الفلاحين بالعملة المملوكية القديمة فمثلا فى بداية الحكم العثماني كانت البارة المملوكية القديمة تساوى الواحدة منها ٢/٥ من البارة العثمانية الجديدة التى سكها العثمانيون وكانت مهمة الصراف تحويل العملة التى يدفعها الفلاحون من العملة المملوكية القديمة الى ما يساويها من العملة العثمانية الجديدة وما عليهم منها ، والصراف هو الذى يتولى الحساب مع المتلزم وكان يأخذ أتعابه من الفلاحين ومن المخرجات (٤) .

(١) دفاتر التزامات الولايات القبلية بالقلمة - دفتر رقم ٢٢٩ لسنة ١١٣٩ هـ عين ٤ مغزى تركى .

(٢) الفريشى : هـ الصفوح ج ١ ص ٦٥ .

(٣) GIBB and BOWEN : Islamic society Vol, 1 p. 262.

(٤) عرف مجموع المال الذى فرضه العثمانيون على الأرض الزراعية من ضرائب باسم المال الحر . ويجمعه للمتزمون من الفلاحين ثم يقسم الى الأقسام الآتية :

١ - نصيب السلطان ويعرف بالمال الميرى .

٢ - نصيب جهات مختلفة كتذاكر الجاوشية .

٣ - نصيب الادارة المحلية ويعرف بالكشوقية .

٤ - ما يتبقى للمتلزم نفسه بعد تأدية ما سبق ويعرف بالفاقص .

ويشارك الصراف فى مهمة تقسيم الضريبة بين الفلاحين وجمعها
منهم .



شيخ البلد

الذى يختاره الملتزم من أغنى وأكبر عائلات القرية والذى كان يرأس
الموظفين المحليين بها ويقوم معهم ومع وكلاء الملتزم بالواجبات الادارية
المطلوبة من الملتزم من رعاية الامن المحلى وتنظيم استغلال الأرض وجمع
الضريبة المفروضة على الفلاحين (١) .

وإذا كان الملتزم التزامات واسعة كان عليه أن يعين عددا من
الشيخوخ لمختلف فواحي أراضيه ولهذا وجد أكثر من شيخ فى القرية
الواحدة .

وكان على الشيخ (٢) أن يوفر الامن للفلاحين الذين يزورون الأرض
تحت رعايته ويرتب لذلك القرض حراسا عرفوا بالمقفر وهم مكلفون
بمنع السرقات التى تحدث فى المزارع ، وتنبه الأهالى عند اقتراب
اغارات العربان على القرى .

وكان أهم واجبات هذا الشيخ الاشراف على أراضى القرية والرقابة
على أهالى البلدة ، وهو مكلف بصيانة حقوق الملتزم من عبث وأهمال
الفلاحين وهو الوساطة فى إبلاغ أوامر الملتزم اليهم وعرض طلباتهم
والتماساتهم عليه ، وقد كانت هذه الوظيفة وراثية فى العادة .

== وقد زائد المال المر زيادتين كلاما بدون وجه شرعى أحدهما البرانى أو المضاف
ويُنقسم الى قديم ومستجد .

والآخر الكشفية المستجدة .

وقد أطلق لفظ المخرجات على المال الذى كان يؤديه الفلاحون ولا يدخل فى حساب
أموال السلطان .

سفيق غربال :

مصر عند مفرق الطرق -- ص ٣٤ .

Shaw : The financial and administrative organization ... p. 54, (١)

Michel-Ange Lancret : Memoire sur le Systéms d'imposition
territoriale et sur l'administration des provinces de l'Egypte dans
dernière années du gouvernement des Mamlouks, dans Des cription
de L'Egypte Tome Onzie, p. 480. (٢)

وكان للشيخ أن يعاقب الزراع المهملين فى زراعة الأرض ، أو الماطلين فى دفع الضرائب المستحقة عليهم وكان هذا الشيخ هو الذى يقوم بتنفيذ قرارات قاضى المحكمة المحلية - عن طريق المشد - .

والقضاة المحليون أو الاقليميون هم الذين كانوا يمثلون مصالح الدولة ويتخذون محاكمهم فى كل المدن والقرى الرئيسية فى المقاطعة وتشمل أحكامهم الشئون القضائية بالإضافة للشئون المالية والإدارية فقد كانت تعقد فى محاكمهم كل الاتفاقات الخاصة بتبادل الالتزامات المتبادلة بين الفلاحين والمتزمين . . والأمثلة على ذلك كثيرة جدا وقد رأيت مجموعة منها فى الأوراق التى قدمها لى أحفاد الشيخ همام بقنا ومنها على سبيل المثال .

(أ) حجة صادرة من محكمة فرشوط سنة ١١٨١ هـ خاصة برهن زيدان المنقورى وأخيه عمران للشيخ همام مساحة وقدرها ٢٥ فداناً بناحية ادفوا بأسموان وذلك لتأخرهما فى سداد ما عليهما من خراج للشيخ همام وقد أقر بذلك أمام قاضى محكمة فرشوط .

(ب) حجة أخرى صادرة من محكمة بهجورة بجرجا سنة ١١٧٧ هـ يقر فيها محمد الانصارى البهجورى بتنازله عن فدان من أرضه للشيخ همام نظير مبلغ معين اقترضه منه وعجز عن تسديده له .

(ج) حجة أخرى صادرة من محكمة فرشوط بجرجا يرهن فيها أحمد على عيسى الالفندور فداناً للشيخ همام نظير مبلغ معين من المال كان فى ذمته للشيخ همام متأخر خراج وتلك القطعة من أرض حطيطة وهو نوع من الأرض اغتاله العرب عنوه وتملكوه وهو لا يدفع عنه ضرائب ويعرف باسم الأطيان المسموح وهذا النوع من الأراضى كان منتشرا فى الوجه القبلى وقليلاً فى الوجه البحرى (١) .

وكان للقضاة أيضاً الحق فى تلقى الشكاوى التى يتقدم بها الفلاحون ضد المتزمين ووكلائهم ثم يقومون بإرسالها للباشا مع التوصية ببا يجب عمله (٢) .

وقد تحولت معظم سلطات هؤلاء القضاة الى أيدي المتزمين فى القرن الثامن عشر وسنرى أعظم مثل لذلك فى عهد الشيخ همام فى الفصل التالى .

Lancret, Description de l'Egypt Vol. I p. 481. (١)

SHAW : The financial and administrative organization, p. 58. (٢)

وقد كان شيخ البلد هو المختص بتنفيذ قرارات قاضي المحكمة المحلية عن طريق المشد الذي يختاره الملتزم من بين فلاحي المنطقة ويمثل مساعد القاضي .

وفي القرن الثامن عشر غدا المشد هو المنفذ لأوامر الملتزم الخاصة بمعاينة الفلاحين المحتنين عن أداء الأموال المقررة عليهم (١) .

وبعد رى أراضي القرية وقبل بدء زراعتها كان الحولى أو المساح يقيس أرضها الزراعية والحولى (٢) هو المختص بمعرفة حدود القرية وتحديد أرض الأثر لكل فلاح ووقت البذر .

والأثر هو قطعة الأرض التي يمنح الفلاح الحق في زراعتها واستهلاك جزء من إنتاجها وقد تغيرت وتطورت طبيعة هذا الحق خلال عصور الحكم العثماني لمصر .

وقد كان للفلاح الحرية في اختيار المحاصيل التي يزرعها في أثره بدون تدخل الملتزم وإن كان ذلك أمرا تحكمه العادات والتقاليد الموروثة .

وكان للفلاح أن يزرع أثره طالما هو يؤدي الضرائب المطلوبة للملتزم الذي لم يكن يستطيع طرده من أرضه إلا إذا توقف عن دفع الضريبة المطلوبة منه وثبت عجزه عن فلاحه أرضه .

وقد كسب الفلاحون في القرن ١٧ حق نقل آثارهم إلى ورثتهم .
وفي القرن ١٨ أصبح من حق الفلاح أن يتنازل عن أرضه لأي شخص يرضيه مقابل ثمن معين .

وكان الفلاح غير القادر على زراعة كل أثره يستطيع أن يرهن جزءا من أرضه للملتزم في مقابل مبلغ من المال يمكنه من زراعة باقي أثره وتصبح أرضه مرهونة حتى دفع المبلغ وحينئذ له أن يستردها وهو ما عرف برهن الفاروق (٣) .

أما إذا عجز الفلاح عن سداد المبلغ الذي اقترضه نظير رهن الأرض فإن ممتلكاته الشخصية وتشمل (الماشية والآلات الزراعية تصادر وتباع) .

ومن أهم رجال الإدارة المحلية في القرية :

Estéve : Description de L'Egypte Vol. 2, p. 67. (١)

Landcert : Description de l'Egypte Vol. XI, p. 486. (٢)

GIBB and BOWN ; Islamic society ... Vol. 1 p. 263. (٣)

الشاهد :

ويعينه الملتزم من أهالى المنطقة أيضا وهو الذى يحفظ السجل المدرج به بيان الأراضى فى القرية ونوعها وحصص الفلاحين وأسماء الملتزمين فيها والتغيرات التى تطرأ على أراضى القرية .

وقد لقب بالعدل للدلالة على الاستقامة التى يجب أن تتميز بها أعماله (١) .

يأتى بعد ذلك :

الوكيل (٢) :

ومنوط به ادارة اراضى الأوسية والاستعانة بالخولى على زراعتها ويجبى إيراداتها ويتصرف فيها طبقا لأوامر الملتزم .

ثم . . الكلاف (٣) :

أو الراعى وهو مكلف تحت اشراف الوكيل بالعناية بمواشى وغنم الوسية وقطعانها .

وقد كان فى القرية عمال آخرون مثل :

الامام ، الحلاق ، النجار ، ويتناولون أجورهم من الفلاحين ويقدمون الخدمات لهم .

وقد اختلفت ادارة القرى فى الصعيد عن الوجه البحرى بعض الشيء . فقد كان الكشف فى الصعيد هم الذين يديرون قرى الكشوفية وهى القرى التى كان دخلها مخصصا للباشوات ، وكانت مفصولة لذلك عن أرض الالتزام وكان هؤلاء الكشف من الموظفين المماليك من الدرجة الثانية أى لم يصلوا بعد الى رتبة البكوية بعكس الكشف فى الوجه البحرى الذين كانوا حكاما اقليميين من الموظفين المماليك من الدرجة الأولى أى من البكوات ، لانه تبع توحيد أقاليم الصعيد كلها من المنيا الى أسوان تحت ادارة حاكم جرجا إلغاء نظام الكشف حكام الأقاليم من الصعيد ولم يبق بالصعيد سوى الكشف الذين يديرون قرى الكشوفية وقد خضع هؤلاء كما خضع حاكم جرجا فى عهد الشيخ هممام لسيطرته ونفوذه .

Estève Vol. 12 p. 66 Description de L'Egypte Vol. 12, p. 68. (١)

Vol. 12, p. 68. نفس المرجع

Ibid, p. 68.

(٣) نفس المرجع - نفس الجزء

وكانت أراضي القرى في الصعيد على الشيوع أى أن أطيان كل بلدة لم تكن مقسمة الى تكاليف قائمة بذاتها يمتلك كل فلاح منها تكليفا خاصا به (أثرا) كما هو الحال في الوجه البحرى وكذلك الحال بالنسبة لأراضي الملتزمين الأواسى .

فقد كانت أرض الأثر والأواسى عرضة للتغيير كل عام وعقب انحسار المياه عن الأرض وامكان زراعتها كان الملتزم ينتدب مساحا غالبا ما يكون من الأقباط يسمح الأرض القابلة للزراعة بحضور الملتزم أو نائبه .

فالأراضي التي يخصصها للفلاحين تكون أثر السنة وتقرض عليها ضرائب ماثلة للضرائب التي يحصلها الملتزمون في الوجه البحرى .

والأراضي التي تخصص للملتزمين تكون هي الأواسى .

وثبتت حدود ومقدار النوعين في أوراق رسمية وطريقة القسمة السنوية هذه سببها عدم انتظام الرى الامر الذى كان يترتب عليه أن الأراضي الصالحة للزراعة في احدى السنين قد تكون شراقي أو بائرة في السنة التالية وبالعكس (١) .

وعملية المساحة في الصعيد كانت تقوم مقام سجل الشاهد في الوجه البحرى .

والجانبى الذى كان يطلق عليه اسم الصراف في الوجه البحرى كان يسمى في الوجه القبلى العاقل أو القابض .

أما باقى موظفى القرية فكانت واجباتهم ماثلة تماما لأمثالهم في الوجه البحرى (٢) .

وقد قام الملتزم في قرى مصر العثمانية (٣) بمركز البنك الزراعى بالنسبة للفلاحين . فقد كان هو الذى يقدم لهم رأس المال المطلوب لشراء الحبوب اللازمة للزراع ، ولإصلاح الآلات والأدوات المستخدمة في الزراعة والنفقات اللازمة لتبديل حيواناتهم المستخدمة في الحرث والمصروفات اللازمة لدفع أجور الأشخاص الذين يجمعون المحصول .

Lancet : Description de L'Egypte Vol, 11, p. 484. (١)

Lancet : Description de l'Egypte Vol, 11, p. 486. (٢)

SHAW : The financial and administrative organization .., p. 56. (٣)

وكان الملتزم كذلك يقدم لموظفى القرية أجورهم قبل جمع الضرائب المخصصة لدفع أجورهم .

هكذا توفر للملتزم نفوذ كبير على الفلاحين .

وعندما فقدت الحكومة المركزية قدرتها على السيطرة على الملتزمين اندفع هؤلاء وبدافع المصلحة الشخصية الى استغلال الفلاحين الى أقصى حد يفرض الضرائب الإضافية غير القانونية عليهم وتحصيل أقصى مايمكن تحصيله منهم من الأموال والغلال زيادة على المقدار المفروض عليهم لأن هذه الزيادة كانت تبقى للملتزمين بعد تسديد المال الميرى .

وانتشرت هجمات الأعراب فى كل مكان وهرب الفلاحون الى المدن وتعذر على الحكومة اعادتهم بالرغم من قانون نامة السلطان سليمان (١) .

نص على أنه من واجب رجال الإدارة تتبع الفلاحين الفارين من أرضهم والبحث عنهم واعادتهم لقراهم ومعاقبتهم واجبارهم على العمل فى أراضيهم بالقوة .

ولكن لضعف سلطات الحكم فشلت فى ذلك وأصبح اقفار الأرض مشكلة حادة (٢) .

نصيب القبائل فى الفلاحة والأرض فى الصعيد

وقد قام بزراعة معظم القرى فى الصعيد الفلاحون ورجال القبائل العربية المنتشرة به ، وقد اتخذ شيوخ هذه القبائل مركز الملتزمين ، وكانوا أكثر قدرة على حماية فلاحهم من هجمات العربان من ملتزمى الوجه البحرى وتميزت المساحات المعطاة للملتزمين فى الصعيد باتساعها عن نظيراتها فى الوجه البحرى لسيطرة العصبية القبلية على الالتزام فى الصعيد وفى الصعيد ولم يكن عمل الفلاحين شاقا كالوجه البحرى حيث قاسى الفلاحون أشد أنواع الظلم والعذاب وتمرضوا لمطالم كثيرة .

فقد بلغ من ظلم الملتزمين فى الوجه البحرى أنهم كانوا يأخذون أبناء الفلاحين (حتى ولو كانوا مشايخ بلد) رهينة عندهم حتى يفى

H. A. R. Gibb and Harold Bowen Islamic society Vol, 1, p. 260. (١)

S. J. (Shaw) : The financial and administrative organization ... (٢)
p. 58.

أباؤهم بما عليهم من أموال متأخرة (١) وكانوا يفرضون عليهم المغارم القاسية ومنها •

غرامة الأكل (أو الوجبه) (٢) وهي عبارة عن الزام الملتزم ورجاله من صراف ومشهد للفلاحين بتقديم الماكل والمشرب لهم طوال مدة اقامتهم فى القرية ، وكانوا يكلفون الفلاحين فى هذا أكثر من طاقتهم لأنهم لا يرزضون منهم الا بأطيب وأغلى أنواع المأكولات التى كان الفلاح نفسه محروما منها •

وهذه الغرامة لم تكن موجودة فى الوجه القبلى لأن الملتزمين كانوا من شيوخ العرب الأثرياء المقيمين فى الصعيد دائما ولا يلزمهم أن يفرضوا على الفلاحين مثل هذه المغارم ومن المغارم الأخرى التى عانى منها فلاحو الوجه البحرى غرامة البطالين •

أى استخدام الفلاحين بغير أجر فى العمل فى أرض الملتزم الخاصة الوسية •

وكان يصحب تحصيل الأموال فى قسرى الوجه البحرى الحبس والضرب والأهانات البالغة للعاجزين عن سداد الخراج الذين يضطرون الى اقتراض المال بالربا أو بيع ماشيتهم أو رهن حلى زوجاتهم وان لم يفلحوا فى ذلك كان الصراف يأخذ أبناءهم رهينة حتى سداد ما عليهم أو يأخذ أخوتهم ان لم يكن لهم أولاد أو أحد أقاربهم •

وقد عانى فلاحو الوجه البحرى الكثير من العناء من استخدامهم سخرة فى حفر السواقي وزراعة أرض الوسية الخاصة بالملتزمين •

فكان المشد يأمر الحفير بالمناداة على الفلاحين ببدء العونة يا فلاحين العونة يا بطالين ويبدأ بعد هذا فى جمع الفلاحين بالقوة للعمل سخرة فى أرض الوسية •

وكان الفلاحون يعتبرون هذه السخرة (العونة) مصيبة كبرى لأنها كانت تعطلهم عن عملهم نفسه (٣)

بالاضافة الى تعرض الفلاحين فى الوجه البحرى لهجمات الأعراب القاسية الذين كانوا يسلبونهم حاصلاتهم ويستحذون عنوة على أجداد أطيائهم (٤) •

(١) الجبرى : عجائب الآثار ج ١ ص ١٩٠ •

(٢) الشرييى : مز القنوف فى شرح قصيدة أبى شدوف ج ٢ ص ١٨٦ •

(٣) الشرييى - مز القنوف ٠٠٠٠ ج ٢ ص ٢٢٠ •

(٤) Girard : description de L'Egypte Vol. 17, p. 43. (٤)

وكان فلاحو الوجه القبلي أسعد حالا من فلاحى الوجه البحرى لأنهم كانوا معافين من كثير من الرسوم والضرائب غير القانونية التى كان يدفعها فلاحو الوجه البحرى مثل ٠٠٠٠ البرانى الجديد (١) .

وقد اتسع نفوذ الملتزمين من هميوخ العرب فى الصعيد لما كانوا عليه من ثراء وعصبية قبلية لثمتهم بالالتزامات الواسعة .

ففى ولاية جرجا سيطر الهوارة على مساحات واسعة من أراضى الصعيد بحيازتهم للالتزامات الزراعية مما أدى الى إعادة النفوذ والسيطرة اليهم وكان ذلك ناتجا عن اتساع سلطة الملتزم عامة فى القرن الثامن عشر حيث غدا الملتزم فى أراضيه هو صاحب السلطة والممثل للدولة . وحاكم المنطقة ومدبرها ماليا وإداريا ويتضح ذلك تماما فى عهد الشيخ همام الذى تمكن من السيطرة على معظم أراضى الصعيد بالتزاماته لمساحات واسعة من الأراضى امتدت من المنيا الى أسوان (٢) .

وفى تلك المنطقة بسط الشيخ همام نفوذا واسعا غدا حاكمها الفعلى وسيدها المطاع .



(١) البرانى القديم والجديد :

وقد عرفنا باسم : مضاف قديم ، مضاف الجديد .

ولم يكن هناك نص صريح لفرض هذين الرسمين اللذين لم يكونا فى الأصل الا نوعا من الاكراميات أو اللبى التى كان الفلاحون يمدونها مقابل قضاء مصالحهم أو جريا على العرف .

ويرجع تحصيل البرانى القديم الى عهد بعيدا جدا وقد غدا قانونيا مثل المال الحر الأصل .

وقد فرض اليكوات المالك البرانى الجديد منتحلين لأنفسهم نفس الأسباب التى ارتكزوا عليها فى فرض البرانى القديم . وجميع قيم هذين النوعين توفى نقدا .

Estéve : Description de l'Egypte Vol. 12, p. 64.

(٢) دفاتر الالتزام القلعة : دفتر رقم ٥١٨ لسنة ١١٨١هـ عن ٨ سغون تركى .

الفصل الرابع.

شيخ العرب همام

نشأته ، أسرته ، علاقتها بالمنطقة ،
بالحكام ، العوامل التي ساعدت على ظهور
همام ، دوره كملتزم ، حكومته ، نفوذه ، أثر
سيطرته في جرجا على الحياة الاقتصادية
والسياسية فيها .

شيخ العرب همام بن يوسف

فى قرية فرشوط (١) بمحافظة قنا كان مولد شيخ العرب همام بن يوسف فى تاريخ لا نعرف تحديده بالضبط ، ولكننا اذا أخذنا برواية الرحالة فانه يقع حوالى ١٧٠٩م / سنة ١١٢١هـ (٢) أما وفاة الشيخ همام فتاريخها محدد فقد حددتها الجبرتى (٣) باليوم الثامن من شهر شعبان سنة ١١٨٣هـ نوفمبر سنة ١٧٦٩م وتؤيد دفاتر الالتزامات بالقلعة وقوع وفاة همام فى هذا العام أيضا ، فقد ورد بدفتر رقم ٥٣٥ لسنة ١١٨٣هـ عين ٨ مخزن تركى أن أولاد الشيخ همام وهم درويش وشاهين وعبد

(١) زار الرحالة بروس فرشوط فى يناير سنة ١٧٦٩ وذكر عنها انها مدينة تقع فى سهل زراعى واسع على ارتفاع ٩ أميال أسفل الجبل ، وتشتهر بزراعة القمح وقصب السكر وأنه كان بها دير للرهبان الإيطاليين يتبع دير أخميم ، وأن هذه الأديرة قد أنشأت لترويد المسافرين بين مصر وأثيوبيا بالمساعدات وتقديم التسهيلات الممكنة لهم ، ولكنه أضاف أن كرم مشايخ العرب الأغنياء فى مصر العليا ، وانسائيتهم ومعاملتهم الكريمة للغرباء جعلت وجود هذه الأديرة عديمة الفائدة .

Bruce : Travels to discover the Source of the Nile Vol. 2, p. 22.

وفرشوط الآن قرية كبيرة من محافظة قنا وتقع غربى النيل تتبع مركز نجع حمادى

(٢) زار بروس فرشوط وقابل شيخ العرب همام فى يناير سنة ١٧٦٩م وذكر أنه يقدر سن همام حينئذ بما لا يزيد عن ستين عاما .

Bruce : Travels to discover the source of the Nile Vol. 2, p. 23.

(٣) الجبرتى عجائب الآثار ج ١ ص ٣٤٤ .

الكريم قد حلوا فى بعض الترمات والدهم المرحوم الشيخ همام يناء على بيورلى صدر من على بك قائمقام مصر فى ذلك الوقت وكان ذلك ٢١ رمضان سنة ١١٨٣هـ / ديسمبر سنة ١٧٦٩م أى فى الشهر التالى لشهر شعبان الذى توفى فيه الشيخ همام كما ورد برواية الجبرتي .

وقد نشأ همام فى بيت وراث الثراء والمكانة أبا عن جد فقد كان همام ابنا للشيخ يوسف بن الشيخ أحمد محمد همام الذى آلت اليه زعامة قبائل الهوارة فى أواخر القرن الحادى عشر الهجرى / السابع عشر الميلادى .

وقد تمتع الهوارة عامة بثراء واسع ، وكان معظم شيوخهم على جانب كبير من الثراء ، فمئذ نزل الهوارة الى الصعيد واستقروا فى جرجا امتدت سطوتهم فيها ، واتسع ثراؤهم ، وكان كبيرهم الذى يتولى رياستهم يقيم فى فرشوط ، وله نفوذ فى الصعيد كله ، وقد ظلت لشيوخ الهوارة رئاسة الصعيد والسيطرة على الحكم فيه حتى عام ٨٩٣هـ / سنة ١٥٧٥م (١) .

وقد كانت الاسرة التى انحدر منها الشيخ همام وهى أسرة الهمامية على صلة طيبة بالفلاحين فى الصعيد ، فقد استطاعت بما توفر لها من عصبية قبلية قوية حماية فلاحى الصعيد من المظالم التى كانت تلحق بباقي الفلاحين فى أنحاء مصر الأخرى .

وقد كانت علاقة أسرة همام بالحكام فى العصر المملوكى علاقة يغلب عليها طابع العداء شأن كل العرب القاطنين فى مصر للكرامية العنصرية بين العرب والمماليك .

وفى العصر العثمانى المملوكى تأبى الهوارة سياسة العداء ضد السلطات الحاكمة فى صورة تمرد وامتناع عن تقديم الأموال والغلال المطلوبة منهم ، ولا شك أن اسرة همام وخاصة جده الشيخ محمد أحمد همام كان مع الهوارة الذين تمردوا على السلطات الحاكمة ورفضوا تقديم الأموال والغلال المطلوبة منهم للدولة سنة ١١٠٧هـ / سنة ١٦٩٥م عندما قاد عبد الرحمن بك حاكم جرجا الحملة (٢) التى سيرتها الحكومة ضدهم ، فقصت على تمردهم ، واعادتهم الى حظيرة الطاعة ، وأعيدت اليهم التزاماتهم (٣) التى رفعتها عنهم الدولة أثناء هذا التمرد ، وكان أبرز

(١) على مبارك - الخطط التوفيقية ج ١٠ ص ٥٣ .

(٢) حملة عبد الرحمن بك على الهوارة انظر ص ٤٥ من الفصل الاول .

(٣) دفاتر التزامات الولايات القبلية بالقلمة دفتر رقم ١٣٦ لسنة ١١٠٧هـ عني ٣ .

الملتزمين من الهوارة حينئذ الشيخ يوسف بن أحمد محمد همام والد
الشيخ همام بن يوسف ، الشيخ أحمد بن محمد همام جد الشيخ همام
ابن يوسف *

وقد ساعدت نشأة همام في بيت ورث الثراء والمكانة أبا عن جد
على ظهوره كشخصية هامة تولت زعامة الصعيد بالإضافة لضعف السلطة
الحكومية في عصره ، إذ كانت سلطات الحكم العثماني في مصر قد
وصلت الى درجة كبيرة من التدهور ، وحفل العصر بمنازعات العصبيات
الملوكية ، وتنازعا على السلطة مما أدى الى تدهور قوتها أيضا ، وترك
الباب مفتوحا أمام ذوي العصبيات القبلية ليظهروا على مسرح الأحداث
السياسية ، ويسيطروا نفوذهم ويسيطروا على مناطقهم *

وقد ورث همام عن أبيه الشيخ يوسف التزامات واسعة شملت
معظم أراضي الصعيد من المنيا الى أسوان ، وقد آلت هذه الالتزامات الى
الشيخ يوسف وراثته عن أبيه الشيخ أحمد بن محمد همام الذي كانت
التزاماته تمتد من المنيا الى أسوان (١) ففقد أخذ شركة مع اقاربه
التزامات أراضي :

حرجه الحرازة ، بخانس وقصير بخانس ، عرب قصاص ، هو ،
بهجورة ، فرشوط ، الكوم الأحمر ، قوص ، سنابة ، أولاد ما من ،
الحارفة ، الروافع ، كوم بدار ، أولاد شلول ، جرف أبو عميرة ، أرض
وقف ملك أشرف برسباي ، العسيرات ، أولاد جامع ، جزيرة الموارنة ،
أرض طباطبا ، شيخيه ، خلجان ، قرأى وريفه بأسيوط ، ادفا وبنى مزار ،
تصيرية وصعايدة ، وأبنوب *

وقد ورث الشيخ يوسف عن أبيه زعامة قبائل الهوارة لانه كان
أكبر إبنائه وأبرزهم ، وكذلك كان الحال بالنسبة للشيخ همام فقد كان
أكبر أبناء الشيخ يوسف فألت اليه وراثته عن أبيه كل تلك الأراضي
الشاسعة ، وزعامة قبائل الهوارة في الصعيد *

وقد توفرت للشيخ همام شخصية ساحرة استطاعت ان تنمي
ما ورث من ثراء وأن تحتفظ بزعامة الهوارة ، بل وأن تمتد تأثير تلك
الزعامة الى آفاق أوسع وأعظم مما كان لها في عهد أبيه وجده *

(١) دلائل التزامات الولايات القبلية بالقائمة دفتر رقم ١٥ لسنة ١١٠٦هـ عني ٢٠
مخزن تركي *

وبتولى الشيخ همام الوظيفة المنتزعة وحسن استغلاله لها ولما ورثه من ثراء ومن عصبية قبلية ، وصفات شخصية كالذكاء والكرم والطموح استطاع أن يتزعم عرب الصعيد ، وإن ينشئ الصلات الواسعة المتعددة الجوانب مع حكام مصر وعلماؤها ومع الدولة العثمانية نفسها فقد ذكر الرحالة BRUCE (١) الذى زار همام سنة ١٧٦٩م / سنة ١١٨٣هـ أن الشيخ همام كان على صلة طيبة بالدولة العثمانية نفسها وكان يطلب منها ما يريد مباشرة مما أثار عليه غيرة بكوات القاهرة ، مجددا ما كان من طيب العلاقات بين أجداده (٢) وبين الدولة العثمانية .

وقد لعب الشيخ همام دورا هاما فى حياة الصعيد بل وحياة مصر كلها فى النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادى ونحو عشرين عاما من النصف الثانى منه .

وكان من أهم العوامل التى ساندت همام وساعدته على القيام بدوره ثراؤه الطائل الذى هيأته له التزاماته لمعظم أراضى الصعيد ، وقد هيأ نظام الالتزام للهوارة عامة فرصة عظيمة لاستعادة نفوذهم وسلطانهم اللذين تمتعا بهما فى العصر السابق للعصر العثمانى .

وقد بدأت سيطرة همام على أراضى الصعيد تبرز ابتداء من عام ١١٠٥هـ سنة ١٦٩٣م (٣) ، وكان أبرز المنتزعين منهم كما قدمنا الشيخ أحمد بن محمد همام جد الشيخ همام بن يوسف الذى سيطر على أراضى واسعة امتدت من المنيا الى أسوان أى سيطر على معظم أراضى الصعيد بالإضافة لعدد من المنتزعين الآخرين من أقاربه ومن المماليك ومن العرب الآخرين .

وقد شارك الشيخ يوسف والده أحمد بن محمد همام فى تولي التزام أراضى الصعيد .

وابتداء من عام ١١٣٤هـ / ١٧٢١م (٤) ظهر أسم الشيخ همام يوسف كمنتزع لأول مرة وأشهر اليه فى دقاتر الالتزام باسم : همام ولد الشيخ يوسف أحمد حيث اشترك مع والده وأقاربه فى التزام أراضى : هو ، بهجورة ، والكوم الأحمر وتوابها .

Bruce : Travels to discover the source of the Nile Vol. 2, p. 23, (١)

(٢) عن صلة أولاد عمر بالعثمانيين انظر ص ٤٢ ، ٤٣ من الفصل الأول .

مخزن تركى .

(٣) دقاتر التزامات الولايات القبلية بالقلمة دفتر رقم ١٨ لسنة ١١٠٥ هـ عين ٢

(٤) دقاتر الالتزام بالقلمة دفتر رقم ٢٢٣ لسنة ١١٣٤هـ عين ٤ مخزن تركى .

وكانت السيطرة على أراضى الصعيد قبل ظهور الشيخ همام
ابن يوسف للهوارة يليهم المماليك يليهم العرب الآخرون وتركزت أراضى
المماليك والعرب الآخرين فى :

أسيوط ، طهطا ، طما ، أحميم ، مدينة جرجا نفسها .

وتركزت أراضى الهوارة فى :

قنا والأقصر ، أسوان .

حيث كانت تتركز القوة الفعلية للهوارة ، وحيث كانت تنتشر
منازلهم وقراهم فمعظم فروع قبيلة الهوارة وأكثرها فاعلية وقوة كانت
وما زالت حتى الآن تقطن محافظة قنا .

فقد سيطر الهوارة على معظم أسهم تلك المقاطعات .

« أسيوط ، أبو تيج ، أبو مقروفة ، نخيله ، فاو الكبرى ، وطهطا ،
وشندويل ، شرق أحميم ، منشأة أحميم ، وطما » .

أى سيطروا على عشر مقاطعات من مقاطعات ولاية جرجا الاحدى
والعشرون .

أما المقاطعات التى كانت تقع جنوب ذلك وعددها احدى عشرة
مقاطعة وهى مقاطعات خولجان ، بخانس ، عرب قصاص ، الأقصر ،
بياضية ، برديس ، فرشوط ، هو وبهجورة وتوابعا ، حراجية قنا ،
قنوص .

فقد سيطر الهوارة على معظم مقاطعات :

ولغات المتزمين فى ولاية جرجا قبل ظهور الشيخ همام موجودة
بالملاحق (١) .

ومنذ ظهر الشيخ همام بن يوسف كملتزم بصورة رسمية فى سنة
١١٤٤هـ/سنة ١٧٢١م وهو يواصل زحفه على أراضى المتزمين الآخرين
فى الصعيد من هوارة ومماليك وغيرهم وقد اختفى اسم الشيخ يوسف
والد همام من دفاتر الالتزام منذ عام ١١٥٠هـ/سنة ١٧٣٧م واستقل
همام بأراضيه وبدأ يزحف على معظم أراضى المتزمين الآخرين ويحصل على
أراضيهم بإشراف الدولة ورضائها .

(١) ملحق رقم ٤ ص ١٦٢ - ١٦٦ .

وقد بدأت سيطرة الهوارة على أراضى الصعيد بالالتزام منذ عام ١١٤٢هـ/ سنة ١٧٢٩م فقد ضم اليه فى هذا العام التزامات معظم أراضى بلسفورة وأخميم .

وفى عام ١١٤٥هـ/ سنة ١٧٣٢م ضم اليه معظم أراضى طهطا واسنا وفى عام ١١٤٦هـ/ عام ١٧٣٣م زحف على أراضى المنيا فى بنى مزار وأخذ عدة قرى من مقاطعة أسيوط .

وما ان أتى عام ١١٦٣هـ/ عام ١٧٤٩م حتى وجدنا أن الشيخ همام وإقاربه من الهوارة وشركاءه (من وكلائه مثل الحاج عبد الرحمن ، الحاج ابراهيم الخضرى) قد سيطروا على معظم مقاطعات ولاية جرجا فأخذوا التزامات مقاطعات :

برديس ، فرشوط ، هو وبهجورة ، عرب قصاص ، الأقصر قوص ، قنا وتوابعها ، بنخاس ، خلجان ، بياضية .

أى سيطروا على عشر مقاطعات كاملة من أصل احدى وعشرين مقاطعة كانت تتكون منها ولاية جرجا وهى :

١ - مقاطعة أسيوط وتوابعها .

٢ - مقاطعة أبو تيج .

٣ - مقاطعة أبو مقروفة .

٤ - مقاطعة نخيلة وتوابعها .

٥ - مقاطعة فار الكبرى .

٦ - مقاطعة طهطا وتوابعها .

٧ - مقاطعة شندويل .

٨ - مقاطعة شرق أخميم .

٩ - مقاطعة منشأة أخميم .

١٠ - مقاطعة برديس .

١١ - مقاطعة فرشوط وتوابعها .

١٢ - مقاطعة هو وبهجورة وتوابعها .

١٣ - مقاطعة خلجان .

١٤ - مقاطعة قنسا .

١٥ - مقاطعة طما وتوابعها .

١٦ - مقاطعة قسوص •

١٧ - مقاطعة بخانس •

١٨ - مقاطعة عرب قصاص وتوايعها •

١٩ - مقاطعة الاقصر •

٢٠ - مقاطعة بياضية •

٢١ - مقاطعة حراجيه (١) •

وذلك بالإضافة الى أجزاء من المقاطعات الاخرى مثل أراضى :

القبيلة والبنارس ، بنى جميلة ، سمهود ، شرق المرج القبلى ،
البحرى ، بنى وركان ، بياضة ، أرض المنقذية ، طوخ ، النقاوة ، إبنوب ،
جرف أبو عميرة ، أولاد شلول ، خارفة ، أولاد طوق ، جزيرة العنبرية ،
أولاد مامن ، جراجوس ، بلاص ، سنابسة ، ادفو •

ثم بدأ الشيخ همام بعد ذلك ينفرد بمعظم أراضى الصعيد ، وينحى
عنها ملتزميها من المماليك ومن أقاربه أيضا ومن العرب الآخرين •

وما ان أتى عام ١١٧٤هـ/عام ١٧٦٠م (٢) حتى لم يبق فى ولاية
جرجا ملتزمون سوى الشيخ همام وعدد قليل جدا من أقاربه الذين
يكملون أسمه فى مقاطعاته ، وعدد قليل جدا من المماليك بالتزامات
ضئيلة •

وقد استولى همام على أراضى أسرة الاخميمى أقوى الاسر العربية
المنافسة للهواره فى الصعيد فاخطفى اسم آخر رجالها وهو الأمير عيسى
كمالى الاخميمى من دفاتر الالتزام الخاص بولاية جرجا سنة ١١٧٤هـ/
١٧٦٠م (٣) ، وقد زال نفوذ هذه الاسرة وتلاشت مكانتها من حياة
ولاية جرجا بعد ذلك (٤) •

(١) دفاتر الالتزام بالقلمة : دفتر أصول عوايد مقاطعات : رقم ٣٢٧ لسنة
١١٥١هـ عين • مخزن تركى •

(٢) دفاتر الالتزام بالقلمة - دفتر رقم ٣٤٣ لسنة ١١٧٤هـ عين ٨ مخزن تركى •

(٣) دفاتر الالتزام بالقلمة - دفتر رقم ٥١٨ لسنة ١٨٨١هـ عين ٨ مخزن تركى •

(٤) Bruce : Travels to discover the source of the Nile Vol. 2, p. 8.

وما أن أتى عام ١١٨١هـ/ عام ١٧٦٧م حتى تمت للشيخ همام السيطرة على معظم أراضي الصعيد من المنيا الى أسوان .

فقد كان في التزام الشيخ همام في ذلك العام التزام المقاطعات الآتية كاملة وهي :

مقاطعات برديس ، قنا ، الأقصر ، بياضية ، شرق أخميم ، هو وبهجورة وتوابعا ، عرب قصاص ، خلجان وسمهود ، طهطا ، حراجية ، شندويل ، منشأة أخميم ، فرشوط ، طما ، قوص ، بخانس .

وقد انفرد الشيخ همام بهذه الالتزامات وسيطرة على التزامات ١٦ مقاطعة كاملة من ٢١ مقاطعة كانت تتكون منها ولاية جرجا أما المقاطعات الخمس الباقية وهي : -

أسيوط ، أبو تيج ، أبو مقروقه ، نخيلة وتوابعا ، فاو الكبرى .
فقد كانت لهمام أجزاء كثيرة في بعضها ولأمراء المماليك وللعرب الآخرين باقي أجزائها .

فكان للشيخ همام في مقاطعة أسيوط التزام

شرق بويط بقدر ١٢ ط ، بني وركان ١٢ ط ، ادفا وبني مزار ٢٤ ط . قرأى وريفة ١٢ ط .

وكان له في منطقة أسوان :

منطقة ادفو بقدر ٢١ ط ، نصيرية وصمايدة ١٨ ط وقد بقيت هذه الالتزامات للشيخ همام حتى وفاته في سنة ١١٨٣هـ/ سنة ١٧٦٩م بل لقد وصلت قوة همام وقبل بدأ النزاع الأخير بينه وبين علي بك الى حصوله على جزء كبير من أراضي علي بك نفسه في ناحية بني نصر بمنفلوط بمقاطعة ابي تيج (١) .

وتفصيل زحف الشيخ همام على أراضي الصعيد منذ بدء ظهوره كملتزم سنة ١١٣٤هـ/ سنة ١٧٢١م حتى وفاته سنة ١١٨٣هـ/ سنة ١٧٦٩م موجودة في الملاحق (٢) .

★ ★ ★

(١) هذا التنازل وارد بالمجلة المنشورة بالملاحق ملحق رقم ٢ ص ١٥٨ - ١٥٩ .

(٢) ملحق رقم ٥ ص ١٦٢ - ١٦٦ .

تراؤه .. حكومته .. نفوذه

قدمت سلطة المنتزم للشيخ همام ثراء طائلا ونفوذا واسعا فقد ادى تدهور السلطة المركزية فى القرن ١٨ الى اتساع نفوذ المنتزم وحلوله محل الادارة الحكومية فى الاقليم الذى يتولى التزام اراضيه قائما فيه بحفظ الأمن وتحصيل الاموال الاميرية من الفلاحين وفرض المنازعات بينهم سواء كانت تلك المنازعات مدنية أو متعلقة بزراعة الأرض أو جنائية .

وبسيطرة الشيخ همام على معظم اراضى الصعيد توفرت له ثروة طائلة (١) أفاض الجبرتى فى وصفها فذكر أنه كان لهما :

(يرسم زراعة قصب السكر اثنا عشر ألف ثور وهذا بخلاف المعد للحراث ودراس الغلال والسواقي والطواحين والجواميس والابقار (الحلابة ٥٥) .

(وأما شئون الغلال وحواصل السكر والتمر بأنواعه ، فشئ لا يعد ولا يعد) .

وأنه كان لدى همام الكثير من الأرقاء وأنه كان ينعم بالجوارى والعبيد والسكر والغلال (٢) .

ولتراء همام الواسع وكرمه الشامل كان يمد بعض الناس بالمؤونة التى تكفيهم طوال العام .

وسيطرة الشيخ همام على معظم اراضى الصعيد وبمجازاته لتلك الأراضى الواسعة الممتدة من المنيا الى أسوان بالالتزام كان عليه أن ينظم ادارة دقيقة لتلك الأراضى بما تضم من فلاحين وعمال وموظفين .

لذا أقام همام حكما اداريا دقيقا لتنظيم شئون اراضيه والعاملين فيها .

فكان لديه دواوين (مجالس ادارة) تضم جيشا من الكتبة ومعظمهم من الاقباط (مهارتهم فى الشئون الحسابية) (٣) .

(١) الحشاب : تاريخ حوادث وقعت بمصر من سنة ١١٢٠هـ / سنة ١٧٠٨م الى دخول الفرنسيين تسعة مصورة من خزانة باريس سنة ١٢٤٣هـ - دار الكتب المكتبة التيمورية رقم ٢١٠٧ تاريخ ص ٧٦ .

(٢) الجبرتى : عجائب الآثار : ج ١ ص ٣٤٣ .

(٣) لجبرتى : عجائب الآثار : ج ١ ص ٣٤٣ .

وكان هؤلاء يعملون في داب متواصل آناء النهار وأطراف الليل
لا إنجاز حسابات همام الواسعة والمتعلقة بمعاملاته مع فلاحيه وشركائه .

وكانت تلك الحسابات تتعلق بأموال الخراج التي يقدمها الفلاحون
للشيخ همام ما يقدمونه له منها وما يعتذرون عن تأخيرها ، وما يعجزون
عن سدادها . ثم طلبات الفلاحين من طلب قروض لمساعدتهم على زراعة
أراضيهم مقابل تقديم جزء منها كرهينة للشيخ همام حتى تسديد القرض
في العام القادم .

وكان ذلك يتم بتقديم اقرار شخصي من الفلاح المقترض أمام
الشيخ همام وموظفيه . أو أمام قضاة الاقليم وبحضور موظفي همام
الذين كان عليهم أيضا تسلم الغلال والأموال التي يقدمها الفلاحون لهمام
وعمل الحساب الخاص بها أي توزيعها حسب تعليمات الشيخ همام
ما هو مخصص منها للدولة وما هو مخصص للشيخ نفسه وحساب
نفقات وإيرادات ومصروفات إدارة همام الواسعة .

وكان الشيخ همام يباشر كل أعمال موظفيه يراجع حساباته
ويعلمهم أوامره وتعليماته ومكاتبته . . . ومن تلك الأوامر ما يتعلق
بمنازعات أبناء المنطقة سواء أكانت مدنية أو جنائية أو متعلقة بشئون
الزراعة .

فقد اعتاد همام عقد مجالس عامة (١) جريا على عادة شيوخ القبائل
المعروفة لسماع شكاوى أهالي المنطقة من الفلاحين وعرب لتنظيم إدارة
أراضيهم الواسعة .

وفي تلك المجالس كان الشيخ يستمع بنفسه الى الشكاوى وبعد
دراستها والتحقيق فيها كان يصدر حكمه عليها ويمليه لاحد كتابه
ليسجل أمر الشيخ بما يراه في الشكاوى .

وكانت تلك الأوامر تصدر على أوراق صغيرة بحجم كف اليد
وتحمل في نهايتها ختم همام وتوقيعه .

وفي أحد تلك الأوامر نجد الشيخ همام يأمر شخصا يدعى حسن

الأمير من أهالي فرشوط بأن يسلم شخصا آخر اسمه على عبد الرحيم
ما يخصه من مساحة في منزل تحت يده (١) .

فهام هنا يفض نزاعا (مدنيا) بملكية منزل ويطلب من حسن
الأمير تنفيذ ذلك الأمر الذي (يقتضيه حكم الشرع) .

ومن الأمثلة الأخرى الخاصة بالمنازعات (المدنية) أمر آخر من
الشيخ همام لمحمد على اسماعيل يأمره فيه بمنع رجاله من التعرض للأمير
محمد اسماعيل الذي يريد بناء مسكن لخفير عنده بجوار جامع مهتم
خاص بأسرة الأول ولكن البناء سيكون في أرض الشاكي ولذا يأمر
الشيخ همام محمد على اسماعيل بمنع رجاله من التعرض له وتركه يقيم
البناء الذي يريده (٢) .

ومن المنازعات الخاصة بالزراعة والتي كان الشيخ همام يتسولى
أمرها أيضا ويصدر أوامره لتنظيمها .

الأمر الذي أصدره لعبد الرحمن اسماعيل الأمير يأمره فيه بسداد
مقدار خمسين تليسا من الفلال ثلثها قمح وثلثاها فول إيجار الرزقة التي
يستأجرها من الحاج عمر والتي هي موروثة له عن والده وأن على عبدالرحمن
اسماعيل الأمير أن يدفع له وللمستحقين الآخرين ذلك القدر من الفلال
مبنويا لاستحقاقهم له (٣) .

وفي أحد الأوامر الأخرى من هذا القبيل (٤) يأمر الشيخ همام
أحد أقاربه وهو الشيخ أبو بكر أحمد بمنع رجاله من التعرض لشخص
اسمه غزالي الأمير (من أسرة الأمير) اشترى من همام ثلاثة قراريط ونصف
وسدد له ثمنها كاملا ، ولكنه أى الشيخ أبو بكر أحمد حرض عليه رجاله
لمضايقته وحجز قطعة من هذه الأرض .

ويذكره همام في هذا الأمر بأن هذه الأرض من أرضه شخصيا
(الفغارة من أصلها لنا) .

(١) هذا الأمر والأوامر الواردة في الصفحة التالية من الأوراق التي حصلت عليها
من ذيارتي لأحد الشيخ همام بفرشوط وهذا الأمر منشور باللاحق ملحق رقم ٣
ص ١٦٠ .

(٢) هذا الأمر منشور باللاحق ملحق رقم ٣ ص ١٦٠ .

(٣) هذا الأمر منشور باللاحق ملحق رقم ٣ ص ١٦١ .

(٤) هذا الأمر منشور باللاحق ملحق رقم ٣ ص ١٦١ .

وقد ضمت ادارة الشيخ همام بالاضافة للعديد من الكتبة عدداً من المياثرين الأقباط الذين كانوا يمثلون الصرافين ويعرفون في الصعيد بالعمال ويختصون بتوزيع الضرائب على الفلاحين وتحصيلها منهم .

وكان أشهر هؤلاء المعلمين في عهد همام المعلم بولص بن منقريوس الذي كان يقوم بتسديد الأموال والغلال المطلوبة من الشيخ همام لحكومة القاهرة .

وقد أوردت دفاتر الالتزام بالقلعة (١) أمثلة كثيرة لهذا منها ما كان من قيام المعلم بولص نيابة عن الشيخ همام بتسديد العوايد (الضرائب الخاصة ببعض قرى همام وهي) : -

٥٣	أولاد جاد الغربي
٥٣	أولاد جاد الشرقي
٥٣	بنى وركان
٥٣	قباله شربه
١٦	قرية حراجية
٨	كوم بسدار
<hr/>	
٢٣٦ بارة	

وكان هؤلاء المعلمون ينوبون عن الشيخ همام أحياناً في حضور عمليات تنازل الأمراء المماليك له عن أراضيهم بولاية جرجا ، ويسلمونهم الثمن الذي يدفعه الشيخ همام مقابل ذلك أمام محاكم القاهرة .

مثال ذلك ما كان في قيام المعلم بولص بن منقريوس بحضور عملية تنازل الأمير محمد جاويش مستحفظان القازوغل في ١٩ ذى القعدة سنة ١١٧٣هـ / سنة ١٧٥٨م (أول يولييه) عن حصته بتاحية طيطا بولاية جرجا للشيخ همام .

وقام المعلم المذكور بتقديم الثمن الذي دفعه همام مقابل حصوله على هذه الأرض (٢)



(١) دفتر قيود عوايد وتقاسيط لسنة ١١٧٧هـ برقم ٤٨٩ عين ٨ مخزن ترمي .

(٢) هذه الحجة من الأوراق التي قدمها لى أخاذا همام بفرشوط .

جیشِ ہمام

ولكى يحىى همام أراضيه الواسعة ويدفع عنها شر هجمات الأعراب
وأطماع الأمراء المماليك كون جيشا كبيرا من الهوارة أقاربه ومن المماليك
الفارين الى الصعيد هربا من وجوه منافسيهم وكان أكثر هؤلاء من بقايا
فرقة القاسمية التى شهد عام ١١٤٢هـ/ سنة ١٧٢٩م هزيمتها وتشتت
معظم رجالها الى الصعيد حيث التحق الكثيرون منهم بخدمة الشيخ همام
وانضموا الى صفوف جيشه .

وقد قدر حرار عدد رجال جيش همام بـ ٣٥ ألف مقاتل (١) .

ومما لا شك فيه أن هذا الجيش لم يكن له من حسن الاستعداد والتدريب والمهارة الحربية ما يماثل الجيوش المملوكية وهذا ما يفسر الانهيار السريع لقوات همام أمام قوات علي بك الكبير أثناء القائمتين في معركة أسبوط (٢) ٠٠ والتي سنتناولها بالتفصيل في الفصل السادس الخاص بالصراع بين الشين همام وعلي بك الكبير .

وقد اهتم الشيخ همام بالعلماء واشتهر بتقريبه لهم واكرامهم ومقابلتهم بما يستحقون من احترام وتقديم الهدايا العظيمة لهم اذا ما قصدوه في موطنه .

ومن أشهر هؤلاء العلماء الذين زاروا الشيخ همام في موطنه الشيخ مرتضى الزبيدي المشهور بمرتضى الحسيني الزبيدي الذي نشأ باليمن (ولد بها سنة ١١٤٥هـ/ سنة ١٧٣٢م وارتحل في طلب العلم وحج مرارا - واجتمع بأشهر علماء عصره الذين أجازوه ثم حضر الى مصر سنة ١١٦٧هـ/ سنة ١٧٥٣م وسكن بحي الصاغة وبدأ التأليف واشتهر أمره وأخذ عنه كثير من شيوخ ذلك العصر كالجوهري ، والهنفي .

وسافر الى الصعيد ثلاث مرات واجتمع بأعيانه وعلمائه وزار الشيخ
 همام الذي أكرمه أكراما كبيرا وقدم له هدايا كثيرة (٣) .

ومن أشهر العلماء الذين كانوا يعيشون في أرض الشيخ همام الشيخ علي بن صالح الشاوري المالكي مفتي فرشوط والذي تلقى علومه بالأزهر ثم عاد إلى فرشوط وتولى افتاء المالكية بها .

Girard : Description de L'Egypte Vol. 17, p. 39.

(٢) محمد رفعت رمضان - علي بك الكبير ص ٥٢ .

(۳) الجبرتی - عجائب الآثار - ج ۲ ص ۱۶۶ •

وقد اهتم به الشيخ همام اهتماما كبيرا وأكرمه اكراما كبيرا وكان يقبل وساطته في أى أمر مما أدى الى اشتهار أمره ولما زار الشيخ مرتضى الزبيدي فرشوط قدمه الشيخ الشاوري لهمام .

وبعد وفاة همام غادر الشاوري فرشوط وحضر الى القاهرة وظل بها حتى وفاته سنة ١١٨٥هـ/سنة ١٧٧١م (١) .

وقد اشتهر الشيخ همام بالتقوى والورع فكان يؤدي الصلاة في أوقاتها وقد أوقف أوقافا كثيرة على المساجد في الصعيد وقام بكثير من الاصلاحات فيها مثل ما قام به من اصلاح في مسجد سيدى عبد الرحيم القنائى أشهر اولياء الصعيد . . فقد جدد همام المسجد والمقام . وأنشأ خلفه مخزنا ودورة مياه وأوقف عليه أوقافا كثيرة (٢) .

وقد أنشأ همام مسجدا خاصا في موطنه فرشوط في الجانب الشرقى منها عام ١١٧١هـ/سنة ١٧٥٧م وهو مسجد فخم (٣) .

وما زال هذا المسجد قائما في فرشوط في حالة جيدة وتقام به شعائر الصلاة وقد كتب على واجهته :

لجامع همام بن يوسف رونق .

به لاذت العباد من كل وجهة

عليه علامات القبول لوايح

وقد طاب من أرجائه كل بقعة

فيا داخلا بالباب ادع لمنشئ .

وارخ يسد الله سر المنية .

وعلى جدران المسجد كتبت قصيدة نهج البرده .

وقد أوقف الشيخ همام تسعة عشر فدانا بفرشوط للاتفاق منها على هذا المسجد (٤) .

(١) الجبرتي : عجائب الآثار - ج ١ ص ٣٦٧ .

(٢) حجة شرعية صادرة من محكمة قنا وقوس بتاريخ ١٢ شعبان سنة ١١٧١هـ وموجودة حاليا بدفتر خاتمة المحكمة الشرعية بقنا مخططة رقم ١ حجة رقم ٨٨٨ .

(٣) زرت هذا المسجد أثناء تجول في فرشوط .

(٤) حجة شرعية من محكمة فرشوط بإقامة ناظرين على هذا الموقف من أولاد العجيل بفرشوط والجهة بتاريخ أول رمضان سنة ١١٧٤هـ وهي من الحجج التي سلمها لى أخفاد الشيخ همام بفرشوط .

نفوذ

رأينا فيما سبق كيف تمتع الشيخ همام بثراء طائل وحكومة منظمة دقيقة وقد اتسع نفوذ همام اتساعا كبيرا فقد تمكن الشيخ بثرائه الطائل وشخصيته القوية وسيطرته على معظم أراضي الصعيد من الدخول فى علاقات قوية مع كبار الأمراء المماليك وكبار الموظفين العثمانيين فقد كان همام على صلة وثيقة بالأمير عثمان أغا وكيل دار السعادة بالقاهرة وقد كان هذا الأمير يقوم بعقد جميع الاتفاقات الخاصة بالشيخ همام مع أمراء المماليك بالقاهرة والخاصة بتنازل هؤلاء الأمراء عن أراضيهم للشيخ همام وكان الأمير عثمان أغا هو الذى يقدم نيابة عن همام الثمن اللازم لذلك ويقبل التنازل أمام محاكم القاهرة نيابة عن همام الذى كان قد اعطاه توكيلا رسميا بذلك .

ولنفوذ همام الواسع تمكن من مصادقة بعض كبار الأمراء المماليك مثل الأمير عثمان بك الفقارى ، صالح بك القاسمى حاكم جرجا وتحضى بعضهم مثل الأمير ابراهيم جاويش .

وتمكن أيضا من ارغام الكثيرين من كبار الأمراء المماليك على التخلي عن أراضيهم فى الصعيد والتنازل له عنها ، فقد رأى هؤلاء الأمراء أنه من المصلحة أن يتنازلوا عن تلك الأراضي للشيخ الصعيد الذى كانت الدلائل كلها تشير الى أنه ستكون له وحده السيطرة على معظم أراضي الصعيد .

وستتناول هذه العلاقات بالتفصيل فى الفصل التالى الخاص بعلاقة همام بالأمراء المماليك .

اثر سيطرة همام فى ولاية جرجا على الحياة الاقتصادية والسياسية فيها

تمكن الشيخ همام من حفظ الأمن فى الصعيد بكسبه ود القبائل العربية الأخرى القيمة فيه مثل قبائل العليقات الذين ناط بهم الشيخ همام حراسة طريق القصير (١) .

(١) العليقات :

قبيلة عربية من ذرية مسلم بن عبد الله بن محمد بن عقيل ، وقد هاجرت تلك القبيلة من الجزيرة العربية الى الشام ثم دخلت الى مصر بعد الفتح العثمانى مباشرة واستقرت أولا فى سيناء ثم دخلت القليوبية ثم هاجر فرع منها الى قنا وأسوان .
وقد اشتغل غالبهم فى خفارة طريق القوافل من قنا للقصير وطريق التجارة السودانية > الدرب الأربعينى < .

ومثل قبائل العبابدة التي كانت تسكن منطقة كوم أمبو في أسوان والتي كانت دائما وقبل عهد همام مثيرة للشغب ، وكانت تهاجم مزارع الفلاحين في الصعيد وتسلبهم محاصيلهم ، فاستطاع الشيخ همام أن يستميل هذه القبائل وأن يجعلها تستقر بجوار نهر النيل - لأول مرة في حياتها - وأن تكف عن أعمال السلب والنهب التي كانت تمارسها من قبل (١) .

هكذا أدت سيطرة همام على الصعيد الى سلب سائر القبائل العربية المقيمة به النفوذ الذي كان للعرب على الفلاحين في أرجاء مصر الأخرى .

وبفضل النظام الذي وضعه الشيخ همام للأمن أثناء سيطرته على الصعيد تمكن البكوات البعيدون عنه والذين لهم التزامات فيه من الحصول على إيرادات أراضيهم كاملة بعكس الأقاليم الأخرى التي لم يتمكنوا من الحصول على إيراداتهم فيها لما كان يسودها من فوضى واضطراب لم يرهاا الصعيد في عهد الشيخ همام .

وقد استراحت الدولة عامة الى تولى الشيخ همام إدارة أراضي الصعيد ، فقد كفاها همام متاعب كثيرة في تحصيل الأموال بتسديده الدائم لما عليه من خراج .

وينوه كتاب ذلك العصر بأن الصعيد كان سعيدا في عهد سيطرة همام وقد حفظ أهله من فقير وغنى ومسلم ومسيحي لهما أكرم الذكرى .

وقد أدى النظام الذي وضعه الشيخ همام للأمن والعناية التي كان يبذلها لصيانة الترع والجسور الى ازدهار الزراعة وتحقيق الرخاء للأهالي مما جعلهم يبدون أسفهم لانتهاء هذا النظام بعد وفاة همام (٢) .

BRUCE : Travels to discover the source of the Nile Vol. 2, (١)
p. 49.

(٢) زار جيرارد الصعيد سنة ١٧٩٩ وتجول في قنا وجرجا وقابل أهالي الصعيد واستمع منهم شخصيا لقصة حياة الشيخ همام وسيطرته على الصعيد وحالة الصعيد في عهده وقد ذكر جيرارد هذا في :

GIRARD : de L'Egypt Description Vol. 17, p. 40.

ما زالت أخبار همام وما كان له من سيطرة ونفوذ في الصعيد وما كان عليه همام من كرم تملأ أسماع الناس في الصعيد وقد لمست ذلك كثيرا أثناء تجولي في محافظات أسيوط وسوهاج وقنا بحثا عن وثائق تقيده في دراسة موضوع الشيخ همام .

فما أن انتهت أيام همام حتى غدا الصعيد نهبا لبكوات القاهرة
المنتفعين . . الذين لم ينل الصعيد على أيديهم أدنى تقدم إذ لم يكن لهم
هم إلا استعادة سلطاتهم مسخرين أرض الصعيد وثرواته وفلاحيه لخدمة
مآربهم الشخصية وقد بدأت تلك الفترة بعد وفاة همام بقليل في عهد
على بك نفسه الذي طرد قائده محمد أبا الذهب فلجأ إلى الصعيد محاولا
استغلال أهله لاستعادة مركزه .

ثم كان النزاع بين مراد بك وإبراهيم بك وبين زميلهما اسماعيل
بك على رئاسة مصر ، وما كان من لجوء كل فريق تلحقه الهزيمة من
الفريقين إلى الصعيد يستولى عليه ويسوم أهله سوء العذاب مما أدى إلى :

تدهور الزراعة واضطراب الأمن في الصعيد (١) .

وإن كانت سيطرة همام قد أدت إلى ضعف وتلاشي السلطة الحكومية
المركزية في الصعيد ، وقضت على كل نفوذ فعلي لحاكم جرجا .

فإن تلك السيطرة وفرت للصعيد وأهله أمنا واستقرارا وازدهارا
للزراعة لم ينعم بهم الصعيد وأهله قبل همام أو بعده .



Girard : Description de l'Egypte Vol. 17, p. 41.

(١) الجبرتي : عجائب الآثار - ج ٢ ص ٨٣ .

علاقة الشيخ همام بالأمراء المماليك

• علاقة الهوارة بالأمراء المماليك - نمو قوة
همام - تحديه لبعض الأمراء المماليك مثل الأمير
ابراهيم جاويش - أسباب النزاع بينهما -
توسع همام في أراضي الصعيد - تنازل الأمراء
المماليك عن أراضيهم لهما - علاقة همام
الودية بصالح بك القاسمي •

علاقة الشيخ همام بالأمراء المماليك

تمتعت قبيلة الهوارة التي ينتمى إليها الشيخ همام بسيطرة واسعة على الصعيد وقد ظلت لشيوخ هذه القبيلة رئاسة الصعيد والسيطرة على الحكم فيه حتى عام ٩٨٣هـ/١٥٧٥م حيث عزل العثمانيون الهوارة عن الحكم في الصعيد كما قذفنا . ولكن السيطرة والنفوذ عادا ثانية الى الهوارة حينما ادخل نظام الالتزام الى مصر في الربع الاول من القرن ١٧م وقام نفوذ الهوارة حينئذ على أساس الاعتراف الرسمي بهم كملتزمين. أى جامعي ضرائب للسلطان (١) Tax-Farmers

وقد ساعد على تدعيم نفوذ الهوارة ما كان لهم من هبة موروثية ، وعصبية قبلية ، وثراء طائل وصلات متعددة بالحكام وتدخل مستمر فيما كان يجرى من أحداث بين أمراء مصر وفقا لما تمليه عليهم مصالحهم وقد استمر الهوارة في تدعيم نفوذهم ومد سيطرتهم على أراضي الصعيد بحيازتها بالالتزام وقد شهد القرن الثامن عشر أقصى مراحل نمو ونفوذ الهوارة وسيطرتهم على الصعيد ، وقد غلبا الهوارة من القوة بحيث أمكنهم تحدى عبد الرحمن بك حاكم ولاية جرجا في عام ١١٠٧هـ/١٦٩٥م .

حيث تمردوا عليه ورفضوا ان يقدموا له ما عليهم من أموال وغلال للدولة ولم يستطع عبد الرحمن بك أن يرجعهم عن تمردهم الا بعد أن

(١) Holt (P.M.) : gypte and the Fertile Crescent 1516-1922, London, 1966, p. 70.

أُرسلت له الحكومة بالقاهرة حملة قام بقيادتها ضد الهوارة الذين منسوا^١ بالهزيمة أمامه وفروا هاربين إلى الجبل ثم عادوا إلى طاعة الدولة (١) :

وقد لعب الهوارة دورا كبيرا في المنازعات التي كانت تدور بين أمراء المماليك بالقاهرة وحاولوا استغلال هذه المنازعات لصالحهم وكانوا عاملا هاما في اذكاء حدة الصراع بين كبار الأمراء المماليك .

فبعد عزل عبد الرحمن بك من ولاية جرجا بسعى منافسيه ذهب إلى القاهرة وأثار عليه غضب زملائه لخروجه من فرقة الفقارية فرقتهم الأصلية وانضمامه إلى الفرقة المنافسة لها وهي فرقة الفقارية ، وقد تحمل عبد الرحمن بك بسبب تصرفه هذا عداء زملائه بالإضافة لعداء الباشا الذي كان يضمّر في نفسه الكراهية لعبد الرحمن بك لاشتراكه في عزل الباشا السابق له والذي كان هو كتمتداه .

وقد انتهز الهوارة هذه الفرصة واستغلوا الصراع الدائر بين عبد الرحمن بك وزملائه للانتقام منه لمحاربته السابقة لهم فكتبوا للباشا قوائم بما ذهب لهم من (خيول ، وجمال ، وعبيد ، وجوار ، وغلال ، وأخشاب وفرش ونحاس) (٢) وثمنوها بثلاثمائة كيس واتهموا عبد الرحمن بك بأخذ هذه الأشياء وأنبأوا عنهم وجات الانكشارية في خلاص ذلك منه فرفع هؤلاء الأمر إلى الباشا فأمر بإحضار عبد الرحمن بك فرفض الحضور وانتهر أعداؤه هذه الفرصة واتفقوا على محاربته إن أصر على عدم تسليم الهوارة ما أخذ منهم خلال حملته عليهم ، ولما استمر عبد الرحمن بك على موقفه من عدم الاعتراف بما اتهمه به الهوارة حاربه منافسوه حيث كان متحصنا في منزله ومع اتباعه وانتهى الأمر بمقتله سنة ١١١٣هـ/١٧٠١م ونجح الهوارة في الانتقام من عبد الرحمن بك مستغلين فرصة النزاع بينه وبين زملائه وكان تدخل الهوارة هو الذي زاد من اشتعال حدة النزاع ووصل به إلى أخطر مدى له .

وعندما اندلعت أحداث فتنة أفرنج أحمد بالقاهرة سنة ١١٢٣هـ/١٧١١م اشترك الهوارة فيها اشتراكا فعليا بحضورهم إلى القاهرة بصحبة محمد بك حاكم ولاية جرجا حينئذ (٣) .

فبعدما أرسلت الدولة حملة بقيادة محمد بك قطامش سنة ١١٢٣هـ/١٧١١م لمعاقبة الهوارة لاشتراكهم في أحداث فتنة أفرنج أحمد

(١) من حملة عبد الرحمن بك على الهوارة انظر ص ٤٥ من الفصل الأول .

(٢) الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ١٠١ ، ١٠٢ .

(٣) من فتنة أفرنج أحمد انظر ص ٦٦ من الفصل الثاني .

ثُمَّ قَامُوا بِهِ مِنْ أَعْمَالٍ تَخْرِيبٍ خِلَالَهَا سِوَاهُ فِي الْقَاهِرَةِ أَوْ فِي أَنْصَاءِ الصَّعِيدِ الَّتِي كَانَتْ تَحْتَ سَيْطَرَةِ مَنَافِسِهِمْ لَمْ يَنْقُذِ الْهَوَارَةُ مِنْ غَضَبِ الْبُيُوتَةِ (بعد هزيمتهم أمام هذه الحملة واعتصامهم بالجبل) - إلا صديق لهم من أكبر الأمراء المماليك بالقاهرة حينئذ وهو الأمير إبراهيم أبو شنب (١) الذي لجأ إليه الهوارَةُ طالبين منه التوسطَ لهم لدى الباشا وأخذ أمرَ منه بالعفو عنهم وتأمينهم في ديارهم وفعلًا تم لهم ذلك عن طريق هذا الصديق .

• وأثناء الصراع بين فرقتي القاسمية والفقارية (١) استعان القاسمية بالهوارَةُ في صراعهم ضد الفقارية .

(١) عن ترجمة الأمير إبراهيم بك أبو شنب انظر ص ٦٩ من الفصل الثاني .
(٢) اختلف المؤرخون في كيفية وتاريخ ظهور هاتين الفرقتين فاورد الجبرتي عن أصلهما روايتين ••

الرواية الأولى ترجع ظهور هاتين الفرقتين إلى أوائل العصر الممناشي أثناء إقامة السلطان سليم بالقاهرة .

والرواية الثانية ترجع ظهورهما إلى سنة ١١٩ هـ / ١١٠٧م على أثر النزاع الذي قام بين قاسم بك الفخرदार ومناقبه ذي القار بك الكبير أمير الحج .

وقد رجح الكثير من المؤرخين الرواية الثانية لأنه لم يرد ذكر للرواية الأولى يؤيدها في كتابات المعاصرين للفتح الممناشي كما ابن زبل وابن أبياس .

ومن التنافس بين فرقتي القاسمية والفقارية نشأت البيوت المملوكية التي ملا النزاع بينها تاريخ مصر في العصر الممناشي .

• فمن القاسمية نشأ بيت الأيوزية وأبي شنب .

• ومن الفقارية نشأت بيوت :

• بلغيا ، رضوان ، الصابوتجي ، الحشاش ، الجلفية ، القازوغلية ، الإبراهيمية ، العلوية ؛ للحمدية .

وقد كان البيت المملوكي ينشأ يتفوق أحد البكوات المماليك على زملائه فيقطع في تزوي رئاسة المماليك جميعا بالتقصاء على شيخ البلد الموجود بالدسياسة أو بالقتال فإذا ما نجح في ذلك وصل إلى منصب شيخ البلد وإذا ما فشل فر إلى الصعيد أو الشام حيث يجمع الأمراء النفيين ويستعين بالمرتزقة ويعود لمواصلة الصراع وقد يقتل وينهب ضحية أطباعه فيتولى رئاسة ممالكه ابنه أو حازن داره فيفتح بيت أبيه أو أستاذه ويكون برأسه بيتا جديدا قد تنشأ الأطماع بين أعضائه فيتنازعون ويحاول بعضهم من الأعضاء البارزين تكوين بيوت خاصة بهم .

الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ٢٤ .

Holt (P.M.) : Al GABARTT's introduction of the history of ottoman Egypt.

Bulletin of the school of oriental and African studies Vol. XXV, p. 1, 1962.

ففي أثناء اشتداد الصراع بين هاتين الفرقتين هرب محمد بك جركس أكبر زعماء فرقة القاسمية الى الصعيد حيث أعاد تنظيم صفوفه واستعان بمن كان لاجئا الى هناك من أفراد فرقة القاسمية واستعان بالهواره الذين صحبوه في طريقه للتقدم الى القاهرة ولكنه قتل على أيدي منافسيه بالجيزة .

وبموته انتهى الصراع بين الفقارية والقاسمية الذين هزموا وتشتتوا في البلاد سنة ١١٤٢هـ/١٧٢٩م .

وقد لجأ الكثيرون من أفراد هذه الفرقة الى الهواره حيث عملوا عندهم كجنود واختلطوا بهم وعاشوا في بلادهم .

وخاصة في عهد الشيخ همام فقد انضم اليه الكثيرون من هؤلاء الرجال وعملوا بين صفوف جيشه (١) .

وقد وصل الهواره الى ذروة القوة والسيطرة على الصعيد في عهد الشيخ همام بن يوسف الذي وصل الى حد من القوة والنفوذ مكنه من مصادقة الكثيرين من كبار الأمراء المماليك بالقاهرة يلجأ اليهم لمساعدته على تحقيق أغراضه ، ومكنته تلك القوة أيضا من الوقوف موقف التحدي من بعض كبار الأمراء المماليك مثل الأمير ابراهيم جاويش .

وعن طريق سيطرة الشيخ همام على معظم أراضي الصعيد من المنيا الى أسوان بالالتزام توفرت له سلطة واسعة ونفذ كبير .

وقد بدأ اسم الشيخ همام يظهر كملتزم لبعض أراضي الصعيد كما قدمنا ابتداء من سنة ١١٣٤هـ/١٧٢٢م (٢) .

ومنذ هذا العام والشيخ همام يواصل زحفه على أراضي الصعيد فقد شهدت الأعوام التالية لهذا العام نموا سريعا للأراضي التي أخذها همام بالالتزام واستمر في تنفيذ سياسته بتوسيع أراضيه وتنحية الملتزمين الآخرين لأراضي الصعيد من المماليك ومن اقاربه الهواره ومن العرب الآخرين (٣) .

وقد أدى هذا التوسع الى اصطدام الشيخ همام ببعض كبار الأمراء المماليك الذين كانت لهم أراض أخذوها بالالتزام في ولاية جرجا والتي كان بعضها يجاور أراضي همام مباشرة .

(١) الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ٣٤٣ .

(٢) انظر ص ١٠٤ من الفصل الرابع .

(٣) من هذا التوسع انظر ص ١٠٦ من الفصل الرابع .

وقد اضطر بعض هؤلاء الأمراء للتنازل للشيخ همام وشركائه .
(من اقاربه) عن معظم أراضيهم في الصعيد فلم يكن أمام هؤلاء الأمراء
مجال للاختيار أمام قوة شيخ الصعيد ونمو نفوذه المطرد ، وكانت الدلائل
كلها تشير الى انه ستكون له السيطرة على معظم أراضي الصعيد .

ومن هنا اضطر الكثيرون منهم للتخلي عن أراضيهم للشيخ همام
بل وصل الأمر ببعضهم الى حد الحضور بنفسه الى فرشوط مقر الشيخ
همام لتسجيل تنازله عن أرضه لهمام أمام محكمة فرشوط مثال ذلك
ما كان من : تنازل الأمير عثمان جليبي بن أخى حسن قهوجى عن حصته
فى ناحية بلصفورة بولاية جرجا للشيخ همام وشريكه (عمه عيسى أحمد
محمد همام) نظير ثمن معين وقدره اثنا عشر كيسا وذلك بتاريخ ١٢
ربيع أول سنة ١٩٤٦هـ / سنة ١٧٣٣م (١) .

وقد كان الأمير ابراهيم جاويش (٢) أهم الأمراء الذين اضطدم
بهم الشيخ همام فى محاولته لمد سيطرته على أراضي الصعيد وأخذ معظمها
بالالتزام .

فقد كان للأمير ابراهيم أراض واسعة أخذها بالالتزام فى منطقة قنا
من ولاية جرجا حيث كانت تلك المنطقة المعقل الأساسى لهمام ولقبيلته .

(١) هذا التنازل وارد بحجة شرعية صادرة من محكمة فرشوط أمام القاضي ابراهيم
عثمان على بتاريخ ١٢ ربيع أول سنة ١١٤٦هـ .

(٢) ابراهيم جاويش :

وكان يطلق عليه أحيانا ابراهيم كئندا كان تابعا للأمير سليمان كئندا القازوغلى
وقد عمل جاويشا لفرقة المستعظمين وقاد إمارة الحج أثناء رئاسة عثمان بك ذى القفاص
سنة ١١٥١هـ / سنة ١٧٣٨م وفى تلك السنة بدأ العداء بينهما باطنا لأن ابراهيم جاويش
كان شديد اللراس قوى الشخصية وكان يطمع لتولى رئاسة مصر بدلا من عثمان بك .

وبعد عودته من الحج لما ذكره وذاع صيته واشغل بتدبير المؤامرات ضد عثمان بك
حتى أوقع به وأزاله من رئاسة مصر سنة ١١٥٦هـ / ١٧٤٣م .

وانتهت اليه رئاسة مصر بدلا من عثمان بك وشاركه فى الرئاسة زميله رضوان
كئندا ونفذت كلمتهما واعتم ابراهيم جاويش بالسيطرة على الحكم وتسلم الأموال الأميرية
وتوجيهها كأموال الدولة التى رضى عنه كل الرضا بينما انشغل زميله بملذاته فقط .

وقد أستكثر ابراهيم جاويش من شراء المالكين وتقليدهم الامريات والمناصب ومن
أشهر مصاليكه على بك الكبير .

وقد توفى ابراهيم جاويش سنة ١١٦٨هـ / ١٧٥٤م .

الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ١٩٢ .

وما كان الشيخ همام - وهو بصدد تنمية أراضيه ومحاولة توسيع نطاقها - اليرضى عن بقاء أراضى الأمير ابراهيم جاويش وكان للأمير ابراهيم من قوة الشكينة ومن عظم النفوذ ما جعله يخوض معركة تحدد ضد نفوذ همام وضد محاولاته للتوسع وضم أراضيه فى الصعيد .

وفى رواية الجبرتي أن الصراع بين الشيخ همام وبين الأمير ابراهيم جاويش بدأ يأخذ صورة واضحة ابتداء من سنة ١١٤٩هـ / سنة ١٧٣٦م .

ففى هذا العام رهن الشيخ همام للأمير ابراهيم ناحية برديس مقابل فرض مالى على أن يكون من حق الأمير ابراهيم التصرف فى تلك الناحية لو تأخر الشيخ همام عن سداد المبلغ المقرض فى الموعد المحدد للسداد .

وقد رفض الشيخ همام تسديد المبلغ فى مواعده ومنع ابراهيم جاويش من تسلم ناحية برديس والتصرف فيها واستعان بصديق له من كبار الأمراء المالكيين بالقاهرة حينذاك وهو الأمير عثمان بك الفقارى (١) الذى ايد موقف همام .

وقد لعب همام دورا كبيرا فى تصعيد حدة الصراع بين الأمير عثمان ذى الفقار والأمير ابراهيم جاويش فقد كان الصراع شديدا بين هذين الأميرين بسبب تنافسهما على رئاسة مصر ، فأتت استعانة الشيخ همام بالأمير عثمان لمساندته فى موقفه ضد الأمير ابراهيم جاويش الى استياء الأمير ابراهيم من الأمير عثمان وسعيه بكل قواه لجمع كلمة زملائه وتحريضهم على مهاجمة عثمان بك وهو فى طريقه الى القلعة وتم لهم ذلك وهرب عثمان بك أمامهم وفر الى الصعيد عند تابعه على بك حاكم ولاية جرجا حيث معقل الشيخ همام ومهد قوته ونفوذه .

(١) عثمان بك الفقارى :

من أتباع الأمير ذى الفقار تقلد الامارة والصنحية سنة ١١٤٣هـ / ١٧٣٠م وتقلد عدة مناصب وكشوفيات الأقاليم وقد غدا من كبار الأمراء المالكيين واشتهر بمحاربه للقاسية .

ولقد انتهت اليه رئاسة أمراء مصر سنة ١١٥٩هـ / ١٧٣٨م وكان قوى الهمة حسن السياسة وكان كما وصله الجبرتي فطنا عادلا مجبا للحق ولم يكن عيبه سوى حدة الطبع والصناد مما جعله يختلف مع زملائه وأهمهم ابراهيم جاويش وقد قام الصراع بينهما على رئاسة مصر والسيطرة على مقاليد الأمور فيها وقد انتهى الأمر بتغلب ابراهيم جاويش وخروج عثمان بك من مصر الى استانبول سنة ١١٥٧هـ وبقاؤه بها حتى وفاته سنة ١١٩٠هـ / ١٧٧٦م ولجلال شأنه وعظمته جعل أهل مصر عام خروجه منها تاريا لآخبارهم ومواليهم . وقتائهم فيقولون جرى ذلك سنة خروج عثمان بك أو بده بكل سنة أو شهر أو كان عرى فى ذلك الوقت كذا سنة .

الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ١٧٨ .

وهكذا كان همام سببا في احتدام الصراع بين أكبر أميرين في هذه الوقت وهما عثمان بك الققارى وإبراهيم جاويش وبالرغم من انتهاء هذه الجولة بخروج الأمير عثمان من مصر إلى استانبول (١) .

وبالرغم من وصول الأمير إبراهيم جاويش إلى مركز السيطرة على مصر فإنه لم يتمكن من إرغام الشيخ همام على تسليمه ناحية برديس .

فقد بقيت تلك الناحية في أراضى همام التى أحرزها بالالتزام حتى وقت وفاته سنة ١١٨٣هـ/١٧٦٩م (٢) وكانت هى الدار الذى سيبدأ منه على بك . التحرش بهمام كما سنرى في الفصل التالى : -

وتفسير موقف همام من إبراهيم جاويش ورفضه تسليمه المبلغ المقترض أو الأرض المرهونة أمر يسير .

فالشيخ همام كان صاحب ثراء طائل فلم يكن فى حاجة لاقتراض مال من الأمير إبراهيم ، وقد اشتهر الشيخ همام بالنبل والكرم فلو أن الأمر كان متملقا بقرض عادى ورهن عادى لكان همام أول من ينفذ هذا الاتفاق ويرد المبلغ لصاحبه أو يعطيه حرية التصرف فى الأرض المرهونة .

ولكن الأمر كان وراءه سر آخر فقد كانت للأمير إبراهيم كما قدمنا أراض واسعة أخذها بالالتزام فى ولاية جرجا فى نواحي الحرجة وكوم الباسكية والشقبة والشيخية وبيج القهرمون ، وقوص ، والحراجية (٣) وكلها فى منطقة قنا مهد نفوذ همام ومقله .

ولابد أن الشيخ همام قد ساءه كثيرا أن تبقى تلك الأراضى للأمير إبراهيم فى هذه المنطقة ولعله بمحاولته عدم تنفيذ الاتفاق الذى كان بينه وبين الأمير إبراهيم كان يريد إرغامه على التخلل عن تلك الأراضى والتنازل له عنها .

ولعل لتداخل هذه الأراضى مع أراضى همام أدى لتداخل المصالح المالية بين همام وإبراهيم جاويش وربما أراد همام أن يأخذ المبلغ المقترض من إبراهيم جاويش ربما أراد بذلك الحصول على حقوق مالية كانت له لدى هذا الأمير وأن عملية الرهن كانت شكلية فى نظر همام الذى كان

(١) الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ١٨٣ .

(٢) دفاتر الالتزام بالقلمة دفتر رقم ٥٣٥ لسنة ١١٨٣هـ عين ٨ مخزن تركي .

(٣) دفاتر التزامات الولايات القبلية بالقلمة دفتر رقم ٤٠٧ لسنة ١١٥٤هـ عين ٧

مخزن تركي .

يعرف أن له من القوة والمنعة والنفوذ ما يمكنه من منع إبراهيم جاويش من التصرف في ناحية برديس .

ولعل هذا ما يفسر عبارة الجبرتي عند ما أشار إلى أن الشيخ همام لم ينفذ اتفاقه مع إبراهيم جاويش بالرغم من استعانته بكثير من الأمراء فقد وصف الجبرتي موقف همام بقوله (ويحتج عليه بأشياء وشبه قوة وحسابات وحالات ونحو ذلك) (١) .

فرفض همام تسديد المبلغ الذي اقترضه من الأمير إبراهيم جاويش ربما كان لتخليص حقوق مالية كانت لهما لدى هذا الأمير ورفض همام تسليم الأمير إبراهيم ناحية برديس كما نص على ذلك في الاتفاق الذي كان بينهما كان ذلك الرفض بهدف دفع الأمير إبراهيم للتنازل عن أراضيهِ في ولاية جرجا للشيخ همام ما دام ليس في إمكانه وضع يده على الأرض التي له الحق فيها مثل ناحية برديس وهذا ما حدث فعلا في السنوات التالية فقد شهد عام ١١٥٤هـ / ١٧٤١م تنازل الأمير إبراهيم جاويش عن حصته وقدرها ١٢ ط من أصل ٢٤ ط في ناحيتي سمهود وخليجان تنازل عن الحصص السابقة لشريك همام الشيخ عيسى أحمد محمد همام الذي قام بدوره بالتنازل عن هذه الحصص للشيخ همام الذي ذكرت عنه الحجة .

أنه بضم الجزء السابق صار له التزام ناحية سمهود وخليجان بالكامل لأنه كان له من قبل نصف تلك الناحية .

ويبدو أن العداء بين الشيخ همام وبين إبراهيم جاويش كان قد وصل إلى أقصى مدى له في تلك الأعوام فإن الأمير إبراهيم لم يقدم تنازله عن تلك الناحية للشيخ همام مباشرة وإنما تنازل عنها لشريك همام عيسى أحمد محمد همام الذي قام بدوره بالتنازل عنها للشيخ همام كما قدمنا (٢) .

وفي عام ١١٦٣هـ / ١٧٤٩م (٣) ضم الشيخ همام أراضي إبراهيم جاويش التي كانت له في قوص ، الحراجية .

وفي عام ١١٦٧هـ / ١٧٥٣م (٤) ضم الشيخ همام لأراضيهِ ما كان

(١) الجبرتي : عجائب الآثار : ج ١ ص ١٨٢ .

(٢) هذه الحجة من الأوراق التي سلمها إلى أحدهما بفرضوط وهي صادرة من محكمة فرضوط وأمام قاضيهما علي عثمان في ١٠ رجب سنة ١١٥٦ .
وهي منشورة بالملحق ملحق رقم ٧ ص ١٧٢ .

(٣) دفاتر الالتزام بالقلمة دفتر رقم ٤٣٦ لسنة ١١٦٣ عيّن ٨ مخزن تركي .

(٤) دفاتر الالتزام بالقلمة دفتر رقم ٤٣٦ لسنة ١١٦٧ عيّن ٨ مخزن تركي .

الإبراهيم جاويش من أراضى فى نواحي الشطب ، الحرجة ، الباسكية ،
الشيخية ، بيج القهرمون .

وهذا يوضح الى أى مدى وصلت قوة همام وسيطرته على الصعيد
بالرغم من أن إبراهيم جاويش كان وقتها فى قمة نفوذه وسيطرته على
الحكم .

فانه اضطر أمام قوة شيخ الصعيد (نزولا على حكم الواقع الى التنازل
عن أراضيه فى الصعيد والابتعاد عن منطقة نفوذ همام) .

وقد استمر الشيخ همام فى تدعيم نفوذه وبناء قوته بدفع كبار
الأمراء المالك واحدًا تلو الآخر للتنازل له عن أراضيه فى الصعيد .

ففى عام ١١٧٣ هـ // ١٧٥٩ م ، وأمام محكمة الباب العالى بالقاهرة
تنازل الأمير محمد جاويش مستحفظان القازد على عن حصته وقدرها ٢ ط
بناحية طهطا وتوابعا للشيخ همام نظير ثمن معين وقدره عشرون كيسا
تقابها ثبابة عن همام وكيله المعلم بولص (١) .

وواصل الشيخ همام اجلاء امراء المالك الآخرين الذين كانت لهم
أراضى فى ولاية جرجا وخاصة من كانت أراضيه تتداخل مع أراضيه .

ففى عام ١١٨٠ هـ / ١٧٦٦ م (٢) تنازل الأمير خليل بك القازد على
الدفتردار عن نفسه وعن وكيله وشريكه حمزة بك القازد على عن ١٨ ط
من أصل ٢٤ فى كامل أراضى ناحية منشأة اخميم (الحرزات والزوك
والكوامل وأولاد مامن وتوابعا من ولاية جرجا) .

وتم التنازل أمام محكمة الباب العالى بالقاهرة نظير ثمن دفعه همام
وقدره مائتا كيس .

وفى عام ١١٨١ / ١٧٦٧ م ، اضطر أمير آخر هو عثمان بك أبو يوسف
حصارى عسكر الخزينة العامة وقتها الى التنازل عن نفسه وعن موكله عن
٢ ط حصتهم فى ناحية نفس اخميم ، قيراط فى أراضى شرق اخميم
وتوابعا ساقلته ، سفلاق صوامعه طوايل بولاية جرجا نظير مبلسخ
٢٧ كيسا .

(١) هذه الحجة من الأوراق التى سلمها لى أحفاد الشيخ همام بقنسا وهى بتاريخ
١٢ ذى القعدة سنة ١١٧٣ هـ . . .

(٢) هذه الحجة موجودة بملفخانة المحكمة الشرعية بشبرا بالقاهرة - مادة رقم ١٣٦
ص ٩٩ من سجلات محكمة الباب العالى سجل رقم ٢ .

وتم التنازل أيضا أمام محكمة الباب العالي بالقاهرة فى ١٢ رجب
سنة ١١٨١ هـ (١) ديسمبر سنة ١٧٦٨ م .

وكان يذكر فى كل تنازل من هذا القبيل ان الأمير المتنازل عن أراضيه
للشيخ همام تنازل عنها له .

(لما علم لنفسه فى ذلك من الحظ والمصلحة) وكان التنازل عن
الأرض فى جميع الحالات من الأمراء المماليك للشيخ همام هو تنازل عن
الأرض الزراعية فقط وليس عما بها من الفلاحين والحيوانات والأشياء
الأخرى وكان همام يدفع دائما ثمن ما يأخذ من أرض هؤلاء الأمراء .

وكان متوسط ما يدفعه همام من نقود ثمنًا للتنازل عن القيراط
أحد عشر كيسا مصرية (ولم يكن القيراط فى ذلك الحين يعنى $\frac{1}{3}$ من
الغدان وإنما كان يعنى $\frac{1}{4}$ من أرض المقاطعة الزراعية فقد كانت كل
مقاطعة تقسم الى ٢٤ قيراطا أى جزء ولم يكن الشيخ همام يصادر
الصعيد الى القاهرة لحضور عمليات التنازل هذه بل كان ينبى عنه وكلاءه
للقيام بذلك وتسلم الأرض المتنازل عنها ودفع الثمن اللازم لعملية
التنازل ، وكان منهم المعلمون الاقباط الذين يعملون بأراضى همام فى
الصعيد بمثابة مباشرين عنده ومنهم الأمير عثمان أغا العثمانى وكيل دار
السعادة (٢) بالقاهرة والذي كان الشيخ همام قد اعطاه توكيلا شرعيا
للقيام عنه بمثل هذه الأمور .

(١) هذه الحجة موجودة بدفترخانة المحكمة الشرعية بشبرا بالقاهرة ٠٠٠ مادة رقم ١٥١
ص ١١١ من سجلات محكمة الباب العالي سجل رقم ٢ .

(٢) دار السعادة :

اسم أطلقه المماليك على دار الحكم التى يقيم فيها نائب السلطان فى الأقاليم التابعة
للدولة .

وقد ذكر ابن طولون فى تاريخه مفاكهة الخلائ ص ١٢ ج ١ هذا الاسم كثيرا بما يعنى
ذلك المهوم .

فقد ذكر ص ١٢ وميل خبر انعام السلطان على نائب دمشق فمقت البشارى فى دار
السعادة .

وقد أطلق العثمانيون هذا الاسم على دار الحكم فى استانبول أبو المحاسن المنهل
الصائى ج ١ ص ١٥٢ .

أما أغا أغاه وكيل دار المساعدة فى مصر فهو كبير الأغوات الرئيسى للباب العالي
والذى كان يرسل الى مصر لتولى نظارة الأوقاف السلطانية العامة .

الجبرى : عجائب الآثار : ج ٤ ص ٧٧ .

S. J. SHaw : The financial and administrative organization, p. 44.

الشيخ همام - ١٢٩

بل لقد وصلت سطوة همام ونفوذه وقوته الى حد أنه استطاع ان يرغم على بك الكبير اعظم الأمراء المماليك حينئذ وشيخ البلد والمسيطر على مقاليد الحكم فى مصر على التنازل له عن مساحات واسعة من أراضيه التى كان يحجزها بالالتزام فى الصعيد من ذلك ٠٠٠ ما كان من تنازل الأمير على بك الكبير للشيخ همام عن ٢٢ قيراطا من أصل ٢٤ قيراطا أى معظم ناحية بنى نصر بمنفلوط وكان ذلك أمام محكمة الباب العالى (١) بالقاهرة فى أول رجب سنة ١١٨٢هـ ١١ نوفمبر سنة ١٧٨٦م نظير مبلغ ٢٥٢ كيسا قدمها وكيل همام الأمير عثمان أغا .

ولعل على بك امتلات نفسه حقدا على همام بعد وقوع تنازله هذا عن أراضيه لهمام ولعل هذا التنازل هو وما وصل اليه همام من قسوة ونفوذ حينئذ الذى أثار كوامن غضبه على همام وشككه فيه (٢) .

ففى منتصف هذا الشهر نفسه ١٥ رجب سنة ١١٨٢/٢٦ نوفمبر سنة ١٧٦٨ بدأ تحرشه بالشيخ همام بإرساله حملة بقيادة محمد بك أبى الذهب لمطالبة همام بالتغلى عن جميع أراضيه شمال برديس وهى الحملة التى سنناقشها بالتفصيل فى الفصل التالى عند تناول المواجهة بين همام وعلى بك .

هكذا رأينا كيف تمكن همام بما اتيج له من قوة وثراء ونفوذ وسيطرة على معظم أراضى الصعيد من الدخول فى علاقات قوية مع امراء المماليك

(١) محكمة الباب العالى

احدى ثلاثة عشرة محكمة كانت توجد باقسام القاهرة وتوجد سجلاتها الآن بدفترانة المحكمة الشرعية وغالبها حجج تسجيل المعاملات المالية والواثبات وهذه المحاكم هى :

- ١ - محكمة الباب العالى .
- ٢ - محكمة قوصون .
- ٣ - محكمة بابى سمادة والخرق .
- ٤ - محكمة القسمة العسكرية .
- ٥ - محكمة القسم الغربى .
- ٦ - محكمة الزينى ببولاك .
- ٧ - محكمة مصر القديمة .
- ٨ - محكمة الصالحية .
- ٩ - محكمة طولون .
- ١٠ - محكمة قناطر السبع .
- ١١ - محكمة جامع الحاكم .
- ١٢ - محكمة باب الشرعية .
- ١٣ - محكمة الزاهد .

(٢) بعد القضاء على شيخ العرب همام استعاد على بك أراضى ناحية بنى نصر هذه مرة ثانية فقد ورد بخطات التزامات القلعة دفتر رقم ٥٥٠ لسنة ١١٨٥هـ عيّن ٩ مخزن تركى ٠٠٠٠ ان ناحية بنى نصر بمنفلوط فى التزام على بك الكبير .

فتحدى بعضهم واضطره للتخلي عن أراضيه في الصعيد وصادق بعضهم صداقة قوية ربطت حياته بحياتهم ومصيره بمصيرهم مثل صداقته للأمير صالح بك القاسمي الذي بلغ من صداقته له أنه كان ينييه عنه في جميع مصالحه بالقاهرة والذي أيده الشيخ همام بكل ما يحتاج إليه من رجال وموؤن وذخائر عندما فر هاربا إلى الصعيد سنة ١١٧٩هـ/١٧٦٥م عندما حاول على بك نفيه من مصر ليخلو له الجو لفرض سيطرته خالصة على مصر .

وقد بدأت صداقة همام مع صالح بك (١) منذ عام ١١٦٨ هـ ١٧٥٤ م حينما عين صالح بك حاكما لولاية جرجا ، فقد قبل هذا الأمر صداقة الشيخ همام ربما لأنه من القاسمية ، وهم الرجال الذين غرهم الهوارة عامة والشيخ همام خاصة بكرمهم ، وأفسحوا لهم ديارهم ، وقدموا لهم المأوى والأمان عندما انتهت دولتهم سنة ١١٤٢هـ/١٧١٩م وتعرضوا للتشتيت والنفي .

وربما أدرك صالح بك بثاقب بصره أنه من الخير له أن يكسب ود وصداقة شيخ الصعيد المسيطر على معظم أراضيه ان أراد أن يضمن لنفسه حكم ولاية جرجا فقد وصل الشيخ همام في تلك السنوات إلى حد من القوة والسيطرة والنفوذ ما كان يجعله في مركز يستطيع منه تحدى أى حاكم لولاية جرجا لا يكون على وفاق معه .

وسنرى في الفصل التالي الخاص بالصراع بين على بك والشيخ همام تفصيلا للعلاقة بين الشيخ همام وصالح بك القاسمي وعلى بك الكبير نفسه .

(١) صالح بك القاسمي :

أصله من مملوك مصفى بك المعروف بالقرد ، ولما مات سيده تقلد الإمارة عوضه ، وقد اشتهر بذكوره ، وتقلد إمارة الحج في سنة ١١٧٢هـ/١٧٥٨م وسار أحسن سيرة ، وقد التزم بالتزامات أساتذته واقطاعاتهم بالصعيد .

وقد أنشأ صالح بك دارا عظيمة بالقاهرة لم يكن لها نظير ، ولما نما أمر على بك ونفى زميله عبد الرحمن كتحدا إلى السويس أرسله إلى هناك برفقة صالح بك القاسمي ، وأرسل خلفه فرمانا بنفيه إلى غزة ثم نقل منها إلى رشيد ثم إلى دمياط وحين هناك فر إلى الصعيد إلى حمى الشيخ همام وأقام بالمنايا وتحصن بها بمعونة همام ولما خرج على بك منفيا مع زملائه وذهب إلى الصعيد انضم إلى صالح بك بوساطة الشيخ همام ، وتقدم صالح بك مع على بك إلى القاهرة واشترك معه في تطهيرها من منافسيه ، ولكن ما أن تم الأمر لملى بك حتى غادر بزميله صالح بك وقتله سنة ١١٨٢هـ/١٧٦٨م .

وقد كان صالح بك أميرا جليلا ، لبن المريكة ، يميل إلى الخير ويكره الظلم ولا يتطلع لما في أيدي الناس .

المجهرى : عجائب الآثار ج ١ ص ٣١٨ .

الصراع بين الشيخ همام وعلي بك

شخصية علي بك الكبير - أسباب الصراع بينه
وبين همام - المواجهة بينهما - نهاية همام -
كيف أدار علي بك الصعيد بعد وفاة همام
- أثر القضاء على سلطة همام في حياة
الصعيد •

الصراع بين الشيخ همام وعلى بك الكبير

لتحديد اسباب الصراع بين الشيخ همام وعلى بك الكبير ينبغي ان ندرس شخصية على بك وحركته وأهدافه منها .

ولد على بك سنة ١٧٢٨م/١١٤١هـ ببلاد الأيازة من أعمال القوقاز العثماني حينئذ ، وكان والده داود أحد قساوسة الكنيسة اليونانية يأمل أن ينشئ ابنه يوسف بنشئة دينية ، ولكن القدر شاء غير ذلك ، فقد اختطف الابن بيد إحدى عصابات الطرق التي باعته الى كرد أحمد ، وهو من كبار تجار الرقيق ، فقصده به الى الاسكندرية حيث باعه الى مديري جمرهما الأخوين اليهوديين أسحق ويوسف اللذين قدماه هدية الى ابراهيم كتنخدا جاويش (الينكجى) تقربا اليه لأنه كان من أصحاب النفوذ في مصر .

وقد بدأت حياة على بك كما كانت تبدأ حياة غيره من المماليك بعد شرائهم فاعتنق الاسلام وسمى عليا ودرس تعاليم الدين الاسلامي ، ومبادئ القراءة والكتابة العربية والتركية ولما أبداه من ذكاء واردة وحزم تمتع بعطف استاذة الذي والاه بالترقية حتى وصل الى مركز خازن دار بيته ، وقد أخذ على نفسه بالتدريب الدائم على التمرينات البدنية ، وركوب الخيل ، واستعمال الاسلحة النارية فمهر في ذلك

مهارة فائقة اكتسبته لقب الجن على ، أى النشيط الذى يغلب ولا يغلب (١) .

ولما توفى أستاذه ابراهيم جاويش سنة ١١٦٨ هـ / سنة ١٧٥٤ م تقلد الصنحية وبدأت شخصيته فى الظهور على مسرح الأحداث بالقاهرة ، وبدأ يسعى للحصول على منصب شيخ البلد أى الوصول الى زعامة الماليك جميعا والسيطرة على مقاليد الأمور فى مصر كلها .

وللوصول الى منصب شيخ البلد كان على على بك أن يزيح من طريقه رضوان كتخدا الجلفى شريك استاذ ابراهيم كتخدا فى النفوذ والذى انفرد بعد وفاته بالنفوذ والسيطرة .

وكان من الطامعين فى مشيخة البلد أيضا عبد الرحمن كتخدا (٢) الذى تركه على بك يبدأ النزال مع الامراء الآخرين حتى يهد له الطريق ويخليه من المنافسين فعلا ألب عبد الرحمن كتخدا بماليك ابراهيم كتخدا على رضوان الجلفى وأغراهم به سنة ١١٦٩ هـ / ١٧٥٥ م حتى هاجموا وأطلقوا عليه الرصاص واضطروه للفرار الى الصعيد حيث توفى بأولاد يحيى (٣) بعد أيام من مهاجمته وفراره .

وانتهى بموته سلطان الجلفية أتباعه ، واستمر على بك فى اخفاء ما فى نفسه من تطلع لمنصب شـيخ البلد وترك المتنافسين على ذلك

(١) محمد رفعت رمضان : على بك الكبير ص ١٨ .
فولنى : ثلاثة أعوام فى مصر وبر الشام - ترجمة ادولف البسانى بيروت ١٩٤٩ ج ١ ص ٨٠ .
(٢) عبد الرحمن كتخدا :

ابن حسن جاويش الغازوغلى أستاذ سليمان جاويش أستاذ ابراهيم كتخدا وكان من الانكشارية وتقلد السردارية وحجج سنة ١١٥٥ هـ / ١٧٤٢ م وبقي بالمجاز حتى سنة ١١٦٦ هـ / ١٢٤٨ م ثم عاد الى مصر وتولى كتخدا الوقت عامين وشرع فى بناء المساجد وعمل الخيرات وابطال المنكرات وبلغ عدد المساجد التى أنشأها وجدها ١٨ مسجدا خلاف الزوايا والأسبلة والمكاتب والأحواض والقناطر والربط للنساء الفقيرات ومن أهم المساجد التى بناها المشهد الحسينى والسيدة زينب ، وقد اشتهر بالجود ولقب بصاحب الخيرات والعائر فى مصر والشام وقد مهد السبيل لعل بك وأعانه على تولى مشيخة البلد ولكنه غدر به ونفاه الى المجاز سنة ١١٧٨ هـ / ١٧٦٤ م وبقي هناك حتى عاد الى مصر سنة ١١٩٠ هـ / ١٧٧٦ م . مات بعد أيام ودفن بالأزهر .

الجبرى : عجائب الآثار ج ٢ ص ٥ .
(٣) اولاد يحيى : قرية من قرى جرجا شرقى النيل كانت عامرة بالمساجد والتخيل والمضافات ولاهلها كرم وشهامة . على مبارك المخطوط ج ٩ ص ١٥٥ .

المنصب يسقط بعضهم بعضا ولم يستطع عبد الرحمن كتحدا أن يتقلد
مشيخة البلد لانه برغم شهرته وقربه من نفوس الشعب لم يكن له من
الاتباع والصناجق ما يوازي صناجق عثمان بك المبرجاوى (أول الصناجق
الذين قلدهم ابراهيم كتحدا) والذي انتهى الأمر بتوليده مشيخة البلد
فلم يحسن معاملة زملائه الذين نزعه من الرياسة وتولى بعده حسين
بك الصابوتجى (١) أوائل سنة ١٧٥٧م/سنة ١١٧١هـ .

فاتبع سياسة أساسها تشتيت شمل الصناجق الابراهيمية (٢)
الذين كان على رأسهم على بك فأصدر حسين بك أمرا بنفى على بك (٣) الى
نوسا الفيط (من اعمال الدقهلية) ولكن خشداشينة تأمروا ضده
واغتالوه سنة ١٧٥٧م/١١٧١هـ وتولى بعده على بك الغزاوى الذى سعى
للقضاء على عبد الرحمن كتحدا مدبرا لذلك مؤامرة علم بها الأخير فعمل
على اسقاطه من مشيخة البلد وانضم لذلك الى على بك الكبير وعقد
معه أوامر الصداقة وبذل جهده حتى تمكن من جمع كلمة الأمراء
على اختيار على بك شيخا للبلد فى أوائل عام ١٧٦٠م/١١٧٤هـ وظفر
بأقرار الباشا لذلك .

وهنا يحاول على بك بعد وصوله الى منصب شيخ البلد أن يحتفظ
بهذا المنصب سبيله الى ذلك القضاء على من عساهم يناقسونه فيه
وكان أهم هؤلاء ثلاثة :

عبد الرحمن كتحدا ، حسين بك كشكش ، صالح بك القاسمى
حاكم جرجا .

وقد بدأ بعبد الرحمن كتحدا فاستصدر من الباشا أمرا بنفيه الى
الحجاز سنة ١١٧٨هـ/١٧٦٤م كما نفى الكثيرين من أنصاره .

(١) حسين بك الصابوتجى :

من ممالك ابراهيم الصابوتجى ، فر الى ابراهيم كتحدا فأولاه ورياء ، تولى امانة الحج
مرتين ١١٦٩هـ/١٧٥٥م والعام التالى له ثم تولى شيخا البلد ١٧٧١هـ/١٧٥٧م .

الجبرى : عجائب الآثار ج ١ ص ٢٦ .

(٢) بيت الابراهيمية : هو الحزب الذى كان ينتمى اليه ممالك ابراهيم كتحدا استاذ
على بك الكبير .

(٣) الخشداش أو الخوشداش أو الخوشداش مغرب اللفظ الفارسى خواجهانش وهى
الزميل فى الخدمة ، والخشداشية فى اصطلاح عصر للمالك بصر هم الأفراد الذين نشأوا عند
استاذ واحد .

ثم اتجه على بك الى الايقاع بين حسين بك كشكش (١) وصالح بك القاسمي بتعيين الاول حاكما لجرجا ثم أصدر أمرا بنفى صالح بك الى رشيد ثم الى دمياط ولكن صالح بك لم يستسلم بل فر الى المنيا أي الى الصعيد موطن صديقه وحليفه الشيخ همام وجمع حوله (المنفيين) هن فرقة القاسمية (٢) وتشتتهم سنة ١١٤٢هـ/ سنة ١٧٢٩م فلجأ الكثيرون منهم الى الهوارة بالصعيد وفي عهد همام انضموا اليه وعملوا جندا عنده، وكانوا يلتفون حول الأمراء المماليك الفارين الى الصعيد ، ويخدمون في صفوفهم ، فلما فر صالح بك القاسمي (٣) الى المنيا لاجئا الى حمى الشيخ همام فرارا من وجهه على بك تجمع القاسمية لتأييده ومساعدته .

وقد اهتم الشيخ همام بمساندة صديقه صالح بك ومساعدته مساعدة فعالة ، عملا بما تقتضيه واجبات الصداقة من جهة وادراكا لسوء نوايا على بك من جهة أخرى فلاشك أن مساعدة الشيخ همام لصالح بك كانت تحمل في ثناياها ادراكا من همام لنزعة على بك وميله للقضاء على كل ذوى السلطان والنفوذ الذين يخشى منهم على نفوذه وسيادته ومن هؤلاء كان صالح بك الذى كان يستمد قوته من صداقته وارتباطه بالشيخ همام ، وقد أمد الشيخ همام صديقه صالح بك بكل ما يحتاج اليه من ذخيرة ومؤن ورجال لمقاومة الحملة التي وجهها اليه على بك بقيادة حسين بك كشكش .

وقد تمكن صالح بك بمعاونة الشيخ همام من قطع الاتصال بين الصعيد والقاهرة ، ومنع ارسال الفلال والأموال الأميرية .

وقد كان الشيخ همام يقف بكل قوته وراء صالح بك ، وبحسن سياسة الشيخ همام وبعد نظره فشلت حملة على بك ضد صالح بك ، فلا شك أن الشيخ همام بمساندته القوية لصالح بك نبهه الى حقيقة

(١) حسين بك كشكش :

من مماليك إبراهيم كئندا تاجر (أى ول) فى حياة أستاذ وكان شجاعا مقسدا ما اشتهر بالفرسية وخرج أميرا للحج أربع مرات دون أن يجزئ العرب فى الطريق الى الحجاز على التمرض له بل هابوه وخافوا منه وكانوا يخفون بذكره أطفالهم وكان ذا عزيمة ماضية ونفس طموحة مما جعل على بك يخشاه ولا تهدأ نفسه الا بالقضاء عليه يقتله بطلطا سنة ١١٨٢هـ/ ١٧٦٨م .

الجبرتي : عجائب الآثار - ج ١ ص ٢١٧ .

(٢) عن القنارية والقاسمية انظر ص ١٢٠ ، ١٢١ من الفصل الخامس .

(٣) عن ترجمة صالح بك انظر ص ١٢٩ من الفصل الخامس .

نوايا على بك ضده واهدافه من ارسال حملة اليه بقيادة زميله حسين بك بهدف ايقاع الشقاق بينهما .

وفلما حدث عكس ما توقع على بك وسرعان ما اتفق صالح بك ، وحسين بك كشكش ضد على بك الذى سارع باصدار أمر بنفى حسين بك الذى لم يمثل للأمر وأسرع بدخول القاهرة عنوة فحاول على بك دس السم له فاكشف هذه الخديعة فاضطر على بك الى الهرب الى الشام سنة ١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م وسيطر حسين بك على القاهرة واستعاد صالح بك حكم ولاية جرجا ، ولكن على بك لم يلبث أن عاد من الشام ودخل القاهرة مظهرا الندم والتوبة فانخدع زملاؤه بمظهره وأعطوه حكم نوسا الغيظ لابعاده عن القاهرة ولكنه ما أن وصل الى هناك حتى دبر مؤامرة للقضاء على زملائه الذين اكتشفوا هذه المؤامرة وقرروا نفيه هذه المرة الى اسبوط وكانت جزءا من ولاية جرجا التى يحكمها خصمه صالح بك .

هكذا وجد على بك نفسه مضطرا للجوء لأقوى منافسيه صالح بك - حليف شيخ العرب همam - للاستعانة به فى محاولة العودة الى القاهرة والقضاء على منافسيه بها ، وقد كانت أهمية صالح بك فى ذلك الوقت تأتى من محالفته وصداقته لشيخ مصر العليا وسيدها المطاع الشيخ همam الذى كان له النفوذ الفعلى فى الصعيد حينئذ ، فقد كان همam وقتها يسيطر على معظم اراضى الصعيد من المنيا الى أسوان ويملك ثروة هائلة وقوة عسكرية ضخمة وأسلحة وذخيرة هائلة . وقد رعى على بك بثاقب بصره أن فى تحالفه مع صالح بك ما يضمن له الحصول على قدر هائل من القوة التى يتمتع بها الشيخ همam والتى كان لا يضمن بتقديم الكثير منها لصديقه صالح بك .

ولكن صالح بك رفض كل محاولات على بك للصالح معه متأثرا بما كان من سوء العلاقات بينهما ومحاولة على بك ابعاده الدائم عن القاهرة تارة بنفيه الى رشيد ، وتارة أخرى بنفيه الى دمياط .

ولجأ على بك الى الاتصال مباشرة بالشيخ همam عله يقنع صديقه وحليفه صالح بك بالتحالف معه ، وارسل اليه رسلا بذلك واستخدم الرسل فى ذلك كل سبيل الخديعة والقول المعسول والوعسود البراقة ملوحين للشيخ همam بعزم على بك تأييد سلطته ونفوذه من الصعيد لو تم له النصر وكذا تثبيت مركز صالح بك كحاكم لولاية جرجا فى ظل سيطرة همam ، واستمروا فى ذلك حتى قبل الشيخ همam أن يتم الاتفاق بينه وصالح بك من جهة وبين على بك من جهة أخرى .

ويبدو أن الشيخ همام لم يقبل مساندة على بك إلا أنه أدرك خفايا شخصية على بك ، وأنه يملك من العزيمة ما سيمكنه من هزيمة زملائه ، وإحراز السيطرة على مصر كلها ، ورأى همام في مساندة على بك ما قد يعود عليه ، وعلى صديقه صالح بك بالنفع لو تم النصر لعلى بك وفاز بالسيادة ثانية .

وفعلًا تم الاتفاق بينهم ، وقيل صالح بك الانضمام الى صفوف على بك الذى سر كثيرا بهذا الاتفاق الذى سيكفل له الحصول على أكبر قدر من الأموال والرجال والعتاد من الشيخ همام .

وقد وعدهم على بك بأنه اذا ما تم له النصر ثبت صالح بك فى حكم ولاية جرجا مدى الحياة (١) أى ثبت نفوذ همام وسلطته فى الصعيد مدى الحياة أيضا فصالح بك كان هو الحاكم لجرجا شكلا ولكن النفوذ الحقيقى فيها كان لشيخ العرب همام ، وبمصاحبة صالح بك وبمعاونة همام تقدم على بك فى طريقه الى القاهرة بجيش جرار حيث التقى بمنافسيه شمالى بنى سويف فى جمادى سنة ١١٨١ هـ أكتوبر سنة ١٧٦٧ م حيث دارت المعركة الفاصلة التى انتصر فيها على بك نصرا تاما ودخل القاهرة حيث ثبتت أقدامه هذه المرة فى امارة مصر ورياستها وحيث بدأ فى تنفيذ سياسته التى كانت ترمى الى :

(٢) قتل التمردين وقطع المعاندين وتشتيت شمل المنافقين (٣) وقد بدأها بالقضاء على حسين بك كشكش وزميله خليل بك سنة ١١٨٢ هـ سنة ١٧٦٨م ثم التفت الى صالح بك حليفه الذى ساندته فى صراعه الهام ضد منافسيه والذى كانت له بمساعدة صديقه همام اليد الطولى فى حصول على بك على نصرة المؤزر على زملائه .

ولكن على بك فى سبيل التخصص من زملائه الذين يخشى من منافستهم له غدر بصالح بك بأن أغرى به بعض أتباعه فاغتالوه ليلا أثناء سيرهم معه قرب سويقة عصفور ببولاق بعد خروجهم من اجتماع ضمهم وعلى بك فى منزله فى ١٨ ربيع الثانى سنة ١١٨٢ هـ / ١١ سبتمبر سنة ١٧٦٨م (٣) وبذلك تخلص على بك من آخر صنجق قوى كان يمكن أن ينافسه على مشيخة البلد ، ولعل من أهم الأسباب التى جعلت على بك يعجل بالقضاء على صالح بك خوفه من خطورة صالح بك لاستناده

(١) الجبروتى : عجائب الآثار ج ١ ص ٢٥٧ .

(٢) للرجع السابق : ج ١ ص ٢٥٨ .

(٣) للرجع السابق ج ١ ص ٣٠٧ .

الى حليفه القوي المسيطر على الصعيد شيخ العرب همام ، ولكن على بك كان سريع الخطأ ، بعيد النظر فقضى على صالحي بك قبل أن يترك له فرصة تتيح له القيام بأى عمل ضده .

وبذا استقرت الأمور على بك الذى غدا سيد مصر الفعلي ، وتطلعت نفسه الى الانفراد بشئون الحكم فى مصر كلها وكان لابد له لتثبيت مركزه من تعبيد الطريق ، ازالة ما به من عقبات كان أهمها كسب ثقة الباب العالي باطاعة أوامر السلطان والتقرب الى ممثله فى مصر واستصدار فرمانات من الباشا لتنفيذ ما يتخذ من قرارات ونجح على بك فى ذلك نجاحا تاما (١) .

وكان عليه أيضا أن يقضى على ما بقى من قوة الحماية العثمانية فى مصر ، ففى وان كانت قد ضعفت وأصبح معظم رجالها من أرباب الحرف ، الملتزمين (٢) ولم تعد هيئات قوية منظمة ، الا انها كانت موجودة وللانفراد بالسلطة فى مصر كان على بك أن يقضى على كل قوة لها ، ولذا اتبع سياسة التخلص منها باهلاك رجالها فى الحروب الداخلية ومنع العناصر غير المرغوب فيها من بين ضباطها من التزام الأراضي ومصادرة أموال البارزين من قادتها أو اعدامهم .

وبعد أن أمن على بك جانب السلطان وقضى على المتمردين والمنافسين له من البكوات المالكين وبعد أن شل نفوذ الحماية العثمانية وركز السلطتين الادارية والحربية فى يده أصبح فى مركز يسمح له بالقضاء على آخر القوى الخطيرة التى يمكن أن تهدد سلطانه ونفوذه وهى :

القبائل العربية المنتشرة فى الوجهين البحرى والقبلى .

وقد أظهر على بك أنه بمحاولته القضاء على سلطة تلك القبائل انما يهدف الى اقرار الأمن الداخلى (٣) .

ولكن الحقيقة كانت خلاف ذلك فقد كان على بك يهدف من تحطيم سلطة القبائل العربية فى مصر الى دعم مركزه وفرض سيطرته الخاصة على مصر كلها .

ومحاولة على بك للقضاء على القبائل العربية فى الوجه البحرى قد تكون محاولة صادقة منه لاقرار الأمن فقد كثر عبث الحبابية بشرق

(١) محمد رستم وشبان : على بك الكبير ص ٣٦ .

(٢) فولنى : ثلاثة أعوام فى مصر وبر الشام - ترجمة ادوارد البستاني ج ١

ص ١١٠ .

الدلتا وأصبحوا أخطر العرب الموجودين بالوجه البحرى وأكثرهم نفوذا وسيطرة وهم ينتسبون الى حبيب بن سعد أعظم مشايخ العرب قدرا بالقليوبية خاصة والوجه البحرى عامة *

وقد وفد الحبابية أصلا من الحجاز واستقروا فى شطبه بأسبوط ثم نزحوا الى الدلتا ، وكان ظهور جدهم حبيب فى أوائل القرن الثامن عشر وقد تولى رياستهم فى عهد على بك سويلم ابن حبيب الذى ورث عن أبيه حبيب وعن شقيقه سالم شهرة تردد صداها فى انحاء الوجه البحرى وقد انتهت الى سويلم زعامة جميع القبائل العربية هناك وهابه الجميع لجرأته وشدة بأسه *

وقد أحيطت أعماله بهالة من الخيال حتى لقد (قوموه وفرسه بالف خيال) *

وقد انتهت اليه خفارة (حراسة) الملاحة النيلية بين بولاق وكل من دمياط ورشيد ، غير أنه رغم ثروته الطائلة وضياعه الواسعة تجبر وطغى وأصبح لا يفترق فى شئ عن قطاع الطرق فزاول القرصنة النيلية وأعد مراكب خاصة لذلك تخرج الى النيل وعليها رجال غلاط ومزودة بالسلاح فاذا مرت بهم سفينة صاعدة الى الوجه القبلى أو حادرة الى الوجه البحرى أوقفوها فان خضعت لهم أدخلوا منها ما يشاءون وان عصمتهم أو حاولت الهرب منهم تتبعوها وضيقوا عليها الخناق حتى تقبض بين أيديهم وحينئذ يأخذون منها أضعاف ما كانوا سيأخذونه منها لو سلمت لهم من أول الأمر *

ورغم تكرر الشكاوى من سويلم فان حكام مصر لم يكونوا يحركون نحوه ساكنا فقد كانت هداياه الفخمة الدائمة لهم تلجم ألسنتهم وكان له من امراء الممالك واتباعهم اصدقاء كثيرون يحمون ظهره *

وقد وصل نفوذ الحبابية اقصى اتساع له فى عهد على بك فقد أصبحت معظم بلاد القليوبية والشرقية تحت حماية سويلم بن حبيب وحماية أقاربه وأولاده وأصبح المعتزمون فى تلك النواحي تحت رحمته يتدخل فى كل أعمالهم بالاضافة لتحكمه فى الطريق بين القاهرة وموانى القطر الشمالية *

وما كان على بك يسمح لتلك الفوضى بالبقاء فى عهده وما كان يستطيع أن ينفض عينيه عن خطورة سلطة ابن حبيب على نفوذه فى مصر ، لذا وجه اليه حملة بقيادة محمد بك أبى الذهب ، وأيوب بك للقضاء عليه

وفى رواية الجبرتي (١) ان على بك احتج في ارسال تلك الحملة بما كان من اكرام ابن حبيب لمنافسه حسين بك كشكش وتستره عليه أثناء مطاردة على بك له .

وعندما وصلت الحملة الى دجوه - (قرية صغيرة بالقليوبية تقع على الضفة الشرقية لفرع دمياط) - لم يكن سويلم موجودا بها وعندما علم بحضورها أسرع الى البحيرة والتجأ الى عرب الهنادى ، فاكتمى محمد بك بنهب دياره وأمواله وعاد الى القاهرة سنة ١١٨٢هـ / سنة ١٧٦٨م .

ولكن على بك لم يكتف بذلك بل جرد عليهم حملة أخرى بقيادة اسماعيل بك استطاعت هذه الحملة أن تهزم الحباية والهنادى أيضا فانكسروا شر كسرة ، وقضى على سويلم وأتباعه وزال خطر هذه القبائل العربية نهائيا ولم تقم لها قائمة بعد ذلك (٢) .

وبعد أن تخلص على بك من أخطر عرب الوجه البحرى اتجه للقضاء على عرب الهوارى بالصعيد واستخلاصه من أعظم مشايخ العرب قدرا ونفوذا واتباعا وهو شيخ العرب همام بن يوسف الهوارى .

وفى محاولة على بك القضاء على الشيخ همام ونفوذه بالصعيد تبدو رغبته فى دعم مركزه بالقضاء على كل ذى نفوذ يمكن أن يهدد نفوذه وسيطرته على مصر .

وترجع اسباب النزاع بين الشيخ همام وعلى بك الى سنوات بعيدة الى عام ١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م حين تحدى همام الامير ابراهيم كنتخدا (جاويش) استاذ على بك وسيدته ذلك التحدى والعداء الذى لم ينته الا بنهاية الشيخ همام وقد أشار الجبرتي الى هذا المعنى بقوله :

(وأما النفرة التى لم يندمل جرحها فهي دعوة برديس وفرشوط (٣) فقد رهن الشيخ همام لابراهيم جاويش ناحية برديس (٤) نظير اقتراضه منه مبلغ من المال بشرط أن يتصرف ابراهيم جاويش كيفما

(١) الجبرتي : عجائب الآثار - ج ١ ص ٣٠٨ .

(٢) الجبرتي : عجائب الآثار - ج ١ ص ٣٤٥ .

(٣) الجبرتي : عجائب الآثار - ج ١ ص ١٨١ .

(٤) كان نظام رهن الأرض حاجة صاحبها الى المال نظاما جرى به العرف فى مصر العمالية وعرف برهن الفاروق أى الرهن المؤقت الذى تعود فيه الأرض لصاحبها بعد تسديد المال الذى اقترضه عليها . وقد ذكر الجبرتي أمثلة كثيرة لرهن البكوات المماليك جزءا من أراضيهم منهم على بك الهندى الذى كان قد رهن بلدا لبك آخر - ج ١ ص ١٧١ - وفى الترجمة للخوجا محمد الدادة الشرايى ذكر عنه الجبرتي - ج ١ ص ٨٧ انه كان يقترض المال لقاء رهن البلاد عنده .

يشاء في ناحية برديس ان لم يسدد له الشيخ همام المبلغ الذى اقترضه منه
فى الوقت المحدد لسداده *

ولكن همام رفض تسديد هذا المبلغ فى أوانه وتكرر رفضه حتى
اضطر ابراهيم جاويش لأن يشكوه لعثمان بك الفقارى صديق الهوارة
وزعيم الماليك فى مصر حينئذ ولكن عثمان بك (١) أيد الشيخ همام
ورفض اجباره على تنفيذ الشروط التى اتفق عليها مع ابراهيم جاويش
الذى غضب لذلك أشد الغضب وتآمر ضد عثمان بك الذى خسر الموقف
وفر هاربا الى استانبول ، وفقد همام بخروج عثمان بك عن مصر أعظم
صديق له من بين الامراء الماليك الكبار ورغم ذلك فقد عجز ابراهيم
جاويش عن أن يستخلص ناحية برديس من الشيخ همام الذى كان قد
بدأ فى السيطرة على الصعيد والاستحواذ على أراضيه الواسعة *

جرى هذا الصراع بين الشيخ همام و ابراهيم جاويش على مراءى
ومسمع من على بك الذى كان تابعا لابراهيم جاويش وأحد مماليكه
المخلصين *

ولا بد أن موقف همام من ابراهيم جاويش استأذ على بك قد ترك
آثرا سيئا فى نفس على بك ولا بد أن هذا التجدى من همام - لأحد كبار
الامراء الماليك اصحاب النفوذ فى مصر حينئذ - قد نبه على بك الى
ما يتمتع به همام من قوة ونفوذ يخشى خطرهما على من تكون له
السيطرة على مصر *

ولعل على بك قد أسر فى نفسه حينئذ انه متى سيطر على مقاليد
الأمر لا بد وأن يقضى على الشيخ همام وعلى نفوذه فى الصعيد حتى
لا يتطلع الى فصله عن الوجه البحرى متحديا اياه كما تحدى استأذه
من قبل *

ثم أدت الصداقة المتينة التى ربطت بين صالح بك القاسى - حاكم
جرجا ومتنافس على بك - وبين الشيخ همام الى زيادة الشكوك فى نفس
على بك ضد همام وضد ما قد يحاوله من تحدد له ولحكمه وسيطرته
على مصر *

وأدرك على بك بعد قضائه على صالح بك انه لا بد وأن يزِيل من
الصعيد نفوذ همام وسيطرته الواسعة حتى لا يفكر همام فى القيام بعمل
ضده انتقاما منه لفدرة بصديقه صالح بك ونقضه ما كان بينهما من
عهد وتحالف تم على يد همام وإبراهيم ووساطته بينهما *

(١) عن ترجمة الأمير عثمان بك - انظر ص ١٢٣ من الفصل الخامس *

وقد كان طبيعيا أن يستنكر الشيخ همام غدر على بك بصديقه وحليفه صالح بك ، وأن يظن إلى أنه لم يعد هناك مطلب لعل بك سوى القضاء عليه هو الآخر بعد أن قضى على جميع منافسيه وعلى القوى التي كانت تهدد نفوذه في مصر .

وقد سارع على بك ببدء النزال ضد همام عقب التخلص من صالح بك فوجه على همام حملة بقيادة محمد بك أبي الذهب سارت إلى الصعيد في ١٥ رجب سنة ١١٨٢ هـ / ٢٦ نوفمبر سنة ١٧٦٨ م لفرض شروط على بك على الشيخ همام وهي الشروط التي كانت تقضى بأن يقصر الشيخ همام منطقة نفوذه وسيطرته على أراضي الصعيد ابتداء من برديس (قرية بجوار مدينة جرجا تقع بحرى فرشوط مقر همام) وهي القرية التي سبق النزاع بشأنها بين همام ، وإبراهيم جاويش أستاذ على بك .

أى أن تلك الشروط كانت تقضى بأن يقصر همام نفوذه على المنطقة التي كان يتركز فيها الهوارة في قنا وأسوان وليس على الصعيد كله .

وقد كان على بك وقتها في مركز يسمح له بتحدى شيخ الصعيد وإملاء أوامره عليه فقد أصبح على بك شيخا للبلد وسيد مصر الفعلي ، وكانت الدلائل كلها تشير إلى أنه سيكون الحاكم المطلق لمصر كلها .

لذا أثر الشيخ همام الخروج من الجولة الأولى بدون اشتباك كان يدرك مقدما أنه سيخسره ، وقبل همام شروط على بك بتحديد منطقة نفوذه ابتداء من برديس ، وترك الأراضي الواقعة شمالها إلى المنيا - والتي كانت من قبل تحت سيطرة همام - لعل بك يتصرف فيها كما يشاء (١) .

ولا شك أن الشيخ همام قد قبل هذه الشروط بدون مقاومة وانسحب مؤقتا حتى يجد له منفذا آخر ولكن كلا من الطرفين لم يكن ينوى حقيقة تنفيذ هذا الاتفاق فقد بقيت تلك الأراضي في التزامات الشيخ همام (٢) وكان قبول همام للاتفاق ما هو الا تقدير منه لخطورة الموقف فقط وقوة الحزم التي يقف أمامه فآثر الانسحاب ريثما يعيد النظر في موقفه ولكي يفرى محمدا بك أبا الذهب بالعودة وربما ليستميله ويجعله يشئ على بك عن نية القضاء عليه تنازل له عن التزام ناجية برديس هدية منه له - أى بدون أن يقبض ثمنها لهذا التنازل بمناسبة مولود ولد لمحمدا بك .

(١) الجبرتي : عجائب الآثار - ج ١ ص ٣٠٨ .

(٢) دفاتر الالتزام بالقلمة : دفتر رقم ٥٣٢ لسنة ١١٨٢ هـ عين ٨ مخزن تركي .

وفد كانت تلك هى الجولة الأولى بين همام ، وعلى بك تلك الجولة التى
أكدت لهما أن :

على بك قد عقد العزم تماما على القضاء عليه وعلى سيطرته الواسعة
على الصعيد .

ولم يتخذه على بك بالانسحاب الهادئ الذى قلمه الشيخ همام
بتنازله الظاهرى عن أراضيه ، ولم ينس على بك أيضا الشكوك التى
كانت ما تزال تؤرقه من ناحية الشيخ همام وما يربطه أى همام من
صلات الود بالدولة العثمانية نفسها التى سمحت له بمده نفوذه على
أراضى الصعيد من المنيا الى أسوان باذنها فقد كان همام كما قلمنا يحصل
على كل أراضيه بالالتزام باذن الدولة ورضائها .

وعاد التحرش من جديد واستأنف على بك الصراع حتى لا يترك
لهمام فرصة للتفكير أو العمل فأرسل اليه يطلب منه طرد الأمراء المالكين
المعادين له والمقيمين بأراضيه عربونا لأقراره لشروط الاتفاق التى جرت
بينه وبين محمد بك أبى الذهب .

وهنا تأكد لهمام بما لا يدع مجالا للشك رغبة على بك فى القضاء
عليه وأنه لن يتركه بهذا كان له من سيطرة ونفوذ فى الصعيد لذا
قرر همام فى هذه المرة أن يقوم بعمل ايجابى لمقاومة محاولة على بك
للقضاء عليه ، ولكنه لم يعلن عداؤه صراحة لعلى بك ولم يقاومه وجها
لوجه بل لجأ الى الأمراء المساليك خصوم على بك والموجودين فى
أراضيه مثل :

أتباع صالح بك القاسمى وباقى القاسمية وأتباع كثير من البيوت
الملوكية التى قضى عليها على بك مثل بيوت :

الحشباب ، الفلاح ، الجلفية ، مناو ، السكرى ، أتباع كشكش بك .

وكان هؤلاء يمثلون عددا كبير من الأمراء والأنباع فحرضهم همام
واتفق معهم على ان يتقدموا للاستيلاء على أسيوط وانتزاعها من أتباع
على بك تمهيدا لتقديمهم الى القاهرة لاجلاء على بك عنها والقضاء على حكمه
لمصر واسترجاع ما كان لهم من نفوذ وسطوة على أن تبقى له سيطرته على
الصعيد ، وفعلا وافقه الأمراء على ذلك ، فأمدهم همام بالرجال من كبار
الهاجرة ومن أهالى الصعيد فتكون لهم جيش كبير قسم له همام كل ما يحتاج
اليه من أموال وذخائر ومؤن .

وانتهى الأمر باستيلاء الأمراء حلفاء همام على أسيوط ووصل الخبر الى على بك الذى كان قد أرسل حاكما جديدا لجرجا من خاصة صنابقه وهو أيوب بك فى محرم سنة ١١٨٣هـ / مايو سنة ١٧٦٩ م وأمره بالتوجه الى جرجا لتولى منصبه ، وخرج أيوب الى الصعيد متوجها الى جرجا ومعه عدد كبير من الجنود والأتباع ، ولكنه وجد أن الصعيد فى قبضة همام وحلفائه ووجه أن سلطان على بك على مصر يتهدد بالخطر من شيخ الصعيد وحلفائه فأرسل يطلب مددا من على بك لمواجهة الموقف .

وقد أدرك على بك أهمية المعركة القادمة وأنه لتثبيت سيادته على مصر لا بد وأن ينتصر فى هذه المعركة ولا بد وأن يقضى قضاء نهائيا على الشيخ همام الذى أصبح متبعا للخطر الداهم يتهدد به نفوذه وبقاؤه فى الحكم .

لذا جهز على بك وبسرعة فائقة جيشا ضخما حشد فيه الى جانب جنده المماليك مجموعة كبيرة من رجال الفرق العسكرية كلها وعلى رأسهم اثنان من بكواته الذين يثق فيهم وهم :

• خليل بك القاسمى وإبراهيم بك .

وأرسل هذا الجيش بسرعة للانضمام لجيش أيوب بك حاكم جرجا لمحاربة همام وحلفائه .

وقد حشد على بك لهذه المعركة كل قواه فلم يكتف بما أرسله بل أرسل حملة ضخمة بقيادة قائده المظفر محمد بك أبى الذهب ومعه رضوان بك ومجموعة من الأمراء والصنابق أتباع على بك وضمت هذه الحملة أعدادا ضخمة من :

• المماليك والمرزقة من الدلاء والدروز والمتاوله والشوام .

وانضم الجميع الى جيش أيوب بك الذى كان معسكرا خارج أسيوط التى كانت ما زالت فى أيدي حلفاء همام .

وتقديرا من على بك لأهمية هذا الصراع وخطورة المعركة القادمة استمر فى ارسال الامدادات والذخائر المتواليه الى رجاله الذين أصبحوا يضمون جيشا ضخما مكونا من ثلاثة جيوش وهم جيش أيوب بك وجيش خليل بك وجيش محمد بك أبو الذهب الذى تزعم الجميع .

وأمام أسيوط دارت المعركة الحاسمة التى كتب النصر فيها لقوات على بك بعد قتال عنيف قتل فيه الكثيرون من أعداء على بك من الأمراء المماليك وفرت فلول المهزومين الى فرشوط مقر الشيخ همام .

وقد كان من الطبيعي أن ينتصر رجال على بك على حلفاء همام فقد كان رجاله يمثلون قوة الدولة وقد هيا لهم على بك الوسائل التي تضمن تفوقهم من تزويدهم بالأعداد الهائلة من الرجال والأموال والمؤن والأسلحة .

بينما كانت قوة همام أقل عددا وأضعف استعداد لأن حلفاءه من المماليك لم يكونوا أكثر من جماعة من الأمراء اللاجئين الى الصعيد بعد فقدهم كل قوتهم و ثرواتهم التي جردهم منها على بك وما قدمه لهم الشيخ همام من رجال لم يكن لهم من المهارة الحربية ومن التدريب والتسلح وحسن الاستعداد ما يضمن لهم التغلب على الجنده المماليك والطوائف العسكرية الأخرى التي كانت تتألف منها قواته على بك وبعد انتصاره على بك الساحق . على حلفاء همام ورجالهم في معركة أسبوط أمر قائده محمد بك أبي الذهب بالزحف فررا الى فرشوط لمحاربة الشيخ همام والقضاء عليه .

وقبل أن يجده همام مخرجاً من هذا الموقف ، وقبل أن يتقدم برجاله لمواجهة جيش محمد بك لجأ محمد بك الى سلاح العصر وهو سلاح الخيالة والحديعة فأغرى ابن عم همام الشيخ اسماعيل أبو عبد الله بخيانة همام وأخله يستميله واعلنا آياه برئاسة الصعيد بدلا من همام اذا ما تقاعس عن القتال في صفوف همام ونشر فكرة التخاذل بين جنده (١) .

وبهذه الوعود البراقة استثار محمد بك جوانب الضعف الانساني والانانية الشخصية التي جعلت الشيخ اسماعيل ينخدع بحيلة أبي الذهب ويخون ابن عمه الشيخ همام ويتراجع عن القتال معه بل ويضم الى صفوفه الكثيرين من رجال همام .

ويبدو أن الشيخ همام كان يعقد أهمية كبيرة على وجود ابن عمه هذا بين صفوفه ، لذا قصمت هذه الخيانة ظهره وفشت في عضده اذ أدرك أنه لن يبقى له شيء بعد أن خانت عشيرته وتخلت عنه أقرب الناس اليه ، لهذا أدركه حزن قاتل واضطر الى التقهقر وخرج من مسقط رأسه وموطنه وعاصمة نفوذه ومجده فرشوط ومات (مكمودا مقهورا قرب اسنا في قرية قبولة) (٢) .

في ٨ شعبان سنة ١١٨٣هـ / اول نوفمبر سنة ١٧٦٩م (٣) وكان في نحو الستين من عمره .

(١) الجبرتي : عجائب الآثار - ج ١ ص ٣٣٦ .

(٢) قبولة (أو قولا) قرية كبيرة تقع غربي النيل وتقع مركز قوص وقد قسمه في سنة ١٢٥٩هـ / ١٨٤٣م الى ثلاث نواح وهي : البحري قولا والأوسط قولا وهي الأصلية والقبلي قولا وأصبحت كل ناحية منها قائمة بذاتها من ذلك التاريخ .

محمد رمزي : القاموس الجغرافي ج ٢ ص ٩٨٣ .

(٣) الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ٣٤٤ .

وبوفاة همام انتهت حياة تلك الشخصية الفريدة في عصرها وتقرر النصر النهائي على بك الذي تخلص من آخر قوة كانت تؤرق مضجعه ، وتقف عقبة في سبيل فرض سيادته الخالصة على الصعيد فغدا على بك بموت همام سيهد مصر كلها وصاحب النفوذ المطلق فيها .

بعد خروج الشيخ همام من فرشوط دخلها محمد بك أبو الذهب ورجاله ونهب ما بها من أموال همام وأخذ ما كان بدياره وديار أقاربه وأتباعه من ذخائر وغلال ثم رجع إلى القاهرة وبصحبته درويش أكبر أبناء همام الذي قدمه الهوارة وأشاروا عليه بمقابلة محمد بك ففعل .

وقد تفرق الأمراء حلفاء همام بعد وفاته لفقدهم الأمل في مقاومة على بك فمنهم من ذهب إلى درنه ومنهم من ذهب إلى تركيا ومنهم من ذهب إلى الشام .

وأما درويش فبعد أن قابل محمد بك طلب منه أن يحصل له على العفو من على بك فرحب محمد بك بذلك وأخذ معه إلى القاهرة وأسكنه بجوار منزله (١) ولعله قصد بذلك تحديد إقامته حتى تهدأ الأمور وبقي الشيخ درويش بمصر فترة كان يقوم فيها بالتجول في القاهرة لرؤية معالمها وزيارة أوليائها والتنزه فيها وكان الناس يعدون خلفه لمشاهدته والنظر إليه لجماله ووجاهته ولما سمعوه عن أخبار أبيه الشيخ همام .

وبسبب حاجة محمد بك منح على بك درويشا التزام أراضى فرشوط .

كيف ادار على بك الصعيد بعد وفاة همام

استولى على بك وقائده محمد أبو الذهب على معظم الالتزامات الهامة والتي كانت للشيخ همام من قبل وأصبح اسمهما هو الذي يرد أمام هذه النواحي وسجلت دفاتر الالتزام اسمهما بدلا من اسم همام .

ففي دفتر رقم ٥٣٩ لسنة ١١٨٤ هـ عين ٨ .

ورد أن على بك أخذ أراضى طهطا ، شندويل ، شرق بويط ، منشأة أخميم ، وشرق أخميم ، برديس ، قنا شركة مع محمد بك أبي الذهب .

(١) الجبوتي : عجائب الآثار ج ١ ص ٣٣٦ .

وترك على بك لأبناء همام ، درويش وشاهين وعبد الكريم (١) أراضى محدودة فى محافظة قنا .

ووزع باقى أراضى همام بين الأمراء المماليك مثل :

اسماعيل بك أمير الحج ، ومصطفى بك حاكم جرجا وأيوب بك ، وقيطاس بك ، ومراد بك ، وإبراهيم بك ، ومجموعة أخرى من البكوات المماليك .

ومجموعة من أقارب همام مثل :

• الشيخ اسماعيل عبد الله عيسى

• إبراهيم عيسى أحمد همام (٢)

• صالحة زوجة همام ، وابنته شريفة (٣)

وقد تولى درويش بن همام مشيخة الهوارة بعد وفاة والده وبعد أن توسل له محمد بك أبو الذهب الذى على بك الذى وافق على عودته الى فرشوط وأعطاه التزامها .

ولكن درويش لم يحسن ادارتها وجعل كل همه مضايقة من كانوا يعملون فى خدمة أبيه بمصادرة أموالهم وانتهى أمره بالفشل وعاد ثانية الى القاهرة لاجئا الى محمد بك أبو الذهب الذى أحسن استقباله وكرمه وأنزله بمنزل مجاور لمنزله أيضا .

ويبدو أن محمد بك كان يحسن معاملة الشيخ درويش لاكتساب ود الهوارة استعدادا للجولة القادمة ضد سيده وولى نعمته على بك وهو ما وقع فعلا فعندما تمرد محمد بك على سيده خرج الى الصعيد ولحق به درويش بن همام وسائده الهوارة ضده على بك .

وبتوزيع أراضى الصعيد بين ملتزمين من المماليك تعرض أبناءه لأنواع عديدة من المظالم التى كان يتعرض لها الفلاحون من باقى أنحاء مصر من نهب الأغراب وظلم الملتزمين وأتقال كامل الفلاحين بالضرائب الجائرة .

(١) دفتر رقم ٥٣٥ لسنة ١١٨٣ عني ٨ مخزن تركى .

(٢) دفاتر التزام الولايات القبلية بالقلمة ، دفتر رقم ٥٣٩ لسنة ١١٨٤م عني ٨ -

مخزن تركى .

(٣) دفاتر التزام الولايات القبلية بالقلمة - دفتر رقم ٥٧٣ لسنة ١١٨٥ لسنة

١١٨٥م / ١٧٧١م عني ٩ مخزن تركى .

أثر القضاء على سلطة همام في حياة الصعيد

بعد القضاء على سيطرة همام على الصعيد واجهت أسرته مناعب كثيرة فقد فشل ابنه درويش كما قدمنا في تولي رئاسة الهوارة لضعف شخصيته وسوء سياسته .

وأما ابنه الآخران شاهين وعبد الكريم فقد استمرا يشتغلان بالزراعة حتى قتل شاهين على يد مراد بك سنة ١٢١٤هـ (١٧٩٩م)
لأمر نقمها منه أيام الفرنسيين ومات عبد الكريم قريبا من هذا التاريخ .

ولم تولى إبراهيم بن محمد على حكم الصعيد سام هذه الأسرة أقسى أنواع العذاب اذ جردها من كل ما بقى لها من التزامات وأوقاف سنة ١٢٢٣هـ / ١٨١٣م مما أدى الى تدهور حالتها ، ولجوء أفرادها وعلى رأسهم زوجة عبد الكريم بن همام الى القاهرة لرفع شكواهم الى محمد على عليه يرفق بهم ولكن محمد على تجاهلهم ولم يستمع لشكواهم فعادوا الى بلادهم فى أسوأ حال (١) .

وكان ذلك لحرض محمد على على القضاء على العصبية العربية وعلى كل ما كان لها من نفوذ .

وقد تابع الهوارة بعد همام التدخل فيما كان يجرى من أحداث سياسية بين أمراء المماليك ولكنهم فقدوا الأهمية التى كانت لهم فى عهد همام واستهان بهم أمراء المماليك وأصبح رؤسائهم من المهانة بحيث يروحون ويحيثون فى ركب الأمراء المماليك المتنازعين مع زملائهم بالقاهرة واللاجنين الى الصعيد .

وفقد الهوارة ما كان لهم من مكانة يحترمها الجميع وغدا شيوخهم ينتقلون بين أطراف النزاع تارة ينضمون الى مراد بك وتارة ينضمون الى خصمه اسماعيل بك مما أدى الى استهانة مراد بك بشيخهم اسماعيل أبو على فأمر بقتله ومصادرة أمواله سنة ١١٩١ هـ / ١٧٧٧ م (٢) .

وبنهاية همام أصبح الصعيد ملجأ للأمراء المماليك الذين نفوا واحدا تلو الآخر وظل هدفهم دائما أن يعودوا ليحكموا القاهرة .

(١) الجبرتي : عجائب الآثار ج ٤ ص ١٨٣ .

(٢) الجبرتي : عجائب الآثار ج ٢ ص ١٥ .

فاما طرد علي بك محمد أبا الذهب لجأ الى الصعيد (١) وجمع حوله
الهاجرة والأمراء المنفيين واستغلهم في تدعيم موقفه * وزحفه على القاهرة
للاقامة سيده علي بك *

وبعد وفاة محمد بك وقيام الصراع بين أفراد بيته الذين انتسبوا
الى فريقين :

١ - فريق يتزعمه حسن بك واسماعيل بك *

٢ - فريق يتزعمه مراد بك وابراهيم بك *

وسقط الفريق الأخير في البداية في الصراع فانسحب رئيساه الى
الصعيد سنة ١١٩١هـ / ١٧٧٥م واستمرا يعودان الى القاهرة ثم
يخرجان الى الصعيد حتى انتهى الأمر باستقرارهما بالصعيد من ١١٩٩هـ /
١٧٨٤ م : ١٢٠٢ هـ / ١٧٨٧ م (٢) وقد أذاق أهل الصعيد في هذه
المدة سوء المناب والقلوبهم بضرائب فادحة فقد استولى مراد بك وزميله
ابراهيم على أرض الصعيد وأصبحا يأخذان الأموال الأميرية بدلا من الحكومة
ومنعا وصول انغالل الى القاهرة واشتغلا في نهب أموال الفلاحين
وأبقارهم وأغناهم *

حتى أنه عندما عادا الى القاهرة صاحبا معها أشياء كثيرة من هذا
القبيل (٣) *

وقد أثرت سيطرة هؤلاء الأمرء على الصعيد أسوأ الأثر * فقد
فرضت أثناء هذه السيطرة على أهل الصعيد ضرائب لم يكونوا يخضعون
لها قبل مثل رسوم رفع المظالم وهي ضريبة أنشأها محمد بك أبو الذهب
وصرح للحكام بتقاضيتها بدلا عن زياداتهم المستمرة لضرائب الكشوفية *

وتعرض أهالى الصعيد أيضا لدفع رسم جديد عرف باسم
فرده التحرير *

(١) الحشاش : مخطوط تاريخ حوادث وقعت بمصر ص ٧٧ *

(٢) الجبرتي : عجائب الآثار ج ٢ ص ١٩ *

(٣) الجبرتي : عجائب الآثار ج ٢ ص ٥٩ *

وهو رسم فرضه مراد بك وإبراهيم بك وهذه الرسوم كان أبناء
الصعيد معاقين منها أيام همام (١) .

وأثناء منازعات هؤلاء الأمراء تعرض الصعيديون لهجمات الأعراب
القاسية ينهبون المسافرين ويوقعون بهم أقسى أنواع الإهانة .

وبهذا لم يتسن للصعيد في ظل حكم البكوات المنفيين بعد وفاة
الشيخ همام أن ينال على أيديهم أدنى تقدم وانتهت أيام الصعيد الزاهرة
التي نعم فيها في عهد همام بالأمن والاستقرار .

خاتمة

اختلفت نظرة المؤرخين والكتاب الى الشيخ همام وتاريخه وأعماله كل الاختلاف فالجبرتي (١) صور الشيخ همام كزعيم لقبيلة الهوارة بالصعيد واهتم بما كان عليه همام من كرم شمل القريب والبعيد ، وما كان له من ثراء طائل وان كان لم يعن بالبحث عن مصادر هذا الثراء ، وسجل الجبرتي ما كان من صراع بين علي بك والشيخ همام ولكنه لم يقدم لنا تحليلا وافيا لأسباب هذا الصراع .

ومن الكتاب من نسب الى الشيخ همام أعمالا رائدة فهو في نظرهم منشيء الجمهورية في الصعيد ، وهو الذي وزع الأراضي على الفلاحين ، وأقام حياة نيابية (٢) ومنهم من تحامل على همام ونفى انه أقام حكومة أو إمارة في الصعيد (٣) وبينما أفاض بعض الرحالة الأجانب في وصف ما كان عليه همام من تواضع وما كان يربطه من صلات طيبة بالدولة العثمانية وما كان له من حكومة واسعة في الصعيد (٤) فان البعض الآخر حاول التقليل من شأن همام فوصفه بأنه أمير ضئيل الشأن (٥) .

ان همام كان شخصية مغيرة للشخصيات العربية التي ظهرت في مصر العثمانية قبل أيامه وبعدها ، كان شخصية احاطتها حالات من التمجيد ، وذاع صيتها في أنحاء الصعيد خاصة ، ومصر كلها عامة ،

(١) الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ٣٤٣ .

(٢) د - لويس عوض : المؤثرات الأجنبية : ج ١ ص ٨ من المقدمة .

(٣) سليمان عبد الرحمن : لقب أمير الصعيد : البلاغ ١٩٣٤/١/١٥ .

(٤) Bruce : Travels to discover the source of the Nile Vol. 2, 23.

(٥) فولني : ثلاثة أعوام في مصر وبر الشام . ترجمة ادوارد البستاني ج ١

ص ٨٤ .

ولم تكن شهرة همام وليدة أساليب البيان وسحر البلاغة ، كما لم تكن الهالات التي أحاطت بسيرته وليدة الخيال وإنما هي شهرة ومجد استمدا وجودهما من الواقع الذي لا يخطئ .

لقد أحوال الشيخ همام الصعيد من منبت للفتن ومسرحة الصراع بين الأمراء المساليك المهزومين أمام زملائهم في القساورة ونصارديهم المنتصرين ، الى منطقة استقرار ورخاء وأمن وازدهار وبهذا وضع أساس مجده وخلقه ذكراه .

وقد ظهر همام في وقت كان الصعيد فيه في أمس الحاجة الى وجود رجل مثله ، يقر الأمن ، ويحمي الفلاحين من ظلم الادارة ومتاعب الأعراب من تهيب وسلب وتهديد .

نشر همام الصداقة بين أبناء الصعيد ولم يكن يفرق في المعاملة بين أبناء قبيلته من الهوارة وبين الفلاحين أو العرب الآخرين فالجميع أمامه سواء .

فإذا ما عجز أحد العاملين في أرضه من الهوارة عن تقديم الحراج المطلوب منه في موعده سامحه همام وأجل له السداد للعام القادم كما حدث . بالنسبة لمحمد محمد حمد علام الهواري (١) الذي تأخر عليه للشيخ همام مبلغ ٢٠ شريف ذهب من خراج عام ١١٧١ هـ / ١٧٥٧ م .

وكذلك كان الأمر بالنسبة للشيخ محمد عيسى علم الدين القليعي (من العرب الآخرين) الذي تأخر عليه لهمام مقدار ١٣٣ (تليسا) من الغلال من خراج عام ١١٤٩ هـ / ١٧٣٦ م (٢) .

وأحمد نوفل من فلاحى قنا الذى تأخر عنه لهمام مبلغ ١٨٧ ريبالا من خراج سنة ١١٦٥ هـ / ١٧٥١ م (٢) .

لقد أجل همام السداد بالنسبة للجميع سواء أكانوا هوارة أو عربا آخرين أو فلاحين فالجميع عنده سواء .

وقد اهتم الشيخ همام بتنظيم الزراعة فى الصعيد وأدار الحياة فيه بنشاط جم ، وكفاية فائقة ، وكان هدف همام أن يخلق من الفوضى نظاما

(١) هذا التأجيل وارد باقرار شخصى من علام الهواري للشيخ همام وهو من الحجج التى سلمها لى أخضاد همام .

(٢) هذا التأجيل وارد بحجة شرعية صادرة من محكمة فرشوط .

(٣) هذا التأجيل وارد أيضا بحجة شرعية صادرة من محكمة فرشوط .

يمكنه من نشر الرخاء بين فلاحى الصعيد . لذا اهتم برعاية الأمن فيه ،
كما عمل على خلق شخصية بارزة له تحميه من ظلم المالكين واستغلالهم .

وقد ساعدت الظروف القاسية وقتها الشيخ همام على مد نفوذه
وسيطرته على الصعيد فقد كانت السلطة العنانية فى مصر قد وصلت
الى اقصى مراحل تدهورها ، والأمراء المالكين قد انغمسوا فى المنازعات
بينهم . وحاكم ولاية جرجا لم يمد يدهم بالبقاء فيها ، بل أصبح يقضى
معظم وقته بالقاهرة .

لذا مد همام نفوذه وسيطرته على الصعيد ، وشمل كل نفوذ لحاكم
ولاية جرجا وأصبح هو المسيطر على مقاليد الأمور فيه من المنيا الى أسوان .

وقد آتقن همام دوره ، وأخذ فى تنفيذه مضمحيا بكل ما يملك من
جهد ومال ورجال ولم يكثر بما كان يبذله من تضحيات ، وما يلاقيه
من جهد وعناء .

وقد وصل همام الى درجة كبيرة من القوة والسيطرة على الصعيد ،
مما اضطر كبار الأمراء المالكين للتنازل له عن أراضيهم التى كانت لهم
فيه وأصبح هو المسيطر على معظم الأراضى هناك بالالتزام من المنيا الى
أسوان وقد مكنته سلطته كملتزم لهذه الأراضى الواسعة من بسط نفوذه
وسيطرته على الصعيد فى وقت غدا فيه الملتزم هو كل شئ فى منطقته ،
فهو يمثل الحكومة ، ومدير الاقليم ماليا وإداريا .

وبلغ همام من القوة والنفوذ حدا جعله يؤثر فى تصعيد حدة
الصراع بين كبار الأمراء المالكين بالقاهرة وهو باقى فى مكانه فى الصعيد ،
لم يذهب الى القاهرة ولم ينتقل من معقله ومهد نفوذه كما حدث أثناء
الصراع بين أكبر أميرين فى مصر وهما الأمير عثمان ذو الفقار ، وإبراهيم
جاويش (١) .

وقد اتصف همام بحسن تقديره للمواقف فعندما أدرك أن المستقبل
لعل بك ، وأن سيادة مصر ستكون بيده قرر أنه لا فائدة من الوقوف
فى وجهه فساعده وتحالف معه عن طريق صديقه صالح بك القاسم
ودعم هذا التحالف بامدادهما بكل ما يحتاجان اليه من أموال ورجال
لإزاحة منافسى على بك من القاهرة .

(١) الجبرتي : عجائب الآثار : ج ١ ص ١٧٨ .

كان همام رجلا عظيما وصاحب شخصية جديرة بالبحث والدراسة .
ولو لم تتحالف عليه قوى أكبر من طاقته لكان له فى تاريخ الصعيد شأن
أعظم وأكبر مما كان له .

وقد كانت حركة همام آخر الحركات القوية التى قامت بها العصبيات
القبلية فى مصر . ففقد قضي محمد على كل قوة لهذه العصبيات بتجريدتها
من أراضيها وأسباب قوتها (١) فلم يشهده الصعيد بعده همام أى حركة
لهذه العصبيات .

وقد ازدهر الصعيد فى عهد الشيخ همام ونعم أهله بالأمن
والرخاء الأمر الذى جعلهم ييكون هماما بعد وفاته أمر بكاء ، ويترنمون
بأخباره ويتمنون عودته فى مواويلهم الشعبية التى تغنى بها قائلين :
قم يا همام واسعى وروح سنار وازرع وقوت عيسالك
فرشوط قادت عليك نار والبي عندى وجالك (٢) .

وفى موضع آخر تغنى أهل الصعيد بعظمة همام قائلين :

هيباك يا باب هيباك بس ضبتك غيروها
تسعين أوضه وشباك فى تلايك كسروها (٣)
وما زال أهل الصعيد يحفظون أجمل الذكرى للشيخ همام ويرددون
أخباره ومآثره .

(١) الميرغنى : عجائب الآثار : ج ٤ ص ١٨٥ .

(٢) فى هذا الموال يتمنى القائلون لو أن الشيخ همام كان قد تلهق امام حملة محمد
بك أبى الذهب وذهب الى سنار . وأقام مزارع جديدة لاتباعه ثم يذكرون ما كان من
حسرة فرشوط - مسقط رأسه ومهد نفوذه - على همام عندما خرج منها وغادرها لأول مرة
على اثر مجيئه (البى) أى محمد بك أبى الذهب .

(٣) هذا الموال يشير الى قصر همام بفرشوط وقد ذكر لى أخفاده أن هذا القصر كان
قصرا كبيرا به ٩٠ حجرة وهذا الموال يشير الى هذا القصر الذى لحق التدمير والتخريب .
بمحاربه التسعين وما كان بها من نوافذ يستبج حملة محمد بك أبى الذهب .

الملاحق

ملحق رقم (١)
نماذج لحظ القومة

أسماء اشخاص : محمود / محمد / أحمد / أم
مصطفى / محمد عبد العزيز / والقرية سليمان / سلمى
شاهين / ساهر ، عبدالله / والبرصام / سام

أسماء قري ، ادفا / ار شندويل / سدو سجوا / هر
قوية / ور . ور . ور . ور ريفة / ور

اولاد جامع / اولد جامع
مصطلحات إدارية : بك / بك . مزاد / سر
ورعدة / ور / ور . ثغر / ور

أرقام حسابية : ٢ / ١٥ / ٧٠ / ١٨ / ١٦
٢٧ / ٢٠ / ٢٠ / ٢٠ / ٢٠ / ٢٠ / ٢٠
٨٦ / ٢٠ / ٢٤٠ / ٢٤٠ / ٢٤٠ / ٢٤٠ / ٢٤٠
٢٤٠ / ٢٤٠ / ٢٤٠ / ٢٤٠ / ٢٤٠ / ٢٤٠

أسماء شهور : ربيع أول / ذوالقعدة / معلوم وصفو
وربيع أول وربيع ثاني / ور / ور الحجة / ور

أجزاء الغدان : ثلث / ربع / نصف / ربع / ربع / ربع / ربع / ربع
قيراطان / ور

ملحق رقم (٢)

حجة رقم (١)

أول وجب سنة ١١٨٢ هـ

الأمر حسبما حرر فيه

ختم وب وفق أمور أحمد

تمقة الفقير اليه جل شأنه الحاج أحمد القاضي بمصر المحروسة
بالباب العالي أعلاه الله تعالى وشرفه بمصر المحروسة لدى سيدنا
ومولانا شيخ مشايخ الاسلام ملك العلماء الاعلام قاموس البلاغة ونبراس
الافهام الناظر فى الأحكام الشرعية قاضى القضاة يومئذ بمصر المحمية
الموقع خطة الكريم أعلاه دام علاه أمين أشهد على نفسه قدره الأمراء
الكرام كبير الكبر الفخام صاحب القنود والمجد والاحتشام المقر الكريم
العالي والكوكب المنير المتلألئ وصاحب العلم المنيف الخاقاني مولانا
الأمير على بك أمير الحجاج المصرى سابقا وشيخ البلد حالا دام عزه آمين
بخط يده كل من قدره الأكابر وعمده الأعيان أولى الشأن الفخام
الجناب العالي حازن رتب المفاخر والمعالى مولانا الأمير عثمان أغا وكيل
دار السعادة العظمى بمصر حالا وقدوة الأعيان العظام عين أولى الشأن
الفخام الجناب العالي الأمير سليمان باش جاويز طائفة مستحفظان
قلعة مصر المحروسة سابقا دام مجدهم شهوده الأشهاد الشرعى وهو
بكامل الأوصاف المعتبره شرعا اذ فرغ وترك وأسقط حقه لفخر ذوى
المحامد العظام المجلس العالي شيخ العرب همام بن المرحوم يوسف أحمد
همام شيخ عربان هواره بالوجه القبلى المشمول بوكالة مولانا الأمير
عثمان أغا (١) وكيل دار السعادة المومى اليه اعلاه الثابت تاركيله عنه
فى ذلك لدى مولانا شيخ الاسلام المومى اليه اعلاه بشهادة كل من تابع
الوكيل المومى اليه اعلاه هو قدوة الأمائل وعمدة الأعيان الجناب العالي
الأمير حسن أغا من أعيان امراء الاجاريشية وفخ الكتاب المعتبرين عمدة
الحساب والمحجرين نتيجة الأصلا المفخمين القاضى سراج الدين عمر بن
المرحوم الشيخ أحمد الكاين هو بمنزل مولانا الأمير عثمان أغا المومى
اليه اعلاه ثبوتنا شرعيا من التصرف والتحدث والالتزام والتقسيم
بجميع الحصة التى قدرها اثنان وعشرون قيراطا من أصل أربعة وعشرين

(١) القراءة كما جاءت فى الأصل تماما ، ومن الملاحظ أن الاسلوب الذى كانت تكتب
به الحجج الشرعية جرى انقراض الهزات ٠٠

قيراطا شايما ذلك فى كامل أراضى ناحية بنى نصر وغيره تابع ولاية المنفلوطية المعلوم ذلك عندها شرعا والجارى كامل أراضى الناحية المسقط منها الاثنان وعشرون قيراطا المذكورة فى تصرف وتحدث والتزام وتقسيط مولانا الأمير على بك المسقط المشار اليه اعلاه يشهد له بذلك التقسيم الديوانى المكمل بالختم والعلامة والصح على العادة فى ذلك المركب على اسمه المتضمن لكامل ناحية بنى نصر المسقط منها الاثنان وعشرون قيراطا المذكورة المؤرخ فى ثالث شهر ذى القعدة الحرام سنة أحد وثمانين ومائة وألف ولمولانا الأمير على بك المسقط المومى اليه اعلاه ولاية فراغ ذلك وسقاطه عن نفسه بدلالة ما شرح اعلاه وبالتصاق على ذلك فراغا ونزولا واسقاطا شرعيا ثابتا ذلك خاليا عن رهن ووعد ووفاء من غرة شهر قوت القبطى افتتاح سنة اثنين وثمانين ومائة وألف الخراجية انعقد بينهما فى ذلك يوم تاريخه بأيجاب وقبول شرعيين عن طيب وانسراح صدر لما علم السقط المومى اليه اعلاه لنفسه فى ذلك من الحظ والمصلحة باعترافه بذلك لشهوده ومن سعى اعلاه فى يوم تاريخه الاعتراف الشرعى وصدقه على ذلك مولانا الأمير عثمان اغا الوكيل المومى اليه اعلاه وقبل ذلك منه لموكله شيخ العرب الشيخ همام يوسف المسقط المومى اليه اعلاه تصديقا وقبولا شرعيين وذلك فى نظير ما قبضه مولانا الأمير على المسقط المشار اليه اعلاه لنفسه من مولانا الأمير عثمان اغا الوكيل المشار اليه اعلاه من مال موكله شيخ العرب الشيخ همام يوسف المومى اليه اعلاه عن حلوان ذلك وقدره من الاكياس المصرية الديوانية اثنى عشرة كل كيس منهم خمسة وعشرون ألف نصف فضة ديوانى ما يتاكيس اثنتان وخمسون كيسا مصرية ديوانية قبضا شرعيا بتمام ذلك وكما له باعترافه بذلك لشهوده ومن سعى اعلاه فى يوم تاريخه الاعتراف الشرعى ولم يتاخر لمولانا المسقط المشار اليه اعلاه قبل الوكيل المومى اليه اعلاه ولا قبل شيخ العرب همام المسقط له المرقوم من كامل ذلك ولا من بعضه مطالبة ولا شى قل ولا لال وبمقتضى ذلك وبما شرح اعلاه صار الشيخ همام يوسف الموكل المسقط له المرقوم مستحق التصرف والتحدث والتقسيم والالتزام بجميع الحصة التى قدرها اثنان وعشرون قيراطا المسقط المرقومة من ناحية بنى نصر وغيره المذكورة من ابتداء السنة المذكورة بطريق البت الشرعى الخالى عن الرهن والوعد والوفاء فى نظير مبلغ الحلوان المقبوض منه اعلاه دون مولانا الأمير على بك المسقط المومى اليه ودون كل احد الاستحقاق والتصرف الشرعى بالطريق الشرعى المشروح اعلاه وتصادقا على ذلك وثبت الأشهداء بذلك لدى مولانا شيخ الاسلام

الموئى اليه بشهادة شهوده ثبوتاً شرعياً تاماً مرعياً وشهد وحرر فى غرة
شهر رجب الأصم الأحب من شهور سنة اثنين وثمانين ومائة وألف
خارجية .

شهود

امضاء امضاء امضاء امضاء امضاء امضاء

ملحق رقم (٣)

امر رقم (١) من الشيخ همام لحسن الأمير

المحترم حسن الأمير

بعد السلام وعليه لم يخفاه ان حضر لنا على عبد الرحيم وعرفنا
أن له معاك حصة في بيتين وانت له معاه حصة في بيت طالب وتأخذ
مخصصك الذي عنده والمذكور طالب يأخذ مخصصه الذي في بيوتكم
وانك تندفع معاه للشرع والذي يقتضيه (١) الشرعي
تمشوا عليه .

الفقيه همام يوسف



امر رقم (٢)

القدر الأجل المحترم الشيخ أبو بكر أحمد

بعد السلام عليه وكثرة الأشواق اليه لم يخفاه قضيت الثلاثة
قراريط ونصف الذين اشتراهم غزالي الأمير ودفع لنا ثمنهم بالكامل فانه
عرفنا ان أحمد غريب وأبو فتحي حاجزين منه قطع من ضمن الثلاثة
قراريط ونصف وانك تحرضهم عليه ولم تعرفهم لم لك دعوة تمسك
لأنه دفع ثمنهم وبقوا اليه والغفارة (٢) من أصلها لنا وشركة مع
الأمير اسماعيل .

الفقيه همام يوسف

(١) يبين بالأصل ويرجع انه كانت مكتوبة به كلمة الحكم .
(٢) الغفارة : يرجع أنها الأرض التي كانت تقع بها الثلاثة قراريط ونصف المذكورة
بالأمر .

أمر رقم (٣)

الأجل المحترم محمد علي اسماعيل

بعد السلام وعليه لم يخفاه ان الأمير اسماعيل محمد عرفنا ان قصده يبنى قطعة بجوار شمسوة لأجل ما يسكن فيها واحد خفير والمنعمانية عمالين يتعرضوا على الخرايب واذا تعرضوا تمنعهم وصابق كان كتبوا ورقة على الأمير اسماعيل ان لم يبنى داخل بوايته وان ده كلام فارغ وان كان الأمر قبل حرم الجامع (١) بعيد عن بنيانته .

الفقيه همام يوسف

وعلى هامش الأمر كتب

وأما الجامع عارفينه ده بناء المرحوم الحاج علي واهو الآن اتهد ولم جاعلين لهم همة في بنيانه والسلام .



أمر رقم (٤)

المحترم عبد الرحمن اسماعيل الأمير

بعد السلام وعليه لم يخفاه ان حضر لنا الحاج عمر وعرض علينا حجة الخريبات الأمير حسن بخمسين تليس غلال الثلث قمح والثلاثي قول من متحصل رزقهم وانه لسنة ١١٦٤ وانك تدفع لهم القدر المذكور في كل سنة وتريحهم لأن ده استحقاق والدهم والسلام (٢) .

الفقيه همام يوسف

(١) هذا البياض ناشئ من تمزق الأمر مما جعل من المتعذر قراءة ما به كلمة الجامع ويرجح أنه كان (الذي هو) .

(٢) جميع هذه الأمور مبهورة من الخلف بختم الشيخ همام بن يوسف بعبارة الفقيه همام يوسف أحمد محمد همام .

ملحق رقم (٤)

فئات المتزمين في ولاية جرجا قبل ظهور الشيخ همام بن يوسف

من دفاتر القلمة : دفتر رقم ٤٢ السنة ١١٢٠ هـ / سنة ١٧٠٨ م
عين ٣ مخزن تركي

مسلسل	المقاطعة	المتزمون لها وتصيب كل منهم	نوعهم
١ -	أسيوط ، وريفة ودرنكة ، شطب	ابراهيم عبد الله نسام ط١ محمد عبد الله مستحفظان ط١ علي عبد الله تابع محمد جلبي ط١ عمر تابع محمد جاويش ط١ أحمد جلبي ط٣ يوسف عبد الله جاوشان ط٦ علي عزيزان ط٣ أحمد تابع عثمان جلبي ط١ محمد عبد الله حسن تابع ط١ قيطاس بك ط١	مماليك
		شيخ أحمد بن محمد همام ط٦	هواره
٢ -	أبو تيج وصدفا ومشايه	شيخ العرب ريان حماد ط٢ في أبي تيج ٨ ط في صدفا ومشايه شيخ العرب حمد حماد ط٤ شيخ العرب علي حماد ط٥ اسماعيل عبد الله تابع شيخ حمد ط١ علي عبد الله تابع محمد مستحفظان ط٢ سليمان عبد الله تابع أحمد مستحفظان ط٢	عرب اتباء مماليك

مسلسل	المقاطعة	الملتزمون لها ونصيب كل منهم	نوعهم
٣ -	أبو مقروفة	<p>شيخ العرب ريان عايد ط٨</p> <p>أحمد تام مستحفظان ط٤</p> <p>علي سليمان عبد الله تابع ط٨</p> <p>أحمد جليبي ط٤</p> <p>يوسف أحمد جليبي ط٤</p>	ماليك
٤ -	نخيلة	<p>ابراهيم عبد الله تابع حمد حماد ط٣</p> <p>شيخ مصطفى أبو شنب ط٤</p> <p>شيخ حسن نصر ط٢</p> <p>شيخ محمد علي ط٢</p> <p>شيخ أحمد عبد الله ط٤</p> <p>شيخ نصر حماد ط٣</p> <p>شيخ علي أحمد ط٣</p> <p>أحمد يوسف تابع علي كتحدا ط٣</p>	عرب تابع ماليك
٥ -	فاو الكبرى	<p>شيخ حماد الخضري ط٣</p> <p>شيخ عثمان الخضري ط٣</p> <p>محمد بك مير لواء ط٤</p> <p>اسماعيل عبد الله مستحفظان ط١٢</p> <p>عثمان عبد الله مستحفظان ط٢</p>	ماليك
٦ -	طهطا وتوابها	<p>حسين عبد الله مستحفظان ط٤</p> <p>أمير أحمد كمال اخميمي ط٨</p> <p>عمر تابع حسن مستحفظان ط١٢</p>	ماليك عرب ماليك
٧ -	شندويل وتوابها	<p>شيخ عمر محمد ط٣</p> <p>أمين حسن اخميمي ط٦</p> <p>عنبر تابع شيخ أحمد يوسف ط٤ ¼</p> <p>علي تابع شيخ أحمد يوسف ط٤ ¼</p> <p>علي عبد الله مستحفظان ط٦</p>	عرب هواره ماليك

مسلسل	المقاطعة	الملتزمون لها ونصيب كل منهم	نوعهم
٨ -	شرق أخميم وتوابعها	محمد تابع شيخ حسن أمير حسن أخميمي	عرب ١٢ ط ١٢ ط
٩ -	منشأة أخميم	أمير حسن أخميمي سليمان تابع شيخ حسين عمر تابع شيخ حسين أحمد عبد الله كوكللويان عثمان عبد الله محمد بك مير اللواء حاكم ولاية جرجا	ممالك ٤ ط ٤ ط ٤ ط ٤ ط ٢ ط ٦ ط
١٠ -	طما وتوابعها	علي عبد الله مستحفظان حسن عبد الله مستحفظان علي عبد الله تابع حسن جاويش شيخ عمران ابراهيم شيخ علي محمد شيخ صالح قنديل شيخ حمد مكي	ممالك عرب ٣ ط ٣ ط ٦ ط ٢ ١/٤ ط ٢ ط ٢ ١/٤ ط ٥ ط
١١ -	خولجان	حاج أحمد محمد همام حسين أبو بكر رامح يوسف همام يوسف موسى يوسف أحمد يوسف	هواره ١٢ ط ٣ ط ٣ ط ٢ ١/٤ ط ٢ ١/٤ ط ١ ط

مسلسل	المقاطعة	الملتزمون لها ونصيب كل منهم	نوعهم
١٢-	بخاناس وقصير بخاناس	شيخ العرب الحاج أحمد محمد همام ط١٢ جوهري عبد الله تابع حاج أحمد ط٤ سليمان عنبر تابع حاج أحمد ط٤ سيد عبد الله تابع حاج أحمد ط٤	هواره وأتباعهم
١٣-	عرب قصاص	أحمد إبراهيم ط٦ إبراهيم تابع أحمد محمد همام ط٦ حسن أحمد ط٦ موسى يوسف ط٦	هواره وأتباعهم
١٤-	الأقصر	مصطفى تابع أحمد يوسف ط٦ إسماعيل تابع أحمد يوسف ط٦ جوهري تابع أحمد يوسف ط٦ أحمد تابع عثمان يوسف ط٦	هواره وأتباعهم
١٥-	بياضية	حسن تابع يوسف أحمد ط١٢ مصطفى تابع يوسف أحمد ط١٢	أتباع هواره
١٦-	برديس والبلينا	عبد الله تابع أحمد يوسف ط٤ إبراهيم عبد الله مستحفظان ط٤ إسماعيل عبد الله مستحفظان ط٤ سليمان عبد الله تابع أحمد ط٤ مستحفظان ط٤ سليمان عبد الله تابع حسن كتحدا ط٤ سليمان عبد الله تابع مراد كتحدا ط٤	هواره أتباع الماليك

مستند	المقاطعة	الملتزمون لها ونصيب كل منهم	نوعهم
١٧-	فرشوط وتوابعها	شيخ يوسف أحمد همام ط٤ شيخ محمد يوسف ط٤ شيخ محمد أحمد ط٤ شيخ أحمد عبد الله ط٤ شيخ عبد الله إبراهيم ط٤ شيخ حسين أبو بكر ط٤	هواره
١٨-	هو وبهجورة والكوم الأحمر وتوابعها	شيخ يوسف أحمد ط٤ شيخ علي عبد الله ط٤ شيخ حسين أبو بكر ط٤ شيخ محمد يوسف ط٣ شيخ عيسى أحمد ط٢ شيخ عبد الله إبراهيم ط٢ شيخ أحمد محمد همام ط٥	هواره
١٩-	حراجية	مصطفى تابع شيخ أحمد يوسف ط٦ حاج حمد محمد همام ط١٢ جوهر تابع شيخ أحمد يوسف ط٦	هواره واتباعهم
٢٠-	قنا	عثمان تابع شيخ أحمد يوسف ط٦ حسن تابع شيخ عثمان يوسف ط٦ حاج أحمد محمد همام ط١٢	هواره
٢١-	قوص	حاج أحمد محمد همام ط١٢ شيخ رامي يوسف ط٣ شيخ حسين أبو بكر ط٣ عثمان تابع شيخ أحمد يوسف ط٦	هواره

ملحق رقم (٥)

صورة لزحف الشيخ همام على أراضي الصعيد من سنة ١١٣٤ هـ
الى سنة ١١٨٣ هـ من دفاتر الالتزام بالقلة :

السنة	الأراضي التي أخذها همام بالالتزام
١١٣٤ هـ / ١٧٢١ م	فرشوط وعريان عرور وغضانة وأولاد سحيم وكوم شيخية بحق ٣ ط
	هو وبهجورة والكوم الأحمر وتوابها بحق ٣ ط
	قنا وبندر قصير ٦ ط ، بخانس ١٢ ط
١١٣٥ هـ / ١٧٢٢ م	يضاف الى ما سبق :
	سنابسة ٤ ط ، أبنوب ٨ ط ، كوم بدار ٩ ط
	+
١١٣٩ هـ / ١٧٢٦ م	دشنا ٦ ط ، أرض المنقذية ١٢ ط ، أرض دنفيق بندوره ١٢ ط
	+
١١٤٢ هـ / ١٧٢٩ م	بلصفورة ٥ ط ، نفس أخميم ٢ ط
	+
١١٤٥ هـ / ١٧٣٢ م	طهطا ١٢ ط ، اسنا وتوابها ١٢ ط . جرف أبو عميرة ٨ ط ، شرق المرج البحري ١٢ ط ، خلجان وسمهود ٤ ط الأقصر ١٢ ط
	+
١١٤٦ هـ / ١٧٣٣ م	ادفا وبني مزار ١٢ ط ، قرأى وريفة بأسبوط ١٢ ط
	العنبرية ٨ ط ، بلصفورة ٦ ط

السنة	الأراضي التي أخذها همام بالالتزام
١١٤٩ هـ / ١٧٣٦ م	+ أولا شلول ٦ ط ، طوخ النقادة ١٢ ط برديس ١٢ ط
١١٥٠ هـ / ١٧٣٧ م	+ شرق المرج القبلي ١٢ ط ، الخيام أولاد طوخ ١٢ ط
	ادفا وبنى مزار ١٢ ط ، القبيبة والبنارس ٨ ط قنا وتوابعا ١٢ ، فرشوط ٢١ ط ، جلايجص ١٢ ط
	قراى وريفه ٨ ط ، خلجان وسمهود ٨ ط
١١٥٦ هـ / ١٧٤٣ م	+ خلجان وسمهود ١٢ ط ، بلصفورة ٦ ط
١١٦٣ هـ / ١٧٤٩ م	+ شرق المرج القبلي ١٢ ط ، شرق المرج البحرى ١٢ ط
	بنى وركان (بالمنيا) ١٢ ط ، بياضية ١٢ ط نقادة ١٢ ط ، الجرازة ١٢ ط ، عرب قصاص ١٢ ط
	قوص ١٦ ط ، بخانس ١٢ ط ، جراجوس ١٨ ط
	الحراجية ٢٤ ط ، خارفة ١٠ ط ، أولاد مامن ٣ ط
	بلاص ٢٢ ط ، أولاد جامع ١٨ ط ، الحمايدية ١٢ ط
	+

السنة	الأراضي التي أخذها همام بالالتزام
١١٦٧ م / ١٧٥٣ م	<p>أبو البدرى ١٢ ط ، رزقة أولاد العربى ١٦ ط ، طين</p> <p>وقف برسباى ١٨ ط ، أولاد جاد الغربى ١٢ ط ، شرق أخميم وتوابعها ٤ ط ، فاوجل ٨ ط ، رزقة أولاد الشيخ ٦ ط ، الشغب ٨ ط ، الباسكية ١٢ ط ، الحرجة ١٢ ط ، ببيج القهرمون ١٢ ط ، الشيخية ١٨ ط</p> <p>+</p>
١١٦٨ م / ١٧٥٤ م	<p>طوخ الجبل ٨ ط ، جرف سقلته ٦ ط ، نخيلة ٤ ط</p> <p>+</p>
١١٦٩ م / ١٧٥٥ م	<p>المسيرات ١٢ ط ، عربان الحراكين ١٢ ط ، اعراب الساحل ١٢ ط ، كفر همام ٨ ط ، المساعيد ١٢ ط أولاد بهيج ١٢ ط ، أولاد حميد ١٢ ط ،</p> <p>أولاد عادى ١٢ ط ، قضائه الكبرى والصغرى ١٨ ط</p> <p>+</p>
١١٧٠ م / ١٧٥٦ م	<p>بردیس ١٢ ط ، هو وبهجورة والكوم الأحمر ١٢ ط عرب قصاص ١٢ ط ، قوص ٨ ط ، قنا وتوابعها ١٢ ط ، بياضية ١٢ ط ، طهطا ١٠ ط ، بنى وركان ١٢ ط ، القبيبة والبنارس ١٤ ط ، طما ١٢ ط جزيرة عطا ١٢ ط ، شغب ١٦ ط ، جرف سقلته ٤ ط</p> <p>أولاد جاد الغربى ٥ ط أولاد جاد الشرقى ١٣ ط أولاد شلول ٦ ط ، ولاد طوق ١٢ ط ، أولاد مامن ٣ ط ، دشنا ١٦ ط ، رزقة المسافة ٦ ط ،</p>

السنة	الأراضي التي أخذها همام بالالتزام
	<p>قبالة الخميس ١٨ ط ، فادجلى ١٦ ط ، رزقة البوصة ١٨ ط رزقة الشيخ على ١٢ ط ، وقف الجيعانية ٨ ط ، جلاجيص ٦ ط ، طين زعيفة ومجنونة ١٥ ط ، نصيرية وصمايدة (باسوان) ١٨ ط ، كفر الحمائدة ١٢ ط ، ادقوا ٢ ط</p> <p>+</p> <p>شرق بويط (باسيوط) ١٢ ط ، طما ١٢ ط طهطا ٢ ط</p> <p>+</p> <p>منشأة أخميم ١٨ ط</p> <p>+</p> <p>نفس أخميم ٢ ط ، شرق أخميم ١ ط</p> <p>+</p> <p>بنى نصر بمنفلوط ٢٢ ط</p> <p>كان لهما التزم جميع أراضي السنوات السابقة .</p>
١١٧٨ هـ / ١٧٦٤ م	
١١٨٠ هـ / ١٧٦٦ م	
١١٨١ هـ / ١٧٦٧ م	
١١٨٢ هـ / ١٧٦٨ م	
١١٨٣ هـ / ١٧٦٩ م	

ملحوظة :

- أوردت السنوات التي حدث فيها تغير في التزامات همام فقط .
- + - تعنى اضافة أرض العمام الجديد الى الأرض التي كانت لهما في الأعوام السابقة .

ملحق رقم (٦)

تقسيم وقسم (١)

ختم بمحمد يرجو الأمان محمد فما يخاف وفي نوالك رغب

مقاطعة

حماية قرية حراجية تابع قوصية ١٢ ط تابع ولاية جرجا در عهدة شيخ العرب همام يوسف بقدر ١٢ قيراط وجه التزام قيد شدة أول توت الواقع في ٥ ذى القعدة سنة ١١٦٠ من اسم اسماعيل عبد الله تابع محمد أحمد مستحفظان خربوطلي ملتزم بوجه ١٢ ط يضم قراى مذكور كريمة وقيد شدة بموجب بيورلدى شريف حضرة وزير ضمير روش محمد راغب باشا محافظ مصر آدم الله اجلاله الواقع في ١١ جمادى الأولى سنة ١١٦١ •

في مسنة

١٥٠ قديم

٠٠٦ جديد

١٥٦

الشرط الأخير من التقسيط هو النصيحة التقليدية التى يوجهها
الباشا عادة للملتزمين وتعريبها •

انت أيها الملتزم المذكور ، انه بموجب هذا التقسيط الديوانى المعطى لك قد أصبحت القرية المذكورة فى التزامك بحق ١٢ ط من مصلحة المذكور فبناء عليه تصرف فيها وعليك ان تؤدى المال الميرى المفروض عليك فى وقته مع التحرز من الظلم والتعدي •

توقيع

الدفتر دان

محمد مصطفى

ملحق رقم (٧)

حجة رقم (٢) ١٠ رجب سنة ١١٥٦ هـ

المنسوب الى فيه = شيخ الفقير عيسى أحمد همام ختم الفقير عيسى
أحمد همام .

الحمد لله رب العالمين مانمقه وشرح فيه صدره الفقير على عثمان عتيق
الدين القرشي المولى بفرشوط حالا عفى الله عنه .

سبب تحرير الحروف وباعت تسطيرها بين يدي الحاكم الشرعي
الراقم خطه ومهره باسم الكريمين منه أعلاه نزل وفرغ وتخل وأسقط حقه
حضرة الجناب العالي الصدر الأجل المحترم شيخ العرب الشيخ عيسى
الواضح اسمه وختمه فيه ابن شيخ العرب الحاج أحمد محمد همام لحضرة
الجناب العالي الصدر الأجل المحترم شيخ العرب الشيخ همام يوسف أحمد
محمد همام الجد المشار اليه المسقط الجارى ذلك فى تحدث وتصرف
والتزام وتقسيط الشيخ عيسى المشار اليه البعض بموجب تقسط ديوانى
وبالعوض آل اليه بالفراغ والإسقاط سنة تاريخه من الأمير إبراهيم جاوليش
مستحققان قازوغلى بموجب حجة من هذه المحكمة مشمولة بعلامة الحاكم
الشرعى المشار اليه وله ولاية إسقاط ذلك وذلك عن جميع الحصّة التى
قدرها النصف اثنى عشر قيراطا شايما من أصل أربعة وعشرين قيراطا عى
ناحيتى سمهود والخلجان تابع ولاية جرجا وذلك فى غمرة توت القبطى
سنة ١١٥٦ وستة وخمسين ومائة وألف وما بعدها من السنين نزولا
وفراغا وإسقاطا تبا وذلك فى نظير مبلغ الحلوان عن ذلك قدره من الألكياس
للديوانية وثلاثة عشر كيسا ونصف كيس عبوة كل كيس منها خمسة
وعشرين ألف نصف فضة ديوانى بحساب الشريف الخندقلى مائة وستة
وأربعين نصف فضة واعترف الشيخ عيسى المسقط المشار اليه بوصول
ذلك اليه من الشيخ همام المسقط له المشار اليه بتمام ذلك وكما له
بالاعتراف وبالتصادق على ذلك بموجب ذلك صارت ناحيتى سمهود
والخلجان بالكامل فى تصرف وتحدث والتزام وتقسيط الشيخ همام
المشار اليه من ابتداء سنة تاريخه وما بعدها من السنين النصف له أصلا
والنصف الآيل اليه بالفراغ من عمه الشيخ عيسى المشار اليه واذنه اليه
الشيخ عيسى فى وضع يده وتماطى الناحيتين مال وغلال فى سنة تاريخه
وما بعدها من السنين وإن يقوم بما عليها لجانب الديوان وإن تقسيطه
ذلك باسمه واسم من يختار على العادة وحرر فى عاشر شهر رجب سنة
١١٥٦ ستة وخمسين ومائة وألف .

شهد بذلك

إبراهيم عثمان

شهد بذلك

محمد على

الحمد لله وحده

بِعَدِّ الدَّعَاةِ الدَّخْفَاءِ لِنَزْعِ قُرُونِنَا
عَلَى عِبَادِ الرَّحِيمِ وَعَرَفْنَا أَنَّ لَهُ مَا كَانَتْ حَقَّهُ
فِي بَيْتِهِمْ وَأَنْتَ لَكَ مَا هُوَ حَقُّهُ فِي بَيْتِ
وَطَلَبْتَ أَخَذَ مَحْضُوكَ الدَّرِغَةَ وَالْمَكْرُورَ
طَالِبَ بَاغِدَ مَحْضَةِ الدَّرِغَةِ فِي بَيْتِكُمْ
وَأَنْتَ تَنْدِيعُ مَا هُوَ لِلنَّعْجِ وَالَّذِي يَقْتَضِيهِ
عَسَى أَنْ يَكُونَ فِيهِمْ عِلْمٌ

الْبَيْتِ
قَاتِلِ
يَسْتَعِينُ

الحمد لله المجدد المحدث المصلح المبرور
 بعدد صفاته وكنى الخواص الكية لخواه قضيت
 الله قرا رعا ونصه الذي استمر لهم غدا الى الابد
 ومنعنا منكم بالكل فانه عمقا له قد غيب
 وابو فعمل حاجز نبيته قطع من عند الله
 ورضوا وانما تحفر عليك وشعره في المبرور
 نعمه لانه دفع مني وسفوا اليه والمقام
 ما اهلنا لنا وشده مع المبرور انما دعوتهم
 فوجاهه وريته

الغيت
 بسم

الامير المجدد محمد علي محمد
 علي بن ابي طالب عليه السلام
 يحول الحق له الامور ما يشاء
 منها واقدحوا وانقايته
 عالى تيقضوا على احراب واداء
 انتمو تنفقه واثاق كان
 لتعود قد على الامير حميد
 ان لم يبق من اهل بيته وارث
 انما انما الامور على اجماع
 الامير المجدد محمد علي محمد

الجوز عجز عن شجرة
 بعد اللهو بالكماء الموصلة
 الكاكي موعود غلبت في الزمان
 المايد حزن محترق على الدليل
 واللبان حزن في صيف من زفر
 وانه انقلب وانكبت مع لهمة
 ريفت نوره روي كل من صرخه
 حمران زده في سحره
 والده واللبان ريفت
 هام

(1)

(1) تقسيط رقم

۱۵۰
 ۱۵۱
 ۱۵۲

۱- کتب و نسخ خطی
 ۲- کتب و نسخ خطی
 ۳- کتب و نسخ خطی
 ۴- کتب و نسخ خطی
 ۵- کتب و نسخ خطی
 ۶- کتب و نسخ خطی
 ۷- کتب و نسخ خطی
 ۸- کتب و نسخ خطی
 ۹- کتب و نسخ خطی
 ۱۰- کتب و نسخ خطی



المراجع

- (أ) وثائق غير منشورة .
- (ب) وثائق منشورة .
- (ج) مخطوطات .
- (د) مراجع عربية .
- (هـ) مراجع أجنبية .

(١) وثائق غير منشورة

وثائق دار المحفوظات بالقلمة بالقاهرة :

وأهم الوثائق التي درستها فيها وأفادتنى فى البحث :

دفاتر التزامات الولايات البحرية والقبلية :

وهى ٠٠٠

دفاتر خاصة بالالتزام الزراعى فقط وعندهما حوالى ١٥٠٠ سجل
تبدأ من سنة ١٠٦٩ هـ / ١٦٥٨ م الى سنة ١٢٢٣ هـ / ١٨٠٨ م وهى
السنة التي بدأ فيها محمد على إلغاء نظام الالتزام .

وقد تركزت دراستى على ٠٠٠

دفاتر التزام الولايات القبلية :

وهى نوعان :

(١) دفاتر من الحجم الكبير :

وهى سنوية وخاصة ببيان مقاطعات كل ولاية وتقسيمها بين
ملتزميها والمال المطلوب من كل منهم أى أنها :

دفاتر حسابات خراج أى المطلوب من الملتزمين ٠٠ ولكل سنة
دفترها الخاص الذى يحوى حسابات الجهات التابعة لقلم ضرائب واحد ٠٠

فولاية جرجا والفيوم والبهنساوية وأشمونين وإبريم كانت حساباتها
تدون فى دفتر واحد لتبقيتها لقلم ضرائب واحد وهو قلم شهر ٠٠

ويُرد غالبا في أول هذا النوع من الدفاتر صورا للبيورلدات التي يصدرها الباشا بموافقته على انتقال الالتزامات من شخص لآخر أو موافقته على منح التزامات أراضي جديدة .

وأصول هذه البيورلدات (الأوامر) كانت تحفظ لدى الملتزمين أنفسهم كما تقرر الدفاتر . . وهذه البيورلدات مكتوبة بالتركية بحروف عربية وبعضها دون باللغة العربية فقط ، ويوضح بها اسم الروزنامجي والوالى في هذه السنة .

وفي آخر هذه الدفاتر . .

كانت تثبت الزيادات الجديدة في الضرائب على المقاطعات .

وبالنسبة لدفاتر ولاية جرجا :

كان يرد في أولها حساب المال المطلوب من قلم شهر كله ثم حساب كل مقاطعة بالتفصيل والجملة وتقسيم مواعيد السداد ثلث أول ، ثاني ، ثالث والمطلوب في كل منها . . كما يرد بها أيضا :

تقسم المال الميرى المطلوب من كل ولاية أى المخصص منه للتزينة والمخصص لحاكم الولاية ، مصاريف الولاية نفسها .

ما يستفاد من الدفاتر الكبيرة :

منها يمكن تتبع الزيادة في الضرائب على الأرض وكيف تطورت . . . ودور الدولة بالنسبة لانتقال الالتزام من شخص لآخر (وقد ثبت لى أن الشيخ حمام كان يحصل على التزاماته بأمر الدولة وبرضاها .

ومن الدفاتر الكبيرة أيضا يمكن معرفة الضرائب المقررة على كل ولاية وكل ملتزم .

النوع الثانى من دفاتر الالتزام

دفاتر صغيرة

وهي دفاتر تحصيل للمال الميرى في مواعيد سداذه سواء أكان ثلث أول / أو ثان / أو ثالث ، صيفى ، أو شتوى فهي دفاتر تنفيذ فعل .

ففى موعد كل سداد كان أفندية الروزنامة يشيرون في هذه الدفاتر :

أسماء الملتزمين نواحي التزامهم والمال الذى سددته كل منهم :

ولهذا النوع من الدفاتر صورتان

(أ) دفاتر اثبات للمال الذى تم تحصيله من الملتزمين .

(ب) دفاتر تحصيل للبواقي أى الأموال المتخلفة لدى الملتزمين قد تتراكم البواقي لمدة عشر سنوات .

تفيد هذه الدفاتر فى معرفة فئات الملتزمين

وهى أدق فى معرفة مالكو الالتزامات الجدد وعين أخطوها أكثر من الدفاتر الكبيرة التى كانت تورد المال المطلوب أحيانا باسم الملتزم القديم بينما يكون ملتزم جديد قد حل فى الأرض بدلا من القديم وأصبح هو الذى يقوم بالتسديد فعلا كما توضح الدفاتر الصغيرة .

ومن الدفاتر الصغيرة نوع اسمه

(أ) دفاتر قيودات تقاسيـط وتحاوـيل تقاسيـط (فراغة) وهذه كانت ترد بها التقاسيـط (سندات التمكن) الجديد التى منحها الدولة للملتزمين . . . التقاسيـط التى حصل عليها ملتزمون جدد بناء على فراغ للملتزمين آخرين ويتم ذلك بموافقة الباشا ومن الدفاتر الصغيرة أيضا .

(ب) دفاتر تريـع (مساحة) للولايات : وهذه يذكر منها أقسام الولايات . . وعددها وقرى كل قسم وحدودها ومباحتها والأرض الصالحة للزراعة فيها . . ومنها أيضا دفاتر :

(ج) أصول عوايدىـت تقاسيـط : أى دفاتر أصول عوايدىـت (ضرائب) المقاطعات وبها ترد . . مقاطعات كل ولاية والمال المطلوب منها القديم والمستجد .

ومن هذه الدفاتر يمكن . . تحديد عدد مقاطعات كل ولاية ، والمال المطلوب منها . . والأنواع الثلاثة الأخيرة توجد بأعداد محدودة بدار المحفوظات فكثير من السنوات ليس لها دفاتر من هذه الأنواع . . من الوثائق الأخرى التى اطلعت عليها فى دار المحفوظات .

دفاتر الرزق :

وهذه الدفاتر ترجع الى العصر المملوكى وتستمر فى العصر العثمانى أيضا وترد بكل دفتر أسماء قرى الولاية الموجود بها رزق . .

وقد يرد بهذه الدفاتر أحيانا حجج شرعية باثبات انتقال الرزق من شخص لآخر .. ، والرزق مفردا ورقة .

وهي أرض معفاة من الضرائب وملك حر لأربابها بغير شرط ولا قيد إذ هي من بقايا الاقطاعات والارصادات التي كان السلاطين قد انعموا بها على بعض القربين اليهم ومنحهم حقوق التصرف المطلق فيها بمقتضى تقاسيط وعقود تملك أعطيت لهم من مصلحة الروزنامة بنص صريح فيها على أن تكون رزقه بلا مال الى مشاء الله تعالى .. وهم بناء على ذلك أوقفوا ما أوقفوه منها على المساجد وغيرها من الأماكن الخيرية .

ودفاتر الالتزام الزراعى الموجودة بدار المحفوظات كتبت كلها بخط القزمية . الذي يشبه الخط العربى ولكن تستخدم به كثير من الرموز السرية وتستعمل فيه رسوم لا حصر لها فى اتصال حرفين وثلاثة .. وفك رموز هذا الخط هي أهم مشكلة تواجه الباحث فى تاريخ مصر العثمانية .

٢ - وثائق المحكمة الشرعية بالقاهرة شبرا : نقلت الى دفترخانة الشهر العقارى بالقاهرة ..

موجودة بدفتر خانة المحكمة .. وهي وثائق ذات أهمية من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية لتاريخ مصر العثمانية .. وتوجد بها معظم حجج المحاكم الشرعية الخاصة بالقاهرة فقط وهي محاكم متعددة تبلغ ثلاثة عشر محكمة خاصة بالقسم القاهرة مثل :

١ - محكمة الباب العالى .

٢ - محكمة قوصون :

٣ - محكمة بابى سعادة والخرق .

٤ - محكمة القسبة العسكرية .

ويمكن من دراسة قضايا تلك المحاكم معرفة الكثير : عن نظام القضاء فى العصر العثمانى ونظم حيازة الأرض من فراغ (تنازل) عنها ومعلومات كثيرة عن الالتزام وتوزيع مقاطعاته وتوارثها وصرة الحرمين وركب الحاج المصرى وايرادات الأوقاف العامة والخزنة المرسلة للاستانة وتحركات ومنازعات الأوجاقات العسكرية ووفاء النيل ووضع أهل الدمة وجزيتهم .

وقد وجدت بها كثير من الحجج الخاصة بفراغ أمراء مماليك لشيخ العرب همام عن أجزاء كبيرة من أراضي الصعيد وذلك فى سجلات

محكمة الباب العالي. وعددها ثمانية عشر سجلا من ١١٥٤هـ / ١٢١٩هـ ،
وحجج المحكمة الشرعية مرتبة في دفاتر على ورق مصقول ومذونة بالخط
العادي ٠٠ ولكن الدفاتر غير مفهرسة ولا منظمة تبعا للسنوات أو
الموضوعات مما يضطر الباحث لقراءة كل حجج الدفاتر ليعثر على ما يهمه
منها وهذا يسبب له ارهاقا شديدا .

٣ - وثائق دار الوثائق القومية بعابدين :

(قبل نقلها الى القلعة) :

بالدار معظم الوثائق الخاصة بتاريخ مصر ابتداء من عهد محمد علي
ولكن الموجود منها خاصا بالعصر العثماني ينحصر في :

١ - حجج الالتزام .

٢ - حجج شرعية .

الفترة التاريخية لهذه الحجج تبدأ من القرن ١٢هـ الى منتصف
القرن ١٣هـ ٠٠ وهذه الأوراق كانت قد نقلت من دار المحفوظات بالقلعة
الى دار الوثائق بعابدين تمهيدا لتجميع الوثائق الخاصة بتاريخ مصر كلها
في دار الوثائق القومية أو هو مشروع لم يستكمل بعد بالإضافة الى أن
ما نقل من وثائق لم يترجم ولم يعد أى اعداد يساعد الباحث في بحثه .

وحجج الالتزام عبارة عن تقاسيط التزام أصلية مرفق بها حجج
فراغ (ما يعادل البيع الآن) من أصحاب الالتزام الأصليين الى ملتزمين
جدد ويوضح على التقسيط الأصلي اسم صاحبه الجديد ومنها :

(١) طلبات مقدمة من أصحاب التزامات يريدون الفراغ عنها
وعليها أوامر عالية من الباشا وختم الدفتر دار بقبول الفراغ .

(ب) وطلبات أخرى رفعها أصحابها للحصول على موافقة الباشا
على ورائتهم لالتزامات أقاربهم .

وقد قمت بدراسة بعض الحجج الشرعية الخاصة : بطلب صرف
مرتبات مثل ٠٠ مرتب خزينة ، مرتب جوالى (بالمدينة المنورة) ، جمرک
بولاق ، مرتب غلال باسم نظار وقف ، مرتب شمع لإحياء المولد النبوى
باسم خطيبى الأزهر ٠٠

الاستفاد من حجج الالتزام :

والذى كان مهما بالنسبة لى :

« لا تمس هذه الوثائق شخصية همام نفسها ولكنها تتعلق بنظام
الالتزام في عصره وقبله وبعده »

**« واتضح لي منها : أن نقل الالتزام من شخص لآخر كان يتم بتقديم
الشخصين المتنازل (البائع) والمتنازل له (المشتري) أو وكيلهما الى
المحكمة الشرعية وأمام القاضى والشهود تتم عملية الفراغ (التنازل) »**

وتبدأ حجة التنازل (الفراغ) بذكر اسم القاضى ثم الشهود ثم
اسم المتنازل والمتنازل له ثم حدود قطعة الأرض التى تم الفراغ عنها ،
وكيف كان يملكها صاحبها وأحيانا يذكر سبب تنازله عنها مثل
(خرابها أو تطفلها ...)

ثم يذكر الثمن (الحلوان) الذى حصل عليه المتنازل لقاء تنازله
عنها .. ثم يذكر فى النهاية أنه على المتنازل له الحصول على موافقة
الوالى على اتمام هذه الصفقة ، وعليه تسديد الضرائب المستحقة عليها من
الآن بصفته الحائز الجديد لها .. ثم يرفق بهذه الحجة الشرعية التقيسيط
الأصلى للمتنازل وعليه البيانات المعتادة من حدود الالتزام والضريبة
المفروضة عليه وختم الباشا والدفتردار ... والنصيحة الموجهة للملتزم
باللغة التركية لأداء واجباته ، ثم توضع على هامشه حركة الانتقال
الجديدة واعتماد الدفتردار لها .. وكل البيانات فى التقيسيط مدونة
بخط القرمة . فيما عدا النصيحة الموجهة للملتزم لأداء واجباته فهى
بالتركية .

**« وقد أمكن لي بمقارنة البيانات الخاصة بصاحب التقيسيط الأصلى
والواردة بخط القرمة فى تقيسيط التزامه مثل (اسمه ونسبه ، وحدود
التزامه) بنفس هذه البيانات الخاصة به والواردة باللغة العربية فى الحجة
الشرعية ، أمكن لي عن طريق هذه المقارنة حل الكثير من رموز القرمة :**

من أمثلة ذلك :

تقيسيط خاص بزهرة بنت محمد جلبى ... محظطة رقم (٩) بتاريخ
سنة ١١٢٧هـ ، وقد كان نظام الفراغ عن الأرض بتقديم طلب لأخذ
موافقة الباشا فى البداية مطبقا بالنسبة للجميع حتى لشيخ البلد .

فقى محظطة رقم (٦) ملف رقم (٨) لسنة ١١٨١هـ ورد طلب من
ملتزم مقاطعة قرية القطيعة وكفرها (بولاية أسيوط) بجرجا بخصوص
رغبته فى الفراغ عنها لعل بك مير لواء أمير الحاج سابق والطلب مرفوع
باسمه للباشا برجاء اصدار فرمان باعتماد ذلك ثم دونت عليه موافقة
الباشا وختم الدفتردار .

واستمر الأمر كذلك حتى في عهد محمد علي ٠٠ محفظة رقم ٦٦
ملف ٣٣٤ لسنة ١٢٤٤هـ وثيقة ٥ بتاريخ ٢٥ شعبان سنة ١٢٤٤هـ .

كان لمحمد علي باشا والى مصر التزام ٦ ط بقرية ابشويه الملق.
وغيرها بالقرية والمنوفية ٠٠ وذلك ملون على تقسيط قديم كان باسم
آخرين ثم أخذ محمد علي منهم الأرض لنفسه ٠٠ فشرأ الالتزامات وحيازتها
كانت لحكام مصر أيضا .

وتوضح حجج الالتزام الموجودة بعابدين حركة توارث الالتزامات :

وثيقة رقم ٢ ملف ٨٥ - ٢٧ ذو الحجة سنة ١١٨٧هـ قرية أبو
مدرى المعروفة ببني جلبى بجرجا وراثة عن والدهم وورد على الطلب
موافقة الباشا واصداده بيورلدى شريف برفع الملتزم الحال وتسليمها
للورثة .

وقد كان للشخص أن يرث التزام زوجته أو معتوقى أقاربه مثل
(معتوقى عمه مثلا) أو أتباع أبيه .

وإذا كان طالب الوراثة من العلماء كان يأخذ تأشيرة من شيخ الأزهر
بتركية طلبه ٠٠ وتمثل وثائق عابدين مصلوا كبيرا لتتبع نظام وراثة
الالتزام ٠٠ ومنها أيضا يمكن تتبع نظم أنواع الالتزام الأخرى : مثل
التزام الجمارك وأنواع الالتزام المدنية الأخرى ، وبالدور نوع آخر من
تقاسيط الأرض ولكنها ليست تقاسيط التزام بل تقاسيط خاصة بتمليك
الأبغديات في عهد محمد علي وصادرة من ديوان الروزنامجى ، ويحوى
التقسيط من هذا النوع ٠٠ انعام محمد علي بالأبغدية على الشخص
باعتبارها رزقه بلا مال ثم يرد به حدود قطعة الأرض المنعم بها ثم امضاء
الروزنامجى وختم محمد علي .

وهذه التقاسيط تفيد في دراسة : نشأة وتطور الأبغديات في عهد
محمد علي حدودها ، مساحاتها ، الطوائف التى كانت تمنح لها (رجال
الجيش ، المديرون الأغوات ، العلماء ، شيخ الاسلام ، شيوخ الطوائف
« طوائف الحرف » ٠٠) .

٤ - وثائق احفاد همام بمحافظة قنا :

قدم لى احفاد الشيخ همام فى فرشوط بمحافظة قنا وفى بهجورة
أيضا مجموعة من الحجج الخاصة بتاريخ همام ، وقد أبدى أسفهم لأنهم
أضاعوا مجموعات كبيرة منها نتيجة عدم إدراكهم لأهميتها .

والمجموعة التي قسموها لى عبارة عن :

١ - حجج شرعية صادرة من المحاكم الشرعية المحلية فى الصعيد ،
أو المحاكم الشرعية فى مصر مثل محكمة الباب العالى ومحكمة سعادق وبابى
الخرق خاصة بالتنازل عن الأرض وشرائها .

٢ - حجج اخرى عبارة عن اتفاقات واقراءات شخصية بشهادة شهود
ومنها :

(أ) نوع خاص برهن الأرض .

(ب) نوع خاص بالتنازل عن الأرض .

٣ - ونوع ثالث عبارة عن :

صورة لحجج شرعية صادرة من محكمة قنا بأوقاف الهوارة وأوقاف
الشيخ همام ونسب الهوارة . . . بالإضافة الى مجموعة من تقاسيط الالتزام
الخاصة بالشيخ همام وأولاده وأبيه .

وقد اتضح لى من دراسة هذه الوثائق أن التنازول والفراغ
عن الأرض كان يتم إما بحجة شرعية أمام المحكمة وإما باقرار شخصى ،
وكان يجرى تبادل الأرض بين الشيخ همام وأقاربه والأشخاص الآخرين
فى الصعيد أمام المحاكم المحلية فى اسنا ، بهجورة وقرشوط ، ادفو . .

وقد أثبتت لى هذه الأوراق أيضا امتداد أراضى همام من بنى مزان
بالمنيا الى ادفو بأصوان ، وكان يذكر دائما فى حجج الفراغ ان التنازل
تم برضى الطرفين وأن على الشخص المتنازل له تسديد المال الميرى ومصاريف
الولاية لجانب الديوان .

وصلت مساحة بعض الأراضى المتنازل عنها الى ٢٥٠ فداناً . . .
كان الفراغ يتم إما نظير مبلغ من المال أو نظير مبادلة أرض بارض وأحيانا
كان الثمن يسدد غللا .

ويلاحظ انه فى بعض الحجج وردت عبارة أن الأرض المتنازل عنها
صارت ملكا وحقا للمتنازل له يتصرف فيها تصرف الملاك فى املاكهم
وذوى الحقوق فى حقوقهم مما يظهر لنا أن الحياة غنت ملكية فى النصف
الثانى من القرن ١٨ م / ١٢ هـ .

كان الفلاح أحيانا يتنازل عن أرضه للشيخ همام عند ما يستدين
منه مالا ويرهن له الأرض ثم يضمن عن وفاة الزهن فيكمل له همام الثمن

ويشتريها منه ، وكان العرب فقط سواء أكانوا هواره أو من القبائل العربية الاخرى يملكون أرضا عرفت (بالخطيطة) (وهي أرض أخذها أجدادهم عنوة وتملكوها) . . وكان هؤلاء يقترضون أحيانا مالا من الشيخ همام ويعجزون عن وفائه فيبيعون له قطعا من أرضهم هذه ، ويكون الرهن في هذه الحالة ليس مقابل خراج على الأرض بل مقابل مال اقترضه العربي من همام وعجز عن ادائه .

من حجج الهواره اتضح لي أن الشيخ همام كان يتنازل عن الأرض لغيره من الهواره ويأخذ منهم أيضا . . وكان ذلك يتم أيضا بينه وبين الأمراء المالكي وفي هذه الحالة كان الفراغ يتم امام محكمة الباب العالي بالقاهرة ، وفي معظم هذه الحالات كان ينوب عنه في عقد الاتفاق الأمير عثمان أغا وكيل دار السعادة بمصر وقد أعطاه الشيخ همام توكيلا رسميا بذلك .

وفي بعض الحالات كان ينوب عنه همام المباشر الأقباط الذين يعملون عنده .

ولنمو قوة همام وسيطرته على معظم أراضي الصعيد اضطر على بك الكبير الى التنازل لهما من ٢٢ ط من أصل ٢٤ ط من التزامه من ناحية بني نصر بمنفلوط وعثرت على حجة هذا التنازل بين أوراق الهواره .

ب - وثائق منشورة

اجوبة حسين أفندي الروزنامجي :

ترتيب الديار المصرية في عهد الدولة العثمانية الاجوبة كانت :

عن أسئلة وجهها استيف مدير الادارة المالية الفرنسية لحسين أفندي الروزنامجي الذي أجاب عليها في ستة عشر بابا في محرم سنة ١٢١٦ هـ / مايو سنة ١٨٠١ م .

وقد نشر تلك الاجوبة وعلق عليها : المرحوم الاستاذ محمد شفيق غربال بعنوان (مصر عند مفترق الطرق) . .

(١٧٩٨ م - ١٨٠١ م) في مجلد كلية الآداب . . المجلد الرابع ح ١ مايو سنة ١٩٣٦ .

١ - اسماعيل الخشاب :

مخطوط تاريخ حوادث وقعت بمصر من سنة ١١٢٠ هـ الى دخول
الفرنسيين .

نسخة مصورة من خزانة باريس سنة ١٣٤٣ هـ .

دار الكتب بالقاهرة المكتبة التيمورية رقم ٢١٠٧ تاريخ يتناول هذا
المخطوط الاحداث السياسية التي وقعت بمصر ابتداء من سنة ١١٢٠ هـ /
١٢١٣ هـ ، ، ١٧٠٨ م : ١٧٩٨ م .

وكتابه الشيخ الخشاب كان معاصرا للجبرتي وصديق له وكان من
أشهر الكتاب وقد عمل في الديوان الذي نظمه في مصر واختص بكتابة
التاريخ .

٢ - مصطفى ابراهيم عزبان :

مخطوط تاريخ وقايع مصر القاهرة كنانة الله في أرضه .

دار الكتب نسخة منقولة عن النسخة التيمورية سنة ١١٤٣ هـ برقم
٤٠٤٨ تاريخ - يؤرخ المخطوط لحوادث مصر من سنة ١١٠٠ هـ : ١١٥٠ هـ
سنة ١٦٨٨ م : ١٧٣٧ م وفيه تاريخ سياسي واجتماعي واقتصادي لمصر
في الفترة السابقة وكتابه ينتمي الى مدرسة الاجناد الذين مارسوا كتابة
التاريخ كهواية لهم .

٣ - محمد بن حامد المالكي :

مخطوط تظهير النواحي والارزاء يذكر من اشتهر من علماء واعيان
مدينة الصعيد « جرجا » .

دار الكتب بالقاهرة رقم ١٢٤٨٧ تاريخ المخطوط دراسة تاريخية
٣ اجزاء لجرجا تتناول وضعها في العصر العثماني وسلطات حاكمها ونزول
الهوادة بها وحياتهم فيها ثم تناول المؤلف الحياة السياسية والاقتصادية
لجرجا الحديثة أي « مدينة جرجا » وفيه دراسة وترجمة لعدد كبير من
أعيان ولاية جرجا وطوائفها من العصر العثماني الى وقت المؤلف الذي كان
من أبناء قرية المرغة بجرجا ولد سنة ١٢٨٢ هـ وتوفي سنة ١٣٢٩ هـ وتلقى
علومه بالأزهر ثم عين اماما لأحد المساجد بمدينة « جرجا » .

مراجع عربية

- ١ - الاستحقاقى (محمد عبد المعلى) :
أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول القاهرة بسنة
١٣١٠ هـ .
- ٢ - الجبرتي (عبد الرحمن) :
عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ٠٠ بولاق ١٢٣٦ هـ .
- ٣ - البديرى (أحمد الحلاق) :
حوادث دمشق اليومية - ١١٥٤ هـ : ١١٧٥ هـ / ١٧٤١ م :
١٧٦٢ م - تحقيق ونشر الأستاذ الدكتور أحمد عزت عبد الكريم -
القاهرة ١٩٥٩ .
- ٤ - القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على بن أحمد) :
صبح الأعشى فى صناعة الإنشا (فى ١٤ مجلد ١ - طبع وزارة
الثقافة والإرشاد - القاهرة ١٩٦٣ م ٢ .
- ٥ - السخاوى (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن) :
١ - الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع ٠٠ القاهرة ١٣٥٣ هـ
ج ٢ .
٢ - التبر المسهوك فى ذيل السلوك بولاق ١٨٩٦ .
- ٦ - القريزى (تقى الدين أحمد بن على) :
١ - كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك (نشر وتحقيق الدكتور
زيادة) ٠٠ القاهرة ١٩٣٤ بمطبعة دار الكتب ج ١ .

- ٢ - الخطط المقرزية المسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار - لبنان ١٩٥٩ ج ١ .
- ٣ - البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب القاهرة ١٩١٦ .
- ٧ - ابن اياس (أبو البركات محمد بن أحمد) :
بدائع الزهور في وقائع الدهور بولاق سنة ١٣١١ هـ ٣ أجزاء .
- ٨ - ابن خلدون (عبد الرحمن) :
كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر بيروت ١٩٦١ المجلد الأول الطبعة الثانية .
- ٩ - ابن حجر (شهاب الدين) :
الدور الكامنة في أعيان المائة الثامنة الهند ١٣٤٨ هـ ج ١ .
- ١٠ - ابن حزم الاندلسي (أبو محمد علي بن أحمد) :
جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ١٩٦٢ م .
- ١١ - أبو الحسن (جمال الدين يوسف بن تفرى بردى) :
١ - المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى تحقيق (أحمد يوسف بخاتي) القاهرة ١٩٥٦ م ج ١ .
٢ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٠٠ القاهرة ١٩٥٦ ج ١١ ، ١٢ .
- ١٢ - ابن زنبيل (أحمد) :
تاريخ السلطان سليم مع السلطان قنصوة الغورى القاهرة سنة ١٢٧٨ هـ .
- ١٣ - ابن طولون (شمس الدين محمد) :
مفاكهة الخلان في حوادث الزمان - تاريخ مصر والشام تحقيق محمد مصطفى ٠٠ القاهرة ١٩٦٤ ٠٠ القسم الثانى .
- ١٤ - أحمد اسقر :
مدينة المغرب العربى فى التاريخ ٠٠ تونس ١٩٥٩ م ج ١ .

- ١٥ - أحمد لطفي السيد :
- قبائل العرب في مصر - العقيلات والجعافرة وقبائل أخرى ..
القاهرة ١٩٣٥ .
- ١٦ - ابن قتيبة (محمد عبد الله بن مسلم) :
- الإمامة والسياسة .. القاهرة ١٣٢٨ هـ .
- ١٧ - د . حكيم أمين عبد السيد :
- قيام دولة المماليك الثانية .. القاهرة ١٩٦٧ .
- ١٨ - رفاعة الطهطاوى :
- تخليص الأبريز في تلخيص باريز .. القاهرة ١٩٠٥ م .
- ١٩ - طرخان (الدكتور إبراهيم علي) :
- ١ - النظم الاقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى ..
القاهرة ١٩٦٨ .
- ٢ - مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة القاهرة ١٩٦٠ م .
- ٢٠ - عاشور (الدكتور سعيد عبد الفتاح) :
- العصر المماليكي في مصر والشام . القاهرة ١٩٦٥ م .
- ٢١ - علي مبارك :
- الخطط الجديدة التوفيقية لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة
والشبهية .. بولاق ١٣٠٥ هـ .. أجزاء ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥
- ٢٢ - مرتضى الزبيدي (الشيخ) :
- تاج العروسي من جواهر القاموسي .. القاهرة ١٣٠٦ هـ ج ٣ .
- ٢٣ - محمد رفعت ومفضل :
- علي بك الكبير القاهرة ١٩٥٠ م .
- ٢٤ - د . محمد عوض محمد :
- السودان الشمالي سكانه وقبائله .. القاهرة ١٩٥٦ م .
- ٢٥ - د . محمد كامل موسى :
- الملكية العقارية في مصر وتطورها التاريخي من عهد الفراعنة حتى
الآن .. القاهرة ١٩٣١ م .

- ٢٦ - د. محمد قوّاد شكرى ، عبد المقصود العناني :
بناء دولة محمد على .. القاهرة ١٩٤٨ م .
- ٢٧ - مصطفى كامل الشريف :
عروبة مصر من قبائلها .. القاهرة ١٩٦٥ م .
- ٢٨ - محمد مختار :
التوفيقات الالهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنيين الافرنجية
والقبطية .. بولاق ١٣١١ هـ .
- ٢٩ - ابراهيم زكى :
الحالة المالية والتطور الحكومى والاجتماعى فى عهدى الحملة الفرنسييه
ومحمد على القاهرة ١٩٢٨ م .
- ٣٠ - محمد ومزى :
القاموسى الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين الى سنة
١٩٤٥ .
- ٣١ - د. لويس عوض :
المؤثرات الاجنبية فى الأدب العربى الحديث القاهرة ١٩٦٣ م ج ٢ .
- ٣٢ - ليفى بروفنال :
الاسلام فى المغرب والاندلس .. ترجمة د. السيد محمد
عبد العزيز .. القاهرة ١٩٥٦ .
- ٣٣ - فولنى :
ثلاثة أعوام فى مصر وبر الشام .. ترجمة ادوارد البستاني ..
بيروت ١٩٤٩ ج ١ .
- ٣٤ - د. يوسف نعاس :
١ - الأحوال الزراعية فى القطر المصرى أثناء حملة نابليون ..
بونابرت .. القاهرة ١٩٦٢ م .
٢ - الفلاح حالته الاقتصادية والاجتماعية .. القاهرة ١٩٢٦ .
- ٣٥ - يوسف الشربيني :
هن التحوف فى شرح قصيد أبى شادوف .. اعداد ونشر محمد
قنديل البقلى بعنوان قريتنا المصرية قبل الثورة . القاهرة ١٩٦٣ م .
- ٣٦ - جرجس حسنين :
الأطيان والضرائب فى القطر المصرى ١٩٠٤ م .

الدوريات والصحف

الجملة التاريخية المصرية :

١ - مخطوط بعنوان :

ذكر ما وقع بين عسكر المحروسة بالقاهرة سنة ١١٢٣هـ / ١٧١١ م
تأليف الشيخ على بن محمد الشاذلي الفرا ٠٠ تحقيق ونشر دكتور
عبد القادر طليعات ٠٠ مجلد ١٤ لسنة ١٩٦٨ ٠

٢ - صحيفة الاهرام :

ديسمبر سنة ١٩٣٣ ، يناير سنة ١٩٣٤ ٠٠ مقالات عن تاريخ
الهوةرة وامارة الصعيد فى عهد همام ٠

٣ - صحيفة البلاغ لسنة ١٩٣٤ :

الشهور من يناير الى مارس ٠٠
مقالات تناولت نفس الموضوعات السابقة المنشورة فى الاهرام ٠



المراجع الأجنبية

(١) انجليزية

BRUCE (James) : Travels to discover the source of the Nile in the years 1768, 1769, 1770, 1771, 1772.

The second Edition, London, 1804, Vol. 2.

GIBB (H.), (BOWEN)

ISLAMIC Society and the west Two parts, London 1957.

HOLT (P. M.) :

EGYPT and the fertile CRESENT 1516-1922. London, 1966.

BAER (G) :

A History of land ownership in Modern Egypt 1800-1050.

Oxford U.P. 1962.

BROWNE (W. C.) :

Travels in Africa, Egypt and Suria from the year, 1792 to 1798.

London, 1799.

VANSLEB :

The present state of Egypt London, 1678.

LUSIGNAN (S. L.) :

A History of the Revolt of ALI BEY London, 1788.

SHAW (S. G.)

The financial and administrative organization and development of ottoman Egypt, 1517-1798 P.U.P., 1862.

Ottoman Egypt in the Eighteenth Century H.U.P. 1962.

POCKE (RICHARD) :

A Description of the east and some other countries Vol. 1. London, 1743.

NORDEN (F. L.) :

Travels in Egypt and Nubia, London, 1757.

POLITICAL AND SOCIAL CHANGE IN MODERN EGYPT :

Historical studies from the ottoman conquest to the United/Arab Republic Edited by P. M. Holt.

P.U.P. : London, 1968.

فرنسية (٧)

LANCRET (M.A.) :

Memoire Sur le Systeme d'imposition territoriale et sur L'administration des provinces de L'Egypte dans les dernière années du gouvernement des Mamlouks dans : Description de L'Egypte. 2nd, ed, Vol XI, p. 480

GIRARD (P. S.) :

Mémoire sur L'agriculture L'industrie et le commerce de L'Egypte dans.

Description de L'Egypte, 2nd, ed. Vol. XVII 1-436.

Estéve (M.R.) :

Mémoire sur les finances de L'Egypte de puis la conquête de ce pays par Le Sultan Selim 1 er Jusqu'à celle du Général on chef Bonaparte dans.

Description de L'Egypte 2nd ed. Vol. XII, 41-248.



الفهرس

- مقدمة ٢٤ —
- الفصل الأول : الهوارة فى الصعيد ٢٥ — ٥٥
- أصل الهوارة — كيف نزلوا الصعيد
حياتهم فيه — تحولهم الى قبيلة مستقرة —
علاقتهم بالمماليك — علاقتهم بالعثمانيين
— علاقتهم بالقبائل العربية الأخرى فى
الصعيد — علاقتهم بالفلاحين فيه .
- الفصل الثانى : ولاية جرجا أو الصعيد ٥٧ — ٧٤
- التقسيم الإدارى لمصر فى العصر العثمانى
مركز جرجا فى هذا التقسيم — المفهوم
العثمانى لمعنى ولاية فى مصر — تطور
جرجا الى ولاية كبيرة سنة ١١٠٩ هـ —
١٦٩٧ م — حدودها — الهدف من
تكوينها — سلطات حاكمها — ممثلو
الإدارة العثمانية فيها .

٧٥ - ١٠٠ - الفصل الثالث : الأرض والالتزام فى الصعيد . . .

نظام الأرض فى الصعيد - نظام الالتزام -
ادخاله فى مصر العثمانية - دوره كأساس
لنظام الادارى والمالى قيميا - سيطرة
الشيخ همام على أراضى الصعيد بالالتزام
من المنيا الى أسوان .

١٠١ - ١١٨ - الفصل الرابع : شيخ العرب همام

نشأته - أسرته - علاقتها بالمنطقة
وبالحكام - العوامل التى ساعدت على
ظهور همام - دوره كملتزم - ثراؤه -
نفوذه . . حكومته . اثر سيطرته فى
جرجا على الحياة الاقتصادية والسياسية
فيها .

١١٩ - ١٣١ - الفصل الخامس : علاقة الشيخ همام بالأمراء

الماليك
علاقة الهوارة بالأمراء الماليك - نمو قوة
همام - تحديه لبعض الأمراء الماليك مثل
الأمير ابراهيم جاويش - أسباب النزاع
بينهما - توسع همام فى أراضى الصعيد
- تنازل الأمراء الماليك عن أراضيهم
لهمام - علاقة همام الودية بصالح بك
القاسمى .

١٣٣ - ١٥٢ - الفصل السادس : الصراع بين الشيخ همام وعلى بك

الكبير
شخصية على بك - أسباب الصراع بينه
وبين همام - المواجهة بينهما - نهاية

همام -- كيف أدار على بك الصعيد بعد
همام -- أثر القضاء على سلطة همام في
حياة الصعيد *

١٥٦ - ١٥٣	• • • • • ' • • • • •	خاتمة
١٨٢٠ - ١٥٧	• • • • • • • • • • •	الملاحق
٢٠١ - ١٨٣	• • • • • • • • • • •	المراجع

فهرس الملاحق

نوع الملحق	الصفحة
١ - نماذج لخط القرمة	١٥٩
٢ - حجة تنازل على بك عن معظم ناحيية بنى نصر للشيخ همام	١٦٠ - ١٦٢
٣ - بعض أوامر الشيخ همام	١٦٣ - ١٦٤
٤ - فئات المتزمين فى ولاية جرجا	١٦٥ - ١٦٩
٥ - صورة لزحف الشيخ همام على أراضى الصعيد بالالتزام من سنة ١١٣٤ هـ ١٧٢٩م - ١١٨٣هـ - ١٧٦٩ م	١٧٠ - ١٧٣
٦ - نموذج لتقسيط التزام خاص بالشيخ همام	١٧٤
٧ - حجة تنازل الأمير ابراهيم جاويش عن جزء من أراضيه للشيخ همام	١٧٥

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٧/٥٤٤٠

ISBN ٦ - ١٤٩٣ - ٠١ - ٩٧٧ -

Bibliotheca Alexandrina

0582792

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

التمن ١٦٠ قرشا